التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن الحديث والمعاصر

محمد يحيى الحداد

المجلد الثالث

مكتبة الإرشاد
صنعاء



التاريخ العام لليمن
محمد يحيى الحداد
٣
مكتبة الإرشاد


التاريخ
العام لليمن

التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

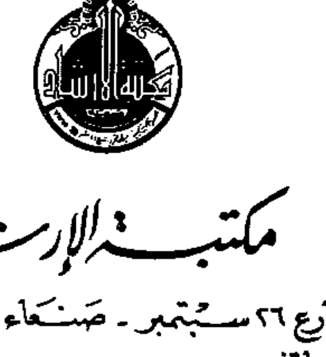
اليمن الحديث والمعاصر



الطَّبْعَةُ الأُولَىٰ

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

أودع بدار الكتب ـ وزارة الثقافة ـ صنعاء
برقم ٢٥ لسنة ٢٦ / ١ / ٢٠٠٨ م



مكتبة الإرشاد

شارع ٢٦ سبتمبر - صنعاء - ص ب: ٣٠١٩
هاتف: ٢٧٢١٩٠ - ٢٧١٦٧٧ - ٢٧٩٢٨٩
الجمهورية اليمنية

التاريخ العام لليمن

التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي
منذ بداية تاريخ اليمن القديم وحتى العصر الراهن

اليمن الحديث والمعاصر

محمد يحيى الحداد

المجلد الثالث

مكتبة الإرشاد
صنعاء

بسم الله الرحمن الرحيم

تأريخ اليمن الحديث

يبدأ التأريخ الحديث في عرف المؤرخين مع بداية القرن السادس عشر للميلاد ، العاشر للهجرة ، وبناء على ذلك فإنّ تأريخ اليمن الحديث يبدأ (تجاوزاً) عند بداية نفوذ المماليك في اليمن عام ٩١٢ للهجرة ، ١٥٠٤ للميلاد ، وينتهي ببداية التاريخ المعاصر عام ١٩٠٠ للميلاد ، أو مع نهاية الحرب العالمية الأولى في عرف بعض المؤرخين ١٩١٧ م ١٣٣٨ هـ .

آل طاهر والمماليك

ولما كان امتداد نفوذ المماليك الى اليمن هو في عهد (آل طاهر) ، وبالتحديد في عهد آخر ملوكهم (عامر بن عبد الوهاب آل طاهر) ومنعاً لتكرار التأريخ للأحداث التي قامت بينهما فإني سأذكر ذلك في فصل واحد تحت العنوان المذكور .

ولكني قبل ان ابدأ بذلك سأوجز خلفيات حكم المماليك في اليمن ، أو المبررات في نظرهم لمد نفوذهم الى اليمن وهي على النحو التالي :

كانت[1] للعرب السيطرة على اغلب الطرق التجارية العالمية القديمة عن طريق البحر الأحمر فبحر الهند ، وذلك حتى نهاية القرن الخامس عشر للميلاد ، التاسع للهجرة .

وكان من أهم هذه الطرق طريق البحر الأحمر الذي تقع مصر عند

(١) الدكتور سيد مصطفى سالم في كتابه (الفتح العثماني الأول في اليمن) ببعض تصرف من ص ٤٥ .

طرفه الشمالي ، ويحتل اليمن طرفه الجنوبي ، وقد حقق كلا الطرفين (مصر واليمن) بفضل موقعهما الجغرافي رخاء اقتصادياً كبيراً وازدهاراً حضارياً منذ اقدم العصور ، وفي أواخر القرن الخامس عشر للميلاد نجحت البرتغال في الوصول بحراً الى الهند عن طريق (رأس الرجاء الصالح) في (جنوب غرب افريقيا) ، كما نجحت في احتكار التجارة الشرقية بعد الوصول الى الهند بزمن قليل .

وأدى تحول تجارة الشرق الى الطريق البحري المباشر الى حرمان العرب من مصدر هام من مصادر ثروتهم ، وأدى هذا بدوره الى ضعف بنائهم الاقتصادي التقليدي ، والى انهيار نظمهم السياسية القائمة حينئذٍ .

الغزو البرتغالي وجهود المماليك وآل طاهر المضادة

ولقد حاول العرب منذ البداية مقاومة هذا الغزو الأوروبي الجديد ، واسترداد سيطرتهم على نقل التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، إلا ان محاولاتهم باءت بالفشل ، وتم للبرتغال احتكار هذه التجارة ، واتسم موقف اليمن بالضعف في مواجهة التحدي البرتغالي ، بسبب تفوق هؤلاء بالأسلحة النارية ، الى جانب انشغال الملك عامر بن عبد الوهاب آل طاهر في حروب داخلية مع الخارجين عليه من اخواله ، ومع الكثير من قبائل تهامة والجنوب وغيرهما ، والذين انتهزوا فرصة حروبه مع الخارجين عليه من أسرته ، وكان موقف مصر المملوكية اكثر ايجابية من موقف اليمن ، بحكم قوة سلطانه واتساع ملكه في الشام ومصروالحجاز، ولكنه مع ذلك كان يتسم بالضعف بوجه عام .

فقد قام المماليك بقيادة الأمير حسين الكردي نائب دولة المماليك في جدة بمهاجمة بعض المراكز البرتغالية في الهند نفسها وذلك عام ١٥٠٥ م ، ٩١٣ هـ .

ولكنهم فشلوا في طرد البرتغاليين منها وتوطيد مراكز لهم عليها ، لتكون خط الدفاع الأمامي لهم امام توسع البرتغاليين داخل البحر العربي

فالبحر الأحمر كما كانوا يطمحون .

فلجأ المماليك الى وضع استراتيجية جديدة لهم لخط دفاعي عن حدود امبراطوريتهم التي كانت (كما أشرت) تشمل الحجاز والشام ومصر . وطمعوا مع ذلك في السيطرة على الموانىء اليمنية لإحكام سيطرتهم على جميع موانىء البحر الأحمر بما فيها موانىء الحجاز ومصر والسودان في وسط البحر الأحمر والمنفذ الوحيد للبحر الأحمر الى البحر العربي فبحر الهند (باب المندب) في الجنوب .

ومع ذلك فلم يستطع المماليك حتى طرد البرتغاليين من المواقع الغربية في البحر العربي والتي كانوا أي البرتغاليون قد اسسوا لهم مراكز فيها ، وحاولوا منها بسط نفوذهم على موانىء البحر الأحمر ، لاحتكار التجارة العالمية مع الشرق مصدر التوابل وغيرها .

وقد أدت سياسة المماليك الدفاعية الى التصادم مع حكام اليمن (آل طاهر آنذاك) والى احتلال سواحل وموانىء البحر الأحمر لإغلاق مدخله الجنوبي (باب المندب) امام زحف البرتغاليين .

ولم تكن دعوة الإمام شرف الدين للمماليك لغزو آل طاهر في اليمن باسم معاونته إلا تشجيعاً للمماليك على تنفيذ مخططهم .

اغراء الامام شرف الدين المماليك على آل طاهر

وقد شجع نزول المماليك في جزيرة كمران الإمام (شرف الدين) على الاتصال بهم واغرائهم على آل طاهر ، فأرسل الى الأمير (حسين الكردي) السيد (صلاح الدين بن سراح الله) يحمل اليه الرسالة الآتية(٢) :

---

(٢) عيسى بن لطف بن المطهر بن الإمام شرف الدين ص ١٧ .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومحمد وعلى آله وصحبه وسلم ، نعمة شملت وسبغت ، ومنحة كملت فبلغت من لدن حكيم خبير ، على أهل بيته البشير النذير ، اجراها على يد ملك السيف الأمير الهام الخطير ، المقدام امير امراء الدول الاسلامية ، مفرج كربة العترة الطاهرة الزكية ، القائم بثأر الحسين من الفرقة الظالمة العامرية ، المتجلي من أجل ذلك بكل زين، المتبري انشاء الله فيها هنالك من كل شين ، بحق اسم سيد الشهداء سبط المختار الحسين ، ذلك الأمير النبيل الجليل حسين ، (يعني حسين الكردي) حباه الله من السلام اسناه ومن الكرم ازكاه ، والله المسؤول ان يوفقه وإيانا الى اصابة مراده وهداية عباده ، واجراء الأحكام الشرعية في بلاده ، وتطهيرها من آثار وجور الجائرين ، وتنويرها من آثار جرأته وعناده ، وبعد ، فكتابنا هذا يشرح للأمير الخطير وفقه الملك القدير ، بأنّا لم نزل الى الله مبتهلين ، ولما لديه من الفرج منتظرين ، وبالتجرد لمنابذة عدو الله الجائر (يعني الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر) والقيام بالذات الى جهاده ودفاعه مجدين ، امتثالاً لأمر الله القوي القادر ، على عدم المعين وخذلان من أهل الزمن المشؤوم القاهر ، وميل في الناس الى الأطماع الحقيرة ، وانخداع من الخلق الى زخارف الباطل المبيرة ، حتى تمكن منها هذا الظالم الغشوم ، وأوقعهم من الخزي والوبال والهون في أقصى التخوم وشمل بشره الغوي والبريء ، والشجي والخلي ، وتتبع بمعظم خبثه وجوره ومكره اعيان بيت النبي ، ولم يبق في سلطانه لأهل بيت النبي باقية (وهذا هو سر الحملة عليه من الإمام شرف الدين ووصفه بهذه الخلال الذميمة) ولا أجيبت لهم دعوة نافعة واعية ، حتى بدّدهم هذا الظالم في البلاد، وفرق بين الآباء والأولاد ، ومات أكثرهم في تخوم اليمن مطرودين مبددين مشردين ، يتمنى الولد ان يحضر موت ابيه ، والوالد ان لا يشاهد احوال بنيه ، وفعل في اولاد المصطفى ما قد حرمه الله في المسلمين، بل وفي سبي الكفار والخارجين على الدين ، وأعانه على ذلك رجل من أهل البيت ادعى ما ليس له بحق ، وانكر عليه

الإمام الوشلي ولم يعذرنا أهل زماننا ، من القيام في مقامه المجلي ، ولقد همّ اخزاه الله بقصد الحرمين ، وإخراج من بها من آل الحسين ، فرجعنا مع بذل ما بقي لنا من جهد في الدفاع في كثير من الحدود التي الى الله سبحانه وتعالى امرها ، ونحن نسأل من الله تعجيل الفرج ، وإطفاء وهج المهج ، بعون من هو أهل للمحامد المبرورة والمشاهد المشهورة في حياطة الدين ، والرعاية لحق رسول الله ، وما ذلك إلا لسريرة صالحة وتجارة رابحة من السلطان الأكرم ، والنور المستطيل الأعظم » (قانصوه) ادام الله توفيقه ، وأوضح الى كل مقصود مبرور طريقه » . وأضاف قائلاً :

« ولقد استرجحنا ارسال هذه الرسالة بيد صاحبنا الفقيه العالم بقية المجاهدين صلاح الدين بن سراح الله كتب الله هدايته ، وأحسن رعايته ، لإنهاء التهنئة بما فتح الله على يدكم من الفتوح الهنيئة ، والحث لكم على استدراك هذه البقية من عترة نبيكم الزاهرة الزكية ، وبذل المعاونة على استخلاص سائر البلاد من يد هذا الطاغي وأعوانه وانصاره ، وقد بقيت لنا بلاد محاددة لبلاده ، ونحن نفتقر فيها الى المعاونة منكم بما امكن من الرجال والعدة ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ، والله خير الناصرين ، وأكرم القادرين ، والفقيه صلاح الدين يحقق لكم كل ما لا يتسع له كتابي ، ولا تقوم به إلا المشافهة والخطاب وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين وآله وصحبه اجمعين » .

ولمّا(٣) وصل الفقيه صلاح الدين بكتاب الإمام شرف الدين الى الأمير حسين الكردي الى كمران استشار هذا كبار معاونيه فأشار عليه بعضهم بأن يطلب من الملك عامر بن عبد الوهاب آل طاهر المعونة والمدد في حرب الإفرنج فإن قبل كان ما نسبه اليه الإمام منافسة له في ملكه ، وإن أحجم كان الحق في جانب الإمام ، وأنّ الأمير (حسين الكردي) بعث الى الملك عامر بمبعوثين لطلب المدد منه ، وانه استشار وزيريه علي بن محمد

---

(٣) نفس المصدر ص ١٩ .

النظاري وعلي بن محمد البعداني ، فأشار عليه النظاري بأن يمدّ المماليك ويساعدهم على حرب البرتغاليين ، لما في ذلك من نصرة الدين ودفع المكروه عن الدولة الطاهرية ، ولكنه أخذ برأي الوزير البعداني الذي خالف رأي الوزير النظاري ، ووكل اليه الملك عامر ان يتصرف بالأمر بما يراه ، وقام البعداني باستدعاء المبعوثين وأغلظ لهما القول ، فعاد المبعوثان الى الأمير الكردي وأخبراه بما حدث ، قال المصدر[٤] « فأجاب الكردي على الإمام شرف الدين بما أشفى عليله وأطفأ غليله ووعده بتلبية طلبه » .

وقد اعطى رد الملك عامر عبد الوهاب السلبي عن طريق وزيره البعداني المبرر للمماليك لتنفيذ هدفهم وتحقيق مطامعهم في السيطرة على اليمن .

وكان الملك عامر قد وافق على ان يقيم المماليك قواعد بحرية لهم في السواحل اليمنية بناء على طلبه ، وذلك بعد هجوم البوكيرك (نائب ملك البرتغال وقائد قواته في بحر الهند والبحر الأحمر) على عدن عام ١٥١٣ م ، ولما فشل هجوم البرتغاليين بعد صمود العدنيين دون أية مساعدة خارجية ، وتأخرت المساعدة نفسها تراجع الملك عامر عن الوفاء بوعده واعطى بذلك الأمير حسين الكردي قائد قوات المماليك المبرر للاستيلاء على السواحل والموانىء والمدن اليمنية لإحكام سيطرة المماليك على موانىء اليمن والتحكم في البحر الأحمر شماله وجنوبه كما سلف .

وقام بأول اتصال بالملك عامر عبد الوهاب من ميناء جيزان في البحر الأحمر وأول الموانىء اليمنية في عا م ١٥١٥ م (٩٢١ هـ) بعد ان سمح له بالتمركز فيه اشراف جيزان الذين[٥] كانوا على اتصال سابق بالمماليك في مصر ، وشجعوهم على ارسال حملة الى اليمن للقضاء على حكم الملك عامر عبد الوهاب واخبر الأمير الكردي الملك عامر بوصول الحملة المملوكية

---

(٤) روح الروح ص (٢٠ .

(٥) الدكتور السيد مصطفى سالم في (الفتح العثماني الأول لليمن) ص ٨١ .

لمحاربة البرتغاليين ، وطلب منه مساعدته ومده بالمعونة من المال والطعام ، ولم يجب الملك عامر عليه اجابة واضحة .

ثم كرر الكردي طلبه ذلك من جزيرة كمران بعد استيلائه عليها ، كإنذار اخير في الظاهر ، وبعد وصول رسالة الإمام شرف الدين اليه ، جدد طلبه المعونة منه بالمال والطعام على حرب البرتغاليين مدلاً عليه بما سبق له من المكاتبات الى السلطان قانصوه الغوري في طلب النجدة ، وكان الملك عامر قد مال الى المساعدة ، ولكن وزيره البعداني اشار عليه بعدم اجابة الطلب خشية ان يتحوّل طلب المماليك الى جزية سنوية يطالب بها اليمن باسم محاربة البرتغاليين ، ورد رسول الأمير الكردي رداً غير مستحسن ، وأمر الملك ولاته في الموانىء اليمنية بمنع وصول الطعام الى المماليك في جزيرة كمران لزحزحتهم منها ، الأمر الذي شجع المماليك على القيام بتنفيذ مخططهم وضرب ميناء الحديدة بمدافعهم واضطروا حاميتها وأهلها الى مغادرتها ، ودخلها المماليك وانتهبوها ، ونقلوا الكثير من اخشابها في مراكبهم الى جزيرة كمران ، وبنوا فيها داراً كبيرة وسوروا الجزيرة وبنوا بعض المرافق الأخرى فيها ، وضاعفوا من تعبئتها بالمؤن والأغذية والعتاد ، واتخذوها مركزاً رئيسياً لهم يصدرون منه في حرب الدولة الطاهرية ويفيئون اليه .

وعادت القوات الطاهرية الى الحديدة بعد ان غادرها المماليك ، وأتخذوا مراكزهم لحمايتها وقووا تحصيناتها للدفاع عنها ، كما عاد اليها أهلها وأخذوا مراكزهم بجانب قوة الدولة الطاهرية ، الأمر الذي تعذر معه على الغزاة استئناف غزو اليمن من الحديدة ، وجعلهم يتحولون الى ميناء اللحية احد موانىء اليمن على البحر الأحمر ،وتمكنوا من أن ينفذوا منه بمساندة شيخ اللحية وزعيمها الفقيه (ابي بكر الزيلعي) الذي كان قد وصل الى المماليك الى كمران وقوى صلته بهم ، ومدوه بالأسلحة والعتاد لمساندتهم ضد آل طاهر .

كما ساند المماليك في التوغل داخل اليمن قبائل بلاد الزيدية في تهامة

الـذين كانـوا في حروب مستمـرة مـع آل طـاهـر ، وحملوا مـع أهـل اللحيـة السـلاح وحاربـوا في صفوف المـماليك ، بـل وحملوا الى المـماليـك واجبـات الـدولة في بـلادهم ، وبفضل هـذا الـدعم المحـلي من أهـل اللحيـة في وادي مور ومن أهل الزيدية في وادي سردد من تهـامة للغـزاة المماليـك الى جانب تفوقهم بالأسلحة النـارية التي لا عهـد لليمنيين بها آنذاك ، وتفـوقـوا في المعـركـة التي قـامت بينهم وبـين اليمنيـين ، وأسفـرت عن انهزامهـم ومقتل قائدهـم الأمير محمد بن سليمان بن جياش السنبلي .

وقد جهز الملك عامر عبد الوهاب بعد علمـه بذلـك جيشاً من المقـرانة بقيـادة ابن اخيه الأمـير عبد الملك بن عبـد الوهـاب آل طـاهـر لصـد الغـزاة وحلفائهم من أهل تهامة .

في حـين تقـدم الأمـير حسـين الكـردي عـلى رأس قـوات اخـرى من كمـران لتعزيـز قواتـه التي تحارب في تهـامة ، ومعـه ابن امير جيـزان (عـز الـدين احمد بن دريب) عـلى رأس قواتـه ، وقامت معـركة بـين الجـانبـين لم تسجـل الإنتصـار الحـاسم لأيهـما ، وقـد ثبت فيهـا الأمـير عبـد الملك ثبـاتـاً حسناً ، قال المصدر[٦] انه « قتـل تحته ثـلاثة افـراس اثناء المعـركة » وقتـل في المعركة الكثير من الجانبين ، وأصيب الأمير عبد الملك برصـاصة اضـطرته الى الانسحاب بثبات الى زبيد ومعه عدد من رؤوس قتلى الغزاة » .

في حـين واصـل الغـزاة تقـدمهم نحـو زبيـد ، وتمكنـوا من الاستيـلاء عليهـا ، بسبب انحلال معنـويات القـوات الطاهـرية اثـر اصابـة الأمير عبـد الملك ، وبفضـل مسانـدة اليمنيين من أهـل الواديـين (مور) و(سـردد) كما عرفنا ، وكان استيلاؤهم عليهـا في اليوم التـاسع عشر من شهر جمـادي الأولى عام ٩٢٢ هـ ١٥١٦ م ، وأقام الأمـير الكردي في زبيـد سبعة وعشـرين يومـاً صادر خلالها الأموال من خـزانة الـدولة وامنـائها ومن التجار ، ونهبت قـواه

---

(٦) عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين في (روح الروح) ص ٢٠ .

المـواطنـين وانتهكت الحـرمـات ، ثم استنـاب احـد كبـار رجـالـه ويـدعى (برسباي) وغـادرها الى مينـاء (البقعة) في سـاحل زبيـد بدعـوى الحصول من مراكبه على الأموال ، والـوفاء منهـا لقواتـه بما وعـدهم به عنـد استيلائهم على زبيد وهو مائة دينار ذهبـاً لكل فـرد منهم ، وفي الميناء المـذكور ركب مـع قائد قواته البحـرية (سلمـان الرومي) ومـع عدد من خـاصته وقـواته سفنهم بما شحنوها من أموال ونفائس الى جزيـرة (زياع) بالقـرب من (مصوع) ، وانتهبوا منها ما امكنهم نهبه ، ثم غادروها ، الى ميناء جدة مقـر عمله ومركـز اقامته الرئيسي ، وجهز القـائد (سلـمان الرومي) الى زبيـد ليقود قـواته في توغلهم داخل اليمن .

وقـد قام هـذا بغزو عـدن من زبيد ، أو[٧] أن الأمـير حسين الكـردي نفسه هو الذي قام بغزوها من البحـر قبل عـودته الى جـدة ووصلها في رجب ٩٢٢ هـ أغسطس / ١٥١٦ م وتمكن من الاستيلاء عليهـا في باديء الأمـر ، بعد ان ارتفع عنها اميرها (مرجان الظافري) وحاميتهـا الى جبل صيـرة احد جبالها المحيطة بها .

ولّما طمع المماليك بالاستيلاء على جبل صيـرة لتأمـين المدخـل الوحيـد الى عدن من جهة البحر ، وأحاطوا بصيرة هـاجمهم الأمير الـظافري من بـاب خلفي للجبـل وهزمهم بقـواته هـزيمة منكـرة بعد ان قتلوا عـدداً منهم ، كـما حمـل من بقي في حصن صيرة من الجنـود على فلول المـماليك رميـاً بالحجـارة وقتلوا عدداً منهم أيضاً ، واستعاد الأمير مرجان مدينة عدن .

ولكن قائد الغزاة حوّل هجومه عـلى حصن صيرة منتهـزاً خلوه من قوة رادعة واستولى عليه .

وفي سحـر احدى الليـالي طمع في استعـادة عدن فهجم عليهـا بقواتـه التي استعـادت قواهـا في حصن صيرة ، ولكن قـوات الدولـة الـطاهـريـة في

---

(٧) الدكتور السيد مصطفى سالم في (الفتح العثماني الأول لليمن) ص ٨١ .

عدن كانت يقظة ، فتصدت لهم حتى الصباح . وفيه تكاتف أهل عدن مع حاميتها ومع بقية جنود الأمير مرجان الظافري وحملوا جميعاً على المماليك حملة صادقة سجلت النصر لليمنيين وقتلوا عدداً من المماليك .

وفي اثناء ذلك وصل مدد الدولة الطاهرية بقيادة الأمير عبد الملك بن عبد الوهاب آل طاهر لتعزيز حامية عدن ، وانقطع بوصوله كل امل للغزاة في الاستيلاء على عدن ، وانسحبوا منها ومن حصن صيرة حيث ركبوا مراكبهم الراسية بسواحلها ، وحدث مع ذلك ان وضع مرجان الظافري كميناً في طريق انسحابهم قتل عدداً من الغزاة .

ولقد كان لانتصار الطاهريين في عدن اثره لدى الجانبين ، وكان بالطبع مختلفاً طبيعة اختلاف حالة المنتصر والمنهزم في احداث عدن ، المنتصر بعد انهزام ، والمنهزم بعد انتصار ، فالمنتصر في احداث عدن وهم الطاهريون بعد تكرر انهزامهم فيها وفي غيرها طمعوا في المزيد من الانتصار على المماليك ، ، ولم يقبلوا بالصلح الذي عرضه المماليك عليهم عن طريق القاضي صفي الدين احمد بن عمر بن احمد المزجد ، والذي يقضي بتوقفهم على ما قد تمركزوا فيه في تهامة ، وحسب الطاهريون العرض مكيدة وخدعة ، والمنهزم في احداث عدن وهم المماليك بعد ان توالت لهم الانتصارات فيها في بادىء الأمر وفي غيرها ، حسبوا انهزامهم في عدن فاتحة غير مشجعة بعد سفر أميرهم حسين الكردي الى جدة ، وتقدموا بعرضهم المذكور ، وهم قد حققوا أهّم ما يطمعون اليه وهو التمركز في تهامة وسيطرتهم على بعض موانئها ولهم امل في الاستيلاء على بقيتها ، ولم يتم عقد صلح بين الجانبين كما عرفنا .

توغل قوات المماليك في اليمن وسقوط الدولة الطاهرية
(٩٢٣ - ٩٤٥ هـ) (١٥١٨ - ١٥٣٦ م)

وتقدم الملك عامر عبد الوهاب من المقرانة على رأس قواته لمنازلة المماليك وعسكر بالتُّرَيْبَة بالقرب من زبيد ، وتقدم المماليك بدورهم من زبيد بقيادة (برسباي الغوري) وقامت حرب بين الجانبين استمرت ثلاثة أيام لم تسجل النصر الحاسم لأيهما ، الأمر الذي دفع بالمماليك الى الهجوم ببعض فرسانهم اثناء معركة اليوم الثالث على محطة الملك عامر لانتهابها ، بهدف افشال واربك جيش الملك ، وفعلاً احدث ذلك ذعراً بالحامية ، وأدى بالتالي الى ارباك جيش الملك واضطراره هو الى الانسحاب من ميدان المعركة بثبات الى مكان قريب منها ببعض قواته ، ثم انسحابه بكامل جيشه الى تعز .

أمّا[٨] المماليك فإنهم عادوا الى زبيد بمعنويات مرتفعة ، وأقاموا فيها أياماً أكملوا أثناءها استعدادهم لمواصلة حربهم لآل طاهر ، ثم تقدموا نحو تعز ودخلوها دون أي مقاومة وذلك في التاسع من شهر صفر سنة **٩٢٣** هـ فبراير / شباط ١٥١٧ م كما استولوا على حصنها (القاهرة) لأن الملك كان قد غادر تعز الى مدينة إبْ ، حيث اقام فيها حتى علم بتحرك المماليك من تعز نحو المقرانة مركز الملك عامر الرئيسي في بلاد رداع ، فسبقهم اليها وأخذ منها ما خفَّ حمله الى بعض الحصون المنيعة في المنطقة .

وجاء المماليك الى المقرانة وعبثوا فيها نهباً وسلباً كعادتهم ، وهدماً وإحراقاً ، ثم غادروها نحو صنعاء ، ولمّا توسطوا بلاد عمار النادرة فاجأهم أهلها وأمعنوا فيهم قتلاً ونهباً ، وممن قتل من المماليك قائدهم برسباي المذكور ثم استجمعوا قواهم ونصبوا احد كبارهم ويدعى (اسكندر محمد) وعادوا الى المقرانة حيث اقاموا فيها أياماً ، ثم غادروها نحو صنعاء عن غير طريق بلاد عمار .

---

(٨) اللطائف السنية (مخطوط) .

وقد شجع انهزامهم في وجه أهل عمار الملك عامر عبد الوهاب على حربهم اثناء سيرهم الى صنعاء ، وسجل بعض الانتصارات التي شجعته على مواصلة تقدمه نحو صنعاء للدفاع عنها ، مخالفاً رأي اخيه الأمير عبد الملك عبد الوهاب الذي نهاه عن حرب المماليك في بلاد صنعاء لئلا يجتمع عليه عدوان (المماليك والزيدية على حد ما جاء[٩] في نصحه له) .

ولكن المماليك فاجأوه بالحرب قبل ان يتمكن من دخول صنعاء ، وقبل أن يأخذ جيشه أهبته للقتال ، واسفرت المعركة التي قامت على أبواب صنعاء عن انهزام جيش الملك عامر ، وعن مقتل اخيه الأمير عبد الملك الذي جاء من عدن على رأس قواته لمناصرة اخيه برغم معارضته له في حرب المماليك في بلاد صنعاء . ثم قتل الملك عامر عبد الوهاب وهو منسحب في الطريق الى حصن ذي مرمر بعد ان عرفه رجل من سعوان ودلّ المماليك عليه ، وكان ذلك في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول من عام **٩٢٣** هـ **١٥١٧** م ، وبذلك سقطت دولة آل طاهر في معظم اجزاء اليمن بايدي المماليك الشركس بفضل مساندة اشراف جيزان والكثير من اليمنيين المناوئين لآل طاهر وبفضل تفوق المماليك بالأسلحة النارية التي لم يكن لليمنيين عهد بها آنذاك .

ودخل المماليك الغزاة صنعاء بعد ان امنوا عاملها لآل طاهر علي بن محمد بن عيسى البعداني ولحق بالأمير (عامر بن داود آل طاهر) الذي كان قد احتفظ لنفسه بنفوذ في بلاد رداع ، ثم وسعه اثناء اشتغال المماليك بحروبهم مع الإمام شرف الدين ، وبعد انهزامهم من صنعاء وانحسار نفوذهم الى زبيد إثر سقوط دولتهم في مصر والشام على ايدي العثمانيين ومقتل ملك المماليك (قانصوه الغوري) ، واشتغال الإمام شرف الدين بحروبه مع منافسيه من الأشراف في القسم الأعلى من اليمن كما سبق ،

---

(٩) روح الروح ص ٢٦ .

وامتدّ نفوذ الأمير عامر بن داود آل طاهر إلى بلاد اب وبلاد تعز والى المنطقة الجنوبية بما فيها عدن والمنطقة الشرقية المجاورة لبلاد رداع .

ولما فرغ الإمام شرف الدين من حروبه مع منافسيه جهز ولده المطهر من بلاد نجران الى بلاد رداع فبلاد الشعيب لحرب آل طاهر واستطاع أن يحصر نفوذ الأمير عامر بن داود في عدن .

حتى جاء القائد التركي سليمان باشا المعروف بالخادم الى عدن وغدر بالأمير عامر باستدعائه الى سفينته في الساحل وقتله وولى عليها من قبله باسم الحكم التركي وكان ذلك بداية النفوذ الفعلي للحكم العثماني الأول في اليمن عام ٩٤٥ هـ وفي عهد السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد ، كما سيأتي تفصيل كل تلك الأحداث في مواضعها بإذن الله .

نظرة عامة في دولة آل طاهر

اقام آل طاهر دولتهم في اليمن على انقاض دولة بني رسول .

وآل طاهر كما علمنا في ارجح آراء المؤرخين والباحثين يمنيون من جبن رداع ، لَا قَرْشِيون تهاميون ، ولا قُرَشِيون أُمويون كما ذهب الى هذين الرأيين بعض المؤرخين

وقد ساعدهم على الاستيلاء على الحكم من بني رسول امور أهمها :

١ ـ النفوذ الذي حصلوا عليه بتوليهم بعض الأعمال الهامة لبني رسول في آخر عهدهم ، ومنها نيابة اعمال عدن ولحج وبلاد رداع وغيرها .

٢ ـ قيامهم بمساندة الملك المظفر الثاني ضد منافسه الملك المسعود الرسوليين في آخر عهد الدولة الرسولية ، وحربهم للملك المسعود المذكور قبل تنازل المظفر له وبعده ، وحربهم اخيراً للملك المؤيد الرسولي آخر ملوك بني رسول ،وذلك بعد اعتزال الملك المسعود الحكم حتى استولوا على مدينة عدن التي كان المؤيد يعتصم بها .

وكـان استيلاؤهم عـلى مدينـة عدن في شهـر رجب من عـام ٨٥٨ هـ ١٤٥٤ م هو بداية حكمهم .

ولقد انتهج بنو طاهـر سياسـة عدم سفـك الدمـاء إلا حينها يضـطرهم الأمر الى ذلك .

كما انتهجوا سياسة العـزلة وعـدم الانفتـاح عـلى العـالم الخـارجي إلا بحدود وحينما يقتضيهم الأمر ذلك .

وقد إبتلى بنـو طاهـر بما ابتـلي به بنـو رسول قبلهم من تمرد وعصيان قبائل تهامة وأهمها : المعازبة والقَرْشية في واديي رماع وسهـام ، والأشاعـر في وادي زبيد . ، وبنـو حفيص وغيـرهـم من قبـائـل وادي مـور ووادي سـردد ، وقبائل مخلاف جعفر وقبائل المنطقة الجنوبية والشرقية .

الى جـانب الخـلاف التقليـدي مـع الأشـراف في القسـم الأعـلى من اليمن ، ذلـك الخلاف الـذي طـال امـده ، والـذي كثيـراً مـا أدى الى قيـام الأشراف بمحاولة مد نفودهم الى مناطق نفـوذ آل طاهـر ، بهدف منـع هؤلاء من استعـادة نفـوذ دولتهم في القسم الأعـلى بعـد خـروج صنعـاء عـلى آل طاهر ، ومقتل الملك عامر الأول على أبوابها عنـد محاولتـه استعادتهـا ثم مقتل الملك عـامر الثـاني على ابـوابها كـذلك ، وان كـان مقتل هـذا قـد حـدث في حربه مع المماليك ، ولكنه حدث في منطقـة عبّر عنهـا اخوه الأمـير عبد الملك عبد الوهاب في معارضته للملك عامر عبد الـوهاب بحـرب الممالـيـك في بلاد صنعاء بقوله « لئلا يجتمع عليه عدوان الزيدية والمماليك »

كمـا ابتلى آخـر ملوك آل طاهـر عامـر عبد الـوهاب بخـلاف أخـوالـه وغيـرهـم من اسرتـه في بدايـة عهده ، وشجـع خـلافهم عليـه وحـربهم معـه العـديد من قبـائل تهـامة عـلى الخروج عليـه واقـلاق الأمن ونشـر الفسـاد في المنطقة ، وأضعفت حروب الملك عامر مع هؤلاء وأولئـك ومع الخـارجين في المنطقة الجنـوبية والشـرقية أيضـاً الملك عامـر نفسه في حـروبه مـع المماليـك

الذين ادى مساندة الكثير من اليمنيين لهم مع ذلك ، وتفوقهم بالأسلحة النارية التي لم يتسلح بها جنود الملك عامر الى تفوق المماليك وسقوط الدولة الطاهرية بعد مقتل الملك عامر اثر انهزام جيشه ومقتل اخيه الأمير عبد الملك عبد الوهاب والملك عامر في طريق انسحابه الى حصن ذي مرمر كما علمنا.

كما ساند المماليك ضد الدولة الطاهرية اشراف الشمال بزعامة الإمام شرف الدين واشراف المخلاف السليماني وجيزان ، وحارب هؤلاء في صفوف المماليك كما علمنا ايضاً .

وكما شجع استعانةُ الملك عامر بن عبد الوهاب بالمماليك لطرد البرتغاليين في بداية ترددهم على السواحل اليمنية ، المماليك للتدخل في شؤون اليمن وبسط نفوذهم عليه ، كذلك شجع استعانة المماليك بالعثمانيين ضد البرتغاليين أيضاً ، العثمانيين على الاستيلاء على دولة المماليك في مصر والشام والحجاز واليمن ايضاً ، إذ أنّ مجرد طلب العون والمساندة يشعر بضعف الجانب المستعين والوقوف على احواله ومواطن ضعفه والثغرات التي يمكن النفوذ منها للقضاء عليه ويعطي الجانب المستعان به المبرر للتدخل باسم المساندة في بداية الأمر .

وهذا هو ما حدث لآخري ملوك بني رسول لدى استعانتهم بآل طاهر .

وهو ما تحاشاه الملك عامر في قطع صلته بالمماليك ، ومنع مدهم بالمعونة ، ولكن بعد فوات الأوان .

وتعتبر(١٠) دولة بني طاهر آخر الدول السنية الجنوبية التي كانت تتوالى على الحكم في اليمن ، والتي حالت دون امتداد نفوذ الأئمة الى المنطقة الوسطى والمنطقتين الجنوبية والشرقية .

ولقد حاول بنو طاهر توحيد اليمن تحت سيادتهم ، فلم يتمكنوا من ذلك ، لاصطدامهم بالأئمة المتمركزين في المنطقة الشمالية مع اشتغالهم بالخارجين عليهم داخل منطقة نفوذهم ، وظلت البلاد

(١٠) الفتح العثماني الأول لليمن ص ٣٤ .

مقسمة بين الطاهريين والأئمة ، حتى آخر ملوكهم وهو الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر الذي نجح الى حد كبير في إضعاف نفوذ الأئمة ومد نفوذه الى بلاد صعدة وجيزان ونجران في الشمال والشمال الغربي ، والى حضرموت وعدن وسائر المناطق الجنوبية والشرقية والى تهامة حتى حلي بن يعقوب في المخلاف السليماني في تهامة الشمالية الغربية ، وكان يكتفي من بعض زعماء المناطق النائية بدفع واجبات الدولة ولو بصورة رمزية ، كضمان لولائهم له ، أي أنه عمل على توسيع رقعة دولته خلال التسعة والعشرين عاماً من حكمه ، وعلى عكس أبيه الذي قنع بالعيش بسلام مع باقي السيادات التي عاصرته وخاصة الأئمة الزيدية ، ودون أن يدخل معهم في نزاع وحروب كما فعل ابنه عامر عبد الوهاب ، وهذا من الناحية السياسية .

أمّا الناحية الاقتصادية والعمرانية لدولة آل طاهر فقد عرفنا انهم بدأوا حكمهم بالاستيلاء على مدينة عدن لأهميتها من الناحية الاقتصادية ، اذ انهم تمكنوا بمواردها من التجارة من التوسع في بسط نفوذهم في اليمن ، وحرصوا عليها وصمدوا في وجه الغزاة البرتغاليين أولاً ، ثم المماليك ، برغم امتداد نفوذ هؤلاء في معظم مناطق نفوذ آل طاهر ، واحتفظ الأمير عامر بن داود بن طاهر بنفوذه فيها وفي المنطقة الشرقية بعد مقتل الملك عامر عبد الوهاب ، وسقوط دولته ، حتى غدر به القائد التركي سليمان باشا وقتله في سفينته بعد استدعائه اليه لعرض فرمان الدولة العثمانية عليه ، ولمكافأته على ما قدمه من خدمة جليلة للأمراض من جنوده البحرية الذين كانوا يطاردون البرتغاليين في سواحل البحر الأحمر كما لوح له عقب دعوته اليه .

ولمّا احتكر التجارة الشرقية البرتغاليون بعد اكتشافهم طريق الرجاء الصالح في افريقيا الى الهند ، وقلت بسبب ذلك موارد الدولة الطاهرية ضعف جانبهم ، وكان ذلك من العوامل التي ساعدت المماليك على التغلب عليهم ، كما كانت للدولة الطاهرية موارد اخرى غير التجارة ، وتتمثل في واجبات الدولة

التي اشتهر عدلهم بالرعية فيها وفي غيرها ، فعملوا على رفع المظالم عن كواهل الزراع ، وشجعوا الزراعة ، لولا ما كان يحدثه خلاف القبائل وفي تهامة بالذات ، من اضطراب واخلال بالأمن وسلب ونهب للزراع .

وكانت الزراعة هي المصدر الرئيسي للدخل القومي الى جانب مصادر اخرى من التجارة ومختلف الحرف ، ومن الهجرة وغيرها ، وكانت الناحية العمرانية في عهد الدولة الطاهرية تزدهر بازدهار الاقتصاد في المناطق التي يتوفر فيها الأمن والاستقرار ، فحيث يتوفر الأمن والاستقرار يتوفر الرخاء وتزدهر التجارة وتنشط الزراعة وغيرها .

ومع ذلك فللطاهريين اصلاحات عمرانية في الطرقات والسدود وفي المساجد والمدارس والرباطات وغيرها مما يتلائم وعهدهم ، وبالذات عهد آخر ملوكهم عامر عبد الوهاب الذي تميز عهده بالقيام ببعض الأعمال العمرانية والاصلاحات التي اصبحت موضع تقدير معاصريه الى ما بعد وفاته بسنوات طويلة ، فقد وجه اهتمامه الى بناء المدارس والمساجد ، ووقف الأراضي عليها ، وعامرية رداع ذات البناء الفخم وغيرها ، شاهد حي على اصلاحاته العمرانية ، برغم اشتغاله بالحروب مع أسرته ومع الكثير من القبائل ومع المماليك ، والتي كلفته جميعها الكثير من الأموال والوقت والجهد وكلفته اخيراً حياته ، وبالرغم من تناقص موارد دولته بعد احتكار البرتغاليين للتجارة التي كانت تعبر البحر الأحمر كما سبقت الاشارة إليه . ومن المساجد الشهيرة التي بنيت في عهد الملك عامر عبد الوهاب عامرية ، رداع وعامرية جبن ومسجد المشنة في سفح جبل بعدان بمدينة اب وربما ومسجد الجلالية العليا بمدينة اب ايضاً لأن طابع بنائهما متحد وهو ما ذهب إليه بعض المؤرخين .

كما اهتم الملك عامر عبد الوهاب بحفر الآبار وشق القنوات وتمهيد طرق القوافل وتأمينها ، ومد قنوات الري الى عدن ، وبنى فيها صهريجاً كبيراً لعله الصهريج المعروف بصهريج القبة اسفل صهاريج عدن بالطويلة ، لأنه صهريج اسلامي متميز عن بقية الصهاريج القديمة .

ومن[11] ناحية اخرى اقام الملك عامر عبد الوهاب في وادي زبيد سداً ترابياً ضخما لحماية الأراضي الزراعية من اجتراف السيول لها ، كدليل آخر على اهتمامه بشؤون الزراعة . كما[12] قام بتعبيد شوارع مدينة اب بالحجر وتوصيل الماء اليها من اسفل جبل بعدان عن طريق ساقية بناها فوق عقود عالية(صورة رقم ٦٣) هدمت للاسف عند الاستغناء عنها في بداية ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عام ١٩٦٢م - خطأً من مكتب أوقاف إب تاريخ هدمها .

أمّا الناحية الاجتماعية والثقافية فلأنّ آل طاهر خلفوا آل رسول في الحكم ، وكان عهد الدولة الرسولية مزدهراً وفي هاتين الناحيتين بالذات ، فإنّ بني طاهر (وهم نواب الدولة الرسولية وكبار رجالها) قد تأثروا بنهجهم ، وراعوا الجانب الاجتماعي والثقافي في عهدهم ، وبالذات في عهد الملك عامر عبد الوهاب ، الذي[13] عمل على تنشيط الحياة الثقافية ، فبالإضافة الى اهتمامه ببناء المدارس وتقريب العلماء اليه ، فإنه كان يهتم باقتناء الكتب ، كما كان يأمل بكتابة نسخ منها لوضعها في جامع زبيد ، حتى تكون تحت تصرف العلماء ، وكان يستقبل المؤلفات الجديدة بكل حفاوة وتقدير لمؤلفيها .

وكان تركيب البنية الاجتماعية في عهد الدولة الطاهرية لا يختلف عنها في الدولة الرسولية ، إذ كان المجتمع اليمني يتألف من فئات ، ارفعها فئة العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء ، فسائر الفئات الأخرى كفئة المهنيين وفئة التجار والفئة القبلية التي تسود عادة في الريف، وفيه تحتفظ بطابعها وتقاليدها .

---

(١١) الدكتور السيد مصطفى سالم في (الفتح العثماني الأول لليمن) ص ٣٩ .

(١٢) الاستاذ اسماعيل الأكوع في كتابه (المدارس الاسلامية في اليمن) والقاضي حسين احمد السياغي في كتابه (معالم الآثار اليمنيه) .

(١٣) نفس المصدر ص ٤٠ .

الفصل الرابع من فصول تأريخ
حكم الأئمة في اليمن
(٨٧٦ - ١٠٠٦ هـ)
(١٤٨٢ - ١٥٩٨ م)

الإمام المؤيد محمد بن الناصر

دعا[١] (محمد بن الناصر بن احمد بن الإمام المتوكل المطهر بن يحيى) عام (٨٧٦ هـ) وذلك عقب موت والده بحصن العروس من بلاد كوكبان حيث كان معتقلاً فيه من الإمام المتوكل المطهر بن محمد بن سليمان الحمزي في العام المذكور ، ولقب محمد بن الناصر بالمؤيد .

فهو قد عارض الإمام المتوكل المذكور الذي تحالف عليه مع أمير صعدة الشريف الهادي بن الحسين بن علي بن قاسم الحمزي ، والداعي ابن الأنف الهمداني زعيم همدان ، وقصدوه الى صنعاء ، ولكن الإمام المؤيد ردهم عنها ، وصارت[٢] اليمن في ذلك التأريخ مجزأة على النحو التالي :

الإمام المتوكل في بلاد كوكبان .

الإمام المؤيد في صنعاء وبعض اعمالها .

الداعي بن الأنف الهمداني في بلاد همدان صنعاء .

---

(١) السيد محمد بن محمد زبارة في تأريخه (ائمة اليمن) ص ٣٣٤ .

(٢) محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه اللطائف السنية (مخطوط) .

الشريف محمد بن أحمد بن الحسين الحمزي في صعدة وأعمالها .

وبنو طاهر في رداع واعمالها والبلاد الشرقية واليمن الأسفل وتهامة وعدن وسائر المناطق الجنوبية .

وثمة غير هؤلاء زعماء محليون يحكمون مناطقهم بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

وكانت للإمام المؤيد أحداث مع آل طاهر كما علمنا الكثير منها في الفصل الخاص بتأريخ (ال طاهر) .

وكانت[3] وفاة الإمام المؤيد في صنعاء عام (٩٠٨ هـ) عن إحدى وأربعين سنة من حكمه .

أمّا الإمام المتوكل فإنه كان قد توفي في مدينة ذمار عام (٨٧٩ هـ) حيث كان قد استولى على ذمار منذ مقتل الملك عامر الأول آل طاهر على أبواب صنعاء في عام (٨٧٠ هـ) كما علمنا في الفصل الخاص بتأريخ آل طاهر .

الأئمة المتعارضون ادريس بن وهاس ومحمد بن يوسف وعز الدين اليحيوي

دعا[4] ادريس بن عبد الله بن محمد بن علي بن وهاس الحمزي في مرض الإمام المتوكل المطهر بن يحيى في عام (٨٧٨ هـ) ولقب بالمهدي ، وكانت دعوته في حصن الظفر ببلاد الظاهر بالقرب من ذي بين حاشد ، ولم يلب الناس دعوته ، ولم يلتفوا حوله ، ولم يقم هو بأي حركة ذات أثر حتى مات في الحصن المذكور ، ولم يذكر المصدر تأريخ وفاته .

وفي عام (٨٧٩ هـ) دعا محمد بن يوسف بن صلاح المرتضى بن الحسن ابن علي بن يحيى بن منصور بن مفضل الحسني في مدينة ثلا بعد وفاة الإمام

---

(٣) ائمة اليمن من ص ٣٣٩ .

(٤) زبارة أيضاً في ائمة اليمن من ص ٣٤٣ .

المتوكل المذكور ، ولقب بالناصر وبث دعاته في كثير من مناطق القسم الأعلى من اليمن ، وأجابه الأشراف الحمزات في صعدة وخطبوا له فيها منذ عام (٨٨٠ هـ) الى شهر ذي القعدة من عام (٨٩٣ هـ) ، وكان ذلك مجرد انتماء اليه دون ان يمدوه بشيء من المال ، ولا حكم هو شيئاً من بلاد صعدة ، وقد توفي في ثلا عام ٨٩٣ هـ .

أمّا عزالدين بن الحسن بن الإمام الهادي علي بن المؤيد جبريل اليحيوي الهادوي فإنه دعا في شهر شوال من عام (٨٧٩ هـ) ولقب بالهادي ، وأجابته المنطقة الشمالية الغربية في بلاد حجة وبعض بلاد صعدة ، ما عدا الأشراف الحمزات الذين ظلوا بزعامة محمد بن احمد بن حسين الحمزي وابناء عمه يخطبون للإمام الناصر محمد بن يوسف آنف الذكر كما اسلفت ، وكانت للإمام الهادي المذكور حروب مع الحمزات انهزم هو فيها وعاد الى هجرة فللة من بلاد صعدة وقد توفي في فللة عام (٩٠٠ هـ) .

الإمام الناصر الحسن بن عز الدين
والإمام المنصور محمد بن علي الوشلي

دعا[٥] الحسن بن عز الدين بعد وفاة والده الإمام الهادي عز الدين اليحيوي آنف الذكر في شهر رجب من عام ٩٠٠ هـ . ولقب بالناصر ، وكانت دعوته في هجرة فللة من بلاد صعدة ، وبث دعاته في مختلف مناطق القسم الأعلى من اليمن ، وممن اجابه الأشراف الحمزات في بلاد صعدة ، وأهل صعدة وبعض البلاد التابعة لها ، وعارضه الإمام المنصور محمد بن علي الوشلي السراجي ، الذي دعا في قرية القابل من اعمال صنعاء في اليوم السادس من شهر ذي القعدة من العام المذكور (٩٠٠) للهجرة .

وقد أجاب الإمام الوشلي أهل ثلا ومناطق اخرى ، ثم انتقل الى كحلان ومنها الى هجرة فللة من بلاد صعدة حيث والاه أهل بلادها ، ولم يلبث ان

---

(٥) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٣٥٦ .

انتقل منها الى الشرف من بلاد حجة بعد ان اعلن اهلها ولاءهم له ، واجتمع فيها مع **الإمام** الناصر الحسن بن عز الدين ، ولم يتنازل احدهما للآخر .

ثم تخلى اتباع الإمام الناصر عنه فتخلى هو عن الدعوة ، واستقل الإمام الوشلي بالدعوة ، وقد توفي الناصر في شهر شعبان من عام ٩٢٩ هـ .

كما وقع الإمام الوشلي في اسر الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر عند استيلائه على صنعاء عام (٩١٠ هـ) كما علمنا في الفصل الخاص بالتأريخ لآل طاهر ، وتوفي الإمام الوشلي في معتقل آل طاهر في شهر ذي القعدة من نفس العام المذكور .

وبناء على هذا فقد عارض الإمام المؤيد محمد بن الناصر صاحب صنعاء كل من الأئمة الخمسة من ادريس بن وهاس وحتى محمد بن علي الوشلي ، لأنهم دعوا الإمامة وهو ما يزال على قيد الحياة إماماً .

الإمام شرف الدين

ودعا شرف[٦] الدين يحيى بن شمس الدين بن الإمام المهدي احمد بن يحيى المرتضى في حصن الظفير ببلاد حجة ، في شهر جمادي الأولى من عام (٩٢١ هـ) . وبثّ دعاته في مختلف مناطق القسم الأعلى من اليمن ، ولم يجبه إلا القليل من أهل بلاد مسور ولاعة في بلاد حجة ، ولم يقم هو بعمل يذكر غير بثّ الدعاة والرسائل ومنها الرسالة التي بعث بها الى الأمير حسين الكردي قائد قوات المماليك في البحر الأحمر ، والذي كان قد نزل بقواته في جزيرة كمران ، وحرّضه على دعمه في حرب آل طاهر في عهد آخر ملوكهم (عامر بن عبد الوهاب) ، وصادفت دعوة الإمام شرف الدين لحرب آل طاهر هوى في نفوس المماليك لحكم اليمن ظلّ يراودهم منذ ترددهم على شاطىء اليمن ولأخذ المؤن منها في حربهم ومطاردتهم للبرتغاليين الذين كانوا قد اكتشفوا طريقاً الى الهند عن طريق (رأس الرجاء الصالح في جنوب غرب افريقيا) ، وبدأوا يترددون

---

(٦) نفس المصدر ص ٣٧٢ .

على سواحل البحر الأحمر الجنوبية بهدف اتخاذ مراكـز لهم يسيطرون منهـا على اليمن والحجاز وغيرهما .

وتمّ للمماليك التغلب على الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر بعد حروب مريرة وقاسية بين الجانبين انتهت بمقتل الملك (عامر) على أبواب صنعاء بفضل تفوق المماليك بالأسلحة النارية التي لم يكن لليمنيين آنذاك عهد بها ، وبفضل مساندة اليمنيين في تهامة وغيرها للمماليك كما مرّ بنا تفصيله في الفصل الخاص بآل طاهر من هذا الكتاب .

هذا وللمماليك حوادث مع الإمام شرف الدين بعـد مقتل الملك عـامر عبد الوهاب اليك تلخيصاً لها .

الإمام شرف الدين والمماليك

لّما قتل الملك عامر عبد الوهاب آخر ملوك آل طاهر على ايدي المماليك عند استيلائهم على صنعاء عا م ٩٢٣ هـ وقضوا على دولة آل طاهر في معظم اجزاء اليمن بعد حروب استمرت اكثر من عام ، استدعى الليث الدود حي عامل آل طاهر عل بلاد ثلا في الغرب الشمالي لصنعاء الإمام شرف الدين من بلاد حجة ، وتحالف معه على التكاتف لحرب المماليك[٧] .

وبينـما الحليفان يستعـدان لحرب المـماليك ، إذ فـاجأوهـما بقواتهم التي عسكرت بالقرب من مدينة (ثلا) مما يلي (قاع حوشان) ، وجرت مفاوضات بين الفريقين لم تفلح في وضع صلح يقضي بأن يقيم المماليك في صنعاء والإمام في ثلا ويلتزم كل بما بيده ، ثم قامت حرب بين الجانبين لم يكسبها أيهما ، ولكن المماليك استولوا على جبل التعبـرة (المعروف اليـوم بالنـاصرة) في المنـطقة ، وعززهم مركز قيادتهم في صنعاء بقوة اخـرى قوت من جـانبهم ، واستطاعـوا بذلك ان يضيقوا الحصار على مدينة ثلا وعلى حصنها الذي يقيم الإمام شرف

(٧) عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين في (روح الروح فيما جرى بعد المائة التاسعة من الفتوح) ص ٢٨ .

الدين فيه .

وبينما الحال كذلك اذ وصل الى امير المماليك في صنعاء (اسكندر مور) مبعوث السلطان سليم بن بايزيد العثماني من مصر يعلمه باستيلائه عليها وعلى الشام ، بعد مقتل ملك المماليك (قانصوه الغوري) في الحرب التي قامت بينهما ، في مرج دابق بالشام بالقرب من حلب وذلك في عام (٩٢٣ هـ) وطلب السلطان سليم من امير المماليك في صنعاء الولاء له وذكر اسمه في الخطبة بدلاً من اسم قانصوه الغوري المذكور، فأسقط في يد المماليك ،وطلب الأمير اسكندر مور من الإمام شرف الدين ان يبعث اليه من يمثله في مباحثات الصلح مرة أخرى ، فبعث عنه الشريف عبد الله بن وهاس الحمزي ، والشيخ حسن بن عبد الله الهمداني ، وجرت المفاوضات وكل من الفريقين يرغب بالإتفاق ، وتمّ ذلك على ان يكف كل عن حرب الآخر وأن يرتفع المماليك عن حصار ثلا ويعودوا الى صنعاء ، وعاد المماليك اليها ، وأعلن الأمير اسكندر ولائه للسلطان سليم العثماني على منبر جامع صنعاء .

وفي الثالث عشر من جمادى الآخرة من العام المذكور (٩٢٣ هـ) غادر الأمير الأسكندر صنعاء بمعظم المماليك الموجودين فيها الى زبيد عن طريق تعز ، وتمركزوا فيها ، وكانوا عند توسطهم بلاد اب في مسيرتهم هذه قد فوجئوا بقبائل حبيش ومخلاف الشوافي وغيرهم من أهل المنطقة ونهبهم وقتل عدد كبير منهم ، ولم يخلص المماليك من المنطقة إلا بصعوبة بالغة ، تحدث عن ذلك المؤرخ (عيسى بن لطف الله بن شرف الدين في تأريخه [٩] فقال « ثم خرج من محروس صنعاء بأكثر الشراكسة ونصب أعلامه المنكوسة لا الناكسة في اليوم الثالث عشر من شهر جمادي الآخرة من السنة المذكورة ، وصحبته الشريف صاحب جازان وعبد الملك بن محرم العبسي ، مستخلفاً في صنعاء حمزة الرايس اميراً من امراء الشراكسة ، والأمير احمد بن حمزة ، ثم قصد الأمير اسكندر مدينة زبيد على طريق التجار ، فلقيتهم جموع قبائل اليمن كحبيش

(٩) روح الروح آنف الذكر ص ٣٠ .

والشوافي ورياب وغيرهم ، من أهل تلك الجهات ، وشنت عليهم الغارات ونادوا بالثأرات ، فقتل من الشراكسة أمة ، ونهب ما قد جمعوه من الجواهر والعين والذهب واللجين ، وصار اثراً بعد عين ، واستكفلوا الخيل والبغال والجمال والأحمال ، وكانت جملة مستكثرة ، وذخائر موقرة .

ابداً تسترد ما تهب الدنيا   فيا ليت جودها كان بخلا

ومن جملة ما استنقذوه من الشراكسة من الأسرى (عامر بن عبد الملك ابن عبد الوهاب) » .

أمّا من بقي في صنعاء من المماليك فإنهم كانوا قد استمدوا العون من الأشراف الحمزات ، وجاء هؤلاء وعلى رأسهم الشريف محمد بن عبد الله الشويع يصحبهم ثمانون فارساً ، تساندهم همدان بزعامة الداعي بن الأنف ، والأمير حميضة بن الحسين قريب الشويع بخمسين فارساً ، واستطاع الشويع وحميضة وابن الأنف بما جمعوه من فرسان ومشاة أن يخلصوا المماليك من حصار اليمنيين في صنعاء ، وأخرجوهم منها الى عمران نزولاً على حكم الإمام شرف الدين وتحت حمايته ووساطة الشويع ومن معه من الزعماء ، بعد اتفاق بين الجانبين مثّل المماليك فيه احد كبارهم ويدعى (مقصود الدويدار) ، وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر شوال من نفس العام المذكور (٩٢٣ هـ) ، ودخل الإمام شرف الدين صنعاء عقب خروج المماليك منها ، وقد هنّأ الشاعر الكبير موسى بن يحيى بهران الإمام شرف الدين بالمناسبة بقصيدة بليغة مطلعها :

بات سميري والبرايا هجود   بدر تجلى في ليالي السعود
ما كان أحلى سمري عنده   حتى كأني في جنان الخلود
لمقلتي في خده جنة   محفوفة بالنار ذات الوقود

ومنها :

يا موقد النار بقلبي متى   تطفي لظاها برضاب برود

قــد كـنت أولى مِـن أراكِ الحـمـى بـالـرشف لــو أنّ بخيــلاً يجـود
ولـــو قضى بــالـعــدل مــا بيننــا فـاض وقـامت لي عليـك الشهـود

ومنها :

عجـــبت مـن ضـبـي عـــرين اذا رنــا بــعـيـنـيـه أمــات الأســود
لم ادر أيــن الـشـغــر مـن عـــقـــده لمّا تـســـاوى ثـغـره والـعـقـود

ومنها :

يــا ســاجر الأجــفــان واللحظ لــو قابلت مـــوسى يوم حشر الجنود
غــلبـت بــالــلحظ عـصـــاه ولم يخــر أهـل السحـر منهـا سجــود

ثم تخلص الشاعر الى مدح الإمام شرف الدين فقال :

جــاري من الجـــور إمـــام الهـــدى أكـــرم مـن زُفـت عـليـــه الـبـنـود
خـــليــفـــة الـــرحمـــن في ارضـــه مـــبـــارك الوجه كـــريـــم الجـــدود
بُــرٌ تـقـيٌ مـــن بـني المـصـــطفى إمـــام حـــق ســـاعـــدتــه الجـــدود
قـــالــت لـــه الأيـــام اذ أقـــبــلـت مـا احسن الوصـل عقيب الصدود
ولـيـســت الـدنـيـــا لـــه بُـــغـيـــة ولـــو بـــدت في زي خـــود خـــرود
وإنمـــا قـــام لـــنـصـــر الهـــدى بهـمـــة مـــا بـــرحـت في صــعـــود
فــأهـلك الـبــاغـــين حـــتى ثـــووا واستبـدلـوا بعـد القصـور اللحـود
وأصبحـت صنعـــاء من عـجـبهـــا تـرفـل في مستحسنــات البــرود
فـــقـــل لمـــولانـــا إمـــام الـــورى أكـــرم من سـارت اليــه الـوفـود
يـــا شـــرف الـــدين وقيت الـــردى ودمـت تحمـي بـالحـداد الجـدود
لا غـــرو أن سُـدْتَ جمـيـــع الـــورى مثلك يــا بحـر النـدى من يســود
فضلك مـثـــل الشـمس مشـهـــورة ليس لهــا من مشبــه في الـوجــود

إلى آخر القصيدة التي أورد الكثير منها المصدر (روح الروح) المذكور .

أمّا بقية المماليك الذين بقوا في صنعاء فإنهم خرجوا منها الى مصلى العيد بالقرب من مسجد فروة بن مسيك لمرادي برفقة الأمير المطهر بن شرف الدين، ومن المكان المذكور ركبوا خيلهم وساروا الى عمران وذلك في يوم عيد الأضحى من العام المذكور (٩٢٣ هـ) ، وكانت عمران ضمن نفوذ الأشراف الحمزات ، ومنها صاروا مع الحمزات بزعامة الشريف محمد بن عبد الله الشويع الحمزي ،والسيدعز الدين بن الحسن بن المؤيد يغيرون على مناطق نفوذالإمام شرف الدين في بلاد ثلا وبلاد البون من حاشد وغيرها ، ثم لحق آخر المماليك بأولهم حيث لحقوا بالمماليك الذين تمركزوا في زبيد حتى قدم الأتراك الى اليمن وبسطوا نفوذهم فيه لأول مرة في عام (٩٤٥ هـ) كما سنعلم في الفصل الخاص بحكم الأتراك الأول في اليمن .

هذا وسنتوقف عن احداث الأتراك مع الإمام شرف الدين حتى نأتي على احداث الإمام المذكور مع بقية امراء الأسرة الطاهرية الذين احتفظوا لهم بعد مقتل الملك عامر عبد الوهاب بنفوذ في المنطقة الشرقية والجنوبية وغيرهما كما سيأتي ..

الإمام شرف الدين مع بقية امراء آل طاهر

لمّا قتل الملك عامر عبد الوهاب آل طاهر عام (٩٢٣ هـ) على ايدي المماليك في ابواب صنعاء كما علمنا سقطت الدولة الطاهرية بأيدي المماليك في صنعاء وتعز وزبيد وغيرها من المدن الكبرى .

ولكنه[١٠] بقي نفوذ لأمراء آل طاهر في المنطقة الشرقية بما فيها بلاد رداع وفي البلاد الجنوبية بما فيها عدن بزعامة الأمير (عامر بن داود آل طاهر) ، ثم اتسع نفوذ آل طاهر بعد انحسار نفوذ المماليك الى زبيد ، وامتد الى بلاد تعز بما فيها

(١٠) عيسى بن لطف الله في (روح الروح) ص ٥١ . وزبارة في ائمة اليمن ص ٤١٢ . والكبسي في اللطائف (مخطوط) .

مدينة تعز وحصنها والى بلاد اب وبلاد ذمار ، وساعد الطاهريين على ذلك انحلال معنوية المماليك باستيلاء السلطان (سليم بن بايزيد العثماني) على الشام ومصر بعد مقتل ملك المماليك في مصر (قانصوه الغوري) في عام (٩٢٣ هـ) أيضاً وولاء المماليك الذين في اليمن للأتراك ، وانسحاب المماليك من صنعاء الى زبيد ، وتأخر النفوذ الفعلي للأتراك في اليمن إلى عام ٩٤٥ هـ كما سنعلم .

كما ساعد الطاهريين على توسيع نفوذهم في اليمن أيضاً اشتغال الإمام شرف الدين بحروبه وولده المطهر مع الأشراف ومع مختلف القبائل في القسم الأعلى من اليمن وحتى بلاد برط ونجران ، كما سنعلم في الفصل الخاص بأحداث الإمام المذكور مع الأشراف الآتي بعد هذا .

ولمّا فرغ الإمام شرف الدين من حروبه مع الأشراف امر ولده الأمير المطهر بأن يتقدم بقواته من نجران الى بلاد رداع لحرب بقية امراء آل طاهر وذلك في عام (٩٤١ هـ) ، وجاء الأمير المطهر بقواته الذين حملهم على الفي ناقة من بلاد نجران الى بلاد رداع ، وقامت بينه وبين آل طاهر معركة (موكل) في بلاد عنس المجاورة لبلاد رداع والتي قاد قوة الطاهريين فيها الشريف (يحيى السراجي) الذي فاجأه الأمير المطهر بقواته وهو على غير استعداد للحرب ، بل ولم يعرف أنّ المطهر قادم اليه بقواته من نجران ، وسجل المطهر انتصاراً حاسماً على الطاهريين قتل في المعركة من قوتهم ثلاثمائة رجل ، وأسر منهم الفين وثلاثمائة مقاتل ، ثم أمر المطهر بقتل الف من الأسرى ، وهو راكب على بغلته حتى غطى الدم حوافرها كما ذكرت المصادر المذكورة ، وأرسل المطهر ببقية الأسرى وعددهم ألف وثلاثمائة الى والده الى صنعاء وحمّل كل أسير رأس قتيل من الألف والثلاثمائة قتيل ، وذكرت بعض المصادر انه أمر جنوده الذين أرسلهم مع الأسرى أن يقطعوا رؤوس الأسرى قبل ان يطل والده الإمام من نافذة قصره ، وأنه سقط رأسان مع كل اسير بعد قطع رأسه ، ولاقى قتل الأسرى استنكاراً عاماً في مختلف الأوساط اليمنية لمخالفته لمقتضيات العرف والشرع ، وان اباه الإمام استنكر ذلك ايضاً وقال : « اللهم إني أبرأ

اليك مما فعله المطهر » .

ثم واصل المطهر حربه لأمراء آل طاهر في بلاد رداع وفي المنطقة الشرقية ، والقى القبض على الأمير علي بن محمدبن عيسى البعداني وزير آل طاهر وجيء به الى المطهر الذي أعدمه بسبب فشله في اقناع حامية حصن الدارم في بلاد الشعيب بتسليمه إلى المطهر .

وكان الأمير[11] (عامر بن داود آل طاهر) اثناء تلك الأحداث في مدينة قعطبة ، وقد انتقل منها الى جبل التعكر في مخلاف جعفر ببلاد اب .

ولما تحول المطهر بن شرف الدين بقواته الى بلاد اب لبسط نفوذ والده فيها انتقل الأمير داود الى عدن واعتصم بها واستطاع المطهر ان يستولي على حصون المخلاف وعلى مدينة تعز وحصنها بعد ان غدرت حاميته بالأمير أحمد بن محمد آل طاهر الذي كان فيه ، والقت القبض عليه وأرسلته الى الأمير المطهر الذي أرسله بدوره الى والده في صنعاء ، وقد اعتقله الإمام مع عدد من امراء آل طاهر في سجن القصر وظلوا فيه بقية حياتهم ، ثم تقدم المطهر في عام ٦٤٢ هـ ، الى المنطقة الجنوبية بهدف الاستيلاء على عدن والقبض على الأمير (عامر ابن داود الطاهري ، ولكنه بسط نفوذ دولة ابيه على بلاد لحج وبلاد أبين دون ان يتمكن من الاستيلاء على عدن أو القبض على الأمير عامر .

وكان الإمام شرف الدين قد ولى على تعز وأعمالها الفقيه يحيى بن ابراهيم النصيري وكلفه ببناء سور تعز القائم اليوم من الطين والزابور ، وبدأ النصيري ببنائه في عام ٩٤٣ هـ وانتهى من بنائه في عام ٩٥٠ هـ .

أمّا الأمير (عامر بن داود فإنه أقام في عدن حاكماً لها حتى قدم الى اليمن سليمان باشا الأرناؤوطي المعروف بسليمان الخادم في عام ٩٤٥ هـ مجهزاً من قبل السلطان العثماني سليمان بن سليم بن بايزيد لحرب الإفرنج والبرتغاليين

---

(١١) عيسى بن لطف الله في (روح الروح) ص ٥٦ . ومحمد بن محمد الكبسي في اللطائف السنية (مخطوط) . ومحمد بن زبارة في (ائمة اليمن ص ٤١٤) .

ومطاردتهم من سواحل البحر الأحمر والبحر العربي والبحر الهندي ، وللتعريج على اليمن للتمهيد لبسط نفوذ الأتراك فيه ، وعرّج فعلاً على ساحل عدن ، وطلب من الأمير (عامر بن داود) استضافة بعض الجنود الأتراك المرضى ومعالجتهم ، ففعل الأمير عامر ذلك وأكرمه هو أيضاً الى مركبه ، ثم خرج الى السفينة التي هو فيها تلبية لطلبه ، وليتلقى منه الشكر على ما قدمه وليستمع الى التوجيهات التي يحملها من السلطان سليمان على حد ما جاء في رسالة الدعوة اليه ، وقد بيّت قتله باغراء من الإمام شرف الدين كما ذكرت المصادر ذلك ، ودون أن يعرف الأمير عامر بالأمر . ولمّا صعد الأمير عامر الى سفينة الباشا سليمان المذكور مع عدد من رفاقه قتلهم جميعاً وصلبهم على اعمدة السفينة ، وسنعلم المزيد من تفصيل الحادث في بداية الفصل الخاص بالتأريخ للحكم العثماني الأول في اليمن .

الإمام شرف الدين ومماليك زبيد

وفي عام ٩٤٣ هـ تقدم الأمير المطهر وأخوه شمس الدين والفقيه يحيى النصيري نحو زبيد في محاولة منهم لطرد المماليك المتمركزين فيها ، وكان أميرهم اسكندر مور قد مات ونصبوا احد كبارهم ويدعى احمد الناخوذة ، وقامت معركة بين الجانبين في وادي زبيد اسفرت عن انهزام المطهر وجيشه ، عزا المؤرخون ذلك الى تحويل المماليك مياه وادي زبيد الى ساحة المعركة ، واذا كانت ساحة المعركة هي للجانبين فهذا ليس السبب المباشر والوحيد لانهزامهم فيما أرى .

ويبدو أنّ لتفوق المماليك بالأسلحة النارية التي لم يتسلح بها اليمنيون آنذاك ، ولتعاون العديد من قبائل تهامة مع المماليك (وهم الذين تعاونوا معهم ضد آل طاهر) أثر في انتصارهم أي المماليك على الأمير المطهر بن شرف الدين ، وليس تحويل مياه وادي زبيد إلى ساحة المعركة وحده هو السبب في انهزام جيشه ، اضف الى ذلك الروح المعنوية التي كان المماليك يتحلون بها في تهامة (نقطة انطلاقهم الأولى) ولهم فيها أكثر من سند وعون .

الإمام شرف الدين والأشراف

بدأ[١٢] الإمام شرف الدين يصفي حسابه مع منافسيه من الأشراف ومع مختلف القبائل المناوئة له اثر انحلال معنويات المماليك بعد مقتل ملكهم قانصوه الغوري في الشام واستيلاء السلطان سليم بن بايزيد العثماني على الشام ومصر واليمن بالتالي ولو أنّ نفوذه الفعلي في اليمن تأخر ، وبعد انسحاب جمهرة المماليك من صنعاء الى زبيد وقبل دخول الإمام صنعاء .

وكان الأشراف الحمزات في مقدمة الأشراف المنافسين للإمام شرف الدين ، ولكنه قبل الدخول معهم في الحرب هادنهم كما هادن حليفهم الداعي ابن الأنف زعيم همدان صنعاء ، حتى تمّ له اخضاع عدد من القبائل التي اتسم خلافها له بالتمرد المنفرد دون ارتباط بعضها ببعض ، وتمّ للإمام اخضاع كل قبيلة على حدة ، ومنها قبيلة سنحان وقبيلة خولان العالية (خولان صنعاء) ساعده في كل ذلك بطش وجبروت ابنه المطهر قائد قواته ، لهم وضرب كل قبيلة بقبيلة اخرى على الطريقة التي اتبعها الأئمة عبر تأريخ حكمهم بسبب عدم وجود جيش نظامي وقوة حكومية لهم آنذاك يعتمدون عليهما .

وكان المطهر بن شرف الدين قد انتهج في حربه للقبائل سبيل الإرهاب وقتل الأسرى كما فعل مع اسرى موكل من بلاد عنس ، وخلف الأيدي والأرجل كما فعل مع قبيلة خولان .

وقد وقّع الإمام شرف الدين قبل القيام بحركاته الإخضاعية صلحاً مع اشراف الجوف الذين جمهرتهم من الحمزات ، عام ٩٢٥ هـ وذلك ليأمن جانبهم وحتى لا ينضموا الى الحمزات في الحرب التي يعتزم فتحها معهم ، ثم جهز ولده المطهر الى بلاد الطويلة على رأس جيش تمكن من اخضاعها وذلك في عام ٩٢٦ هـ واستولى على عدد من معاقلها .

وقام[١٣] هو من جانبه بالتقدم على رأس جيشه الى بلاد عمران التي

---

(١٢) و(١٣) عيسى بن لطف الله في (روح الروح) آنف الذكر من ص ٣٤ .

كانت المركز الرئيسي للأشراف الحمزات آنذاك ، مبرراً غزوه لهم بنقضهم للصلح الذي كان قائماً بين الجانبين ، وكان تحركه ذلك في عام ٩٢٧ هـ ، وفي قادة جيشه ولده المطهر ، وقامت حرب بينه وبين الحمزات اضطرتهم الى الاعتصام في مدينة عمران وكانت مسورة ، فضرب الإمام عليها حصاراً اضطرهم الى تجديد الصلح معه ، ويقضي بقيام هدنة مدتها ستة أشهر ، يتم خلالها الإتفاق على صلح يضمن ولاء الحمزات للإمام ، مقابل مناطق معينة يبقى لهم النفوذ عليها .

وتمّ الصلح على اطلاق الإمام بلاد البون وبلاد عيال يزيد للحمزات كقطعة لهم ، مقابل ولائهم له وعدم قيامهم بمناوئته أو مساندة مناوئيه ، وحددت مدة الصلح بعشر سنوات .

كما عقد الإمام شرف الدين صلحاً مع الداعي ابن الأنف زعيم همدان اقطعه بموجبه بلاد همدان صنعاء واستثنى منها حصن فدة الذي يطل على وادي ظهر ، والذي كان مركزاً رئيسياً لولده المطهر بن شرف الدين ، وربما احتفظ به الإمام لقواته كمركز هيمنة منه على همدان وإثبات وجود له في المنطقة ، ولضمان ولاء الزعيم الهمداني ابن الآنف المذكور للإمام ، وحددت مدة الصلح كذلك بعشر سنوات .

وفور دخول الإمام صنعاء بعد انسحاب البقية الباقية من المماليك فيها عام ٩٣٢ هـ غادرها على رأس قواته الى بلاد حجة لإخضاعها وتم له ذلك ، واخضع وهو في طريقه اليها حصن كوكبان ، ورتب فيه قوة من عسكره ، وكان النفوذ في بلاد حجة لآل المؤيد ، وأثر عودته الى صنعاء استولى على حصن ذي مرمر في بني حشيش وأشعل الزينة في صنعاء ايذاناً بذلك لأهمية الحصن في المنطقة .

وكان قضاء المماليك على آل طاهر قد وفرّ على الإمام شرف الدين جانباً كبيراً في سبيل توطيد حكمه في اليمن وهو جانب آل طاهر .

الإمام مجد الدين بن الحسن بن عز الدين

دعا[١٤] الإمامة بهجرة فللة من بلاد صعدة مجد الدين بن الإمام الحسن ابن عز الدين بن الحسن بن المؤيد وذلك في عام (٩٣٠ هـ) بعد وفاة أبيه في نفس العام ، وعارض الإمام شرف الدين .

وقد أجاب الإمام مجد الدين أهل بلاد شطب من بلاد سفيان وأهل بلاد السودة وبلاد الأشمور الجميع من اعمال حجة ، وملك حصن عفار كحلان في بلاد الأشمور .

وكان الإمام شرف الدين مشغولاً بحروبه مع قبائل همدان صنعاء وبني مطر وسنحان وخولان وغيرها من القبائل التابعة ادارياً لصنعاء ، فلم يدخل في حرب مع الإمام مجد الدين ، ولم يقو هذا على حرب الإمام شرف الدين وولده المطهر ولم يغادر بلاد صعدة .

ولما[١٥] فرغ الإمام شرف الدين من حروبه مع قبائل همدان ومن اليها وادرك ازدياد نفوذ الإمام المعارض بتحالفه مع الأشراف الحمزات الذين كانت لهم مراكز في بلاد صعدة ايضاً ، جهز ولده المطهر بن شرف الدين على رأس جيش كبير لحرب الإمام مجد الدين في بلاد صعدة ، واستطاع المطهر أن يستولي على صعدة بعد معارك عديدة بين الجانبين ، وقام كعادته بقطع رؤ وس الأسرى ليرهب بذلك القبائل التي تساند مجد الدين ، وكان ذلك الإرهاب الذي انتهجه المطهر هو الوسيلة التي استطاع بها التغلب وبسط نفوذ دولة أبيه في اليمن ، الى جانب عوامل أخرى سلفت الإشارة اليها ، كإنحلال معنويات المماليك بمقتل ملكهم على يد السلطان سليم العثماني ، وتأخر النفوذ الفعلي للعثمانيين في اليمن ، وسقوط دولة آل طاهر في معظم انحاء اليمن على أيدي المماليك وغيرها من العوامل التي ساعدت الإمام شرف الدين .

---

(١٤) محمد بن محمد زبارة في (تاريخ ائمة اليمن) من ص ٤١ .

(١٥) روح الروح ، ص ٤٦ .

أمّا الإمام مجد الدين فإنه تخلى عن الأمر بعد ذلك ، وأقام في هجرة فللة الى موتـه في عام ٩٤٢ هـ .

وساعد تخليه الأمير المطهر على التوغل في بلاد صعـدة ، وفي بلاد بـرط وبلاد نجران وغيرها من المناطق الشمالية الشرقية ، وبسط نفوذ دولة أبيه شرف الدين فيها ، عن طريق القوة أو عن طريق الصلح كما فعل مع أهل نجران ، ومن بلاد نجران امر الإمام شرف الدين ولده المطهر بالتحرك على رأس قـواته الى بلاد ذمار فبلاد رداع فالمنطقة الشرقية لحرب بقية امراء آل طاهر فيها ، وكان ما علمنا عند التأريخ للأحداث التي قامت بينهما .

الحُكم العثماني الأول في اليمن ومعاصروه من الأئمة
(٩٤٥ـ ١٠٤٥ هـ)
(١٥٤٨ - ١٦٣٣ م)

لمّا كان للإمام شرف الدين ولغيره من الأئمة الذين خلفوه احداث مع الأتراك اثناء حكمهم الأول في اليمن فإني سأشملها بفصل واحد منعاً لتكرارها .

أمّا الحكم العثماني الأول نفسه فقد بدأ منذ عهد السلطان سليم بن بايزيد العثماني الذي قضى على دولة المماليك في مصر والشام بعد مقتل ملك المماليك (قانصوه الغوري) في الحرب التي قامت بينهما عند (مرج دابق) من ارض الشام بالقرب من حلب ، وأقام دولته في الشام ومصر والسودان واليمن على انقاضها عام **٩٢٣** هـ كما علمنا في فصل آل طاهر ، إلا أنّ النفوذ الفعلي للعثمانيين في اليمن إنما بدأ في عهد ولده السلطان سليمان القانوني في عام **٩٤٥** هـ **١٥٤٨** م . حيث بعث حملة تركية بقيادة سليمان باشا المعروف بالخادم .

وقد تحدث عن ذلك المؤرخ عبد الصمد بن اسماعيل الموزعي العمراني قاضي الشريعة للأتراك في تعز فقال[١] :

« فلمّا احاطت العلوم السلطانية السليمانية بهذا الاختلاف الواقع في الديار اليمنية ، وجه السلطان سليمان من قبل حضرته العلية واعتابه السنية المحمية الوزير الكريم (سليمان باشا بجيوش عظيمة وعدد جسيمة الى الهند

---

(١) مخطوط وقد تناول فيه حكم الأتراك الأول في اليمن من عام ٩٤٥ هـ وحتى عام ١٠٣١ هـ .

لغزو الإفرنج (البرتغاليين) ، وأمر قائد الجيش الوزير الكريم سليمان باشا بالتعريج على اليمن ليصلح ما فسد منها ، ويطفىء تيار الفتن لكون السلطان عامر بن داود آخر ملوك آل طاهر في اليمن كان قد رفع الى الأبواب العالية بتغلب الإمام شرف الدين وولده المطهر على أكثر الديار اليمنية ، وطلب من حضرة السلطان سليمان أن يمده بعساكر سلطانية ، ليذبّ بهم الطائفة الزيدية ، وينصر بهم أهل السنة السنية ، مع بذل الطاعة للسلطان سليمان ، ودخوله تحت نصر سلطنة آل عثمان ، فعرّج سليمان باشا الوزير بعساكره حال ذهابه على عدن ، فهيّأ له السلطان عامر بن داود الضيافة وسائر انواع الاتحاف والإكرام ، وقد كان الإمام شرف الدين وولده المطهر جاءا لقتل عامر بن داود المذكور ، فلم يتمكنا من ذلك ، ولمّا بلغهما وصول باشا سليمان عدن كتبا اليه ان السلطان عامر مداهن للإفرنج ، وانه يريد يدخلهم عدن ، ونحو ذلك مما فيه اغراء وتحريض عليه ، (وما اشبه الليلة بالبارحة) فوقع كلامهما في قلب سليمان اشد موقع ، فأرسل الباشا سليمان المشار اليه الى السلطان عامر يصل اليه الى المركب للتفاوض فيما أمر به ، فخرج اليه الى المركب مع جماعة من اصحابه بالهدية الوافرة والتحف الفاخرة ، ولم يشعر بما قد صدر من الإغراء عليه من الإمام شرف الدين وولده المطهر ، وما قد ارتكب من الاغراء والإثم العظيم الكبير ، فلمّا وصل الى سليمان باشا وقد اشتدّ غضباً ولم يتحاشى ، اظهر له ذلك الكتاب ولم يقبل منه مراجعة ولا رد جواب ، لما قد أوغلوا فيه وحرضوه من الإقدام عليه ، فبادر سليمان باشا وصلب عامر على مباري المركب ، وقتل جماعته الذين معه ، وشنع في قتلهم وأعجب ، وما ذاك من الإمام شرف الدين وولده المطهر إلا من قبيل العداوة محاولاً بذلك قتله ، ليتمكن من أخذ اليمن كله ، وكان ذلك في الكتاب مسطوراً وأمر الله قدراً مقدوراً ، واستولى سليمان باشا على عدن وذلك سنة (٩٤٥ هـ » .

وقد أكد المؤرخ (عيسى بن لطف الله بن شرف الدين) في تأريخه[٢]

(٢) (روح الروح) منشور وزارة الاعلام والثقافة ص ٥٩ .

قضية الاغراء للباشا سليمان من كل من الإمام شرف الدين على الملك عامر ، ومن هذا على الإمام ، ولكن الباشا سليمان اقتدى بأسلافه واوقع بالملك عامر ابن داود ، يدفعه الى ذلك رغبته الجامحة في الاستيلاء على عدن التي يتمركز فيها الأمير عامر بن داود ، لأتخاذها أول منفذ للأتراك في البحر الأحمر ، وللتمركز فيها والانطلاق منها لبسط نفوذ الأتراك في اليمن .

واستولى فعلاً على عدن فور قتله للأمير عامر بن داود آل طاهر وذلك في عام (٩٤٥ هـ) ، ويعتبر ذلك بداية عهد الحكم التركي الأول في اليمن ، ونفوذهم الفعلي فيه كما أسلفت.

ثم أناب عنه رجلاً من الأتراك يسمى بهرام ، وتوجه هو الى الهند ، وعاد منها بعد فترة دون ان يحقق الهدف الذي من اجله قام برحلته العسكرية الى السواحل الهندية وهو طرد البرتغاليين من موانئها ومدنها الساحلية التي كانوا قد تمركزوا فيها .

ومن عدن اثر عودته من سواحل الهند غزا مدينة زبيد ، وتمكن من الاستيلاء عليها بمساعدة المماليك الذين كانوا قد تمركزوا فيها ، وأعلنوا تبعيتهم للحكم التركي ، وفي زبيد أناب عنه احد كبار الأتراك ويُعرف بمصطفى عزت باشا ، وغادرها عائداً الى تركيا ، وأضاف المصدر[٣] انه في مصر جوزي بما فعله بالسلطان عامر بن داود آل طاهر بقتله ، لأنه لم يرجع الى السلطان سليمان بن السلطان سليم في ذلك أو يرسله اليه .

ثم احتفظ الأتراك بنفوذهم على مدينتي عدن وزبيد واعمالها فقط من العام المذكور (٩٤٥ هـ الى عام ٩٥٣ هـ). أمّا ما عدا ذلك من مختلف المناطق اليمنية فإنّ الإمام شرف الدين استطاع ان يوطد نفوذه فيه .

الوزير أويس باشا

وفي عام (٩٥٣هـ)[٤] وصل الى اليمن بكرابكيا (والياً) فيه الوزير

---

(٣) و (٤) الموزعي في تاريخه (مخطوط).

اويس باشا ، واستولى على مدينة تعز ، بعد ان حثه الأمير المطهر بن شرف الدين على ذلك اثر خلافه مع أبيه وأخوته ، وارتفع عامل تعز للإمام شرف الدين الفقيه يحيى النصيري منها الى جبل صبر .

اتساع نفوذ الأتراك في اليمن

ومن ثمة اتسع نفوذ الأتراك في اليمن وامتدّ نحو الشمال حتى صنعاء وأعمالها ، وذلك بفضل الخلاف الحاد الذي قام بين الإمام شرف الدين وأولاده مع الأمير المطهر أكبر أولاده وكبير قادة جيوشه . إذ تحرك الباشا أويس من تعز نحو صنعاء ، وبالرغم من ان بعض جنوده اليمنيين الذين كان قد استخدمهم في جيشه قاموا بقتله في بلاد خبان .

ازدمر باشا

إلا أن أحد كبار قادة(٥) جيشه من الأتراك ازدمر باشا اضطلع بإدارة شؤون الأتراك في اليمن ، وواصل تقدمه نحو صنعاء ، وتمكن من الاستيلاء عليها في عام (٩٥٤ هـ) بعد خروج الأمير المطهر منها كما سنعلم بعد هذا .

أما والده(٦) الإمام شرف الدين فإنه كان قد ابتعد عنها في بداية تحرك الأتراك من تعز نحوها .

وكان خلاف(٧) الأمير المطهر بن شرف الدين مع والده ومع أخوته قد بدأ في عام ٩٤٧ هـ وكان أخوه الأمير شمس الدين أكثر اخوته عداء له ، وكان أبوه الإمام يميل اليه ويأخذ بآرائه ويفضلها على آراء المطهر في أكثر الأمور .

وكان(٨) الأتراك قد أوفدوا في العام المذكور حسن بهلول احد دهاة الأتراك الى الإمام شرف الدين لعقد صلح معه أو اغتياله أو أحد أولاده .

ولكن الموفد المذكور لم يفعل أكثر من توسيع شقة الخلاف بين المطهر

---

(٥) و(٦) المصدر السابق (الموزعي في تأريخه (الإحسان في دخول مملكة آل عثمان) مخطوط .
(٧) عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين في تأريخه (روح الروح) ص ٦٠ .
(٨) نفس المصدر ص ٦٢

وأبيه واخوته وعاد الى تركيا.

ولما سُئل فيها عن عدم قتله للإمام أو احد اولاده برّر عدم قتله للإمام بكبر سنه وفضله وثقته به وتقريبه منه ، وبرّر عدم قتله لأحد أولاده بعدم افساح المجال للأمير المطهر لو قتل اخاه شمس الدين الذي كان على رأس متنافسي المطهر . وبشدة حذر المطهر وحيطته مع هيبته وكثرة حراسه من خاصته مما حال دون قتله .

وقد[٩] برز الخلاف بين المطهر مع ابيه واخوته في عام ٩٥٣ هـ .

حيث قرّر الإمام الانتقال من الجراف القريبة من صنعاء الى حصن فدة المطل على وادي ظهر ، بسبب ظهور وباء الطاعون في صنعاء وضواحيها .

وكان حصن فدة المذكور بيد الأمير المطهر . فسمح لوالده بالإنتقال اليه على كره منه .

ثم حسّن الأمير شمس الدين لوالده الإمام تسوير قرية القابل وعمارة وتحصين جبل مرثد قبلي وادي ظهر ، الأمر الذي عمّق الخلاف بين الإمام وابنه الأمير شمس الدين وبين الأمير المطهر ، ولمّا نزل[١٠] المطهر ذات يوم لأداء صلاة الجمعة في قرية القابل أشعره احد خاصته بأنّ أخاه الأمير شمس الدين يعتزم القبض عليه عقب الصلاة بأن خطّ بأصبعه (أن الملأ يأتمرون بك) فنهض من فوره متظاهراً بالبصاق ، وبعث احد خدمه الى قائد عسكره في قلعة طيبة التي ينزل بها ، وهي مطلة على قرية القابل أيضاً يأمره بالإسراع مع بعض حرسه وعسكره اليه ، ولم يفرغ المصلون من اداء الصلاة إلا وعسكره خارج الجامع ، وخرج هو من الجامع وركب فرسه وعاد الى طيبة دون أن يمسه أحد بأذى .

ومازال الخلاف يشتد بينه وبين ابيه واخوته ، حتى انتقل هو الى مدينة ثلا

---

(٩) الحسن بن عبد الرحمن في (المواهب السنية) الجزء الأول (مخطوط).

(١٠) المواهب السنية (مخطوط) .

وعاد الإمام الى الجراف ، ومن ثلا بسط الأمير المطهـر نفوذه عـلى المناطق التي كان النفوذ فيها لأبيه في بلاد البون ، من حاشد وغيرها .

وأضاف المصدر[١١] قـائلاً : « ولّـما عـلم المطهـر بخلو الجراف إلا من الأشراف ، بعث حملة وافرة من العسكر ، وكتب الى رتبة طيبة أن ينضموا الى أولئك العسكر ، وأمرهم بقتال أبيه وإمامه ، وانتهاك مـا أوجب الله عليه من احترامه ، وهذا غاية العقوق ونهاية العصيان وقطع الحقوق ، فنعـوذ بالله من الغضب الذي يورث الإنسان سوء المنقلب » .

ثم ذكر وصول عامل حراز للإمام وهو النقيب مبـارك شعبان بعـدد من الجنود وقيامه برد عسكر المطهر ومنعهم عن العدوان على الإمام بعد ان انضم الى عامل حراز وجنوده عدد من المقاتلين من أهل الجراف وصنعاء وقيام معركة بين الجانبين قتل وأسر فيها عدد من عسكر المطهر .

وأظهر المطهر بعد ذلك خلافه لأبيه وكتب لأمراء أبيه بـالخروج عليـه ، قال المصدر[١٢] « ذكر الوالد « لطف الله » انه حدثه شيخه الفقيه عبد الله بن صلاح بن داعر قال : حدثني القاضي هادي التوهمي كاتب المطهر أنه ألزمه أن يكتب الى قبـائل اليمن في ليلة واحـدة ثمانـين كتابـاً يحثهم على الخـلاف على الإمام ، وكتب كتاباً إلى أويس باشـا يحثه عـلى الطلوع وأخـذ البلاد ، وكـان أويس باشا في زبيد ، فتحرك بقواته نحو تعز في عام (٩٥٣ هـ) واستولى عليها كما علمنا ، بعد أن أرتفع عنهـا عاملهـا النصيري الى جبـل صبر ، ولّـما أدرك الإمام شرف الدين الخطر الداهم الذي يهـدد كيان دولتـه لا من قبل الأتـراك فحسب ، بل ومن قبل القبائل والمنـاطق اليمنية التي وجـدت في الخلاف بـين الإمام والمطهر متنفساً للإستقلال عنهما معاً ، أقنع[١٣] ولده الأمير شمس الدين الذي كان أكثر أخوته عداء للمطهر بضرورة استرضاء المطهر ، وبعث الإمام رسائله إلى المطهر يشرح له فيها خطورة الموقف ويسترضيه ، ويحثه على الـوئام وتوحيد الصف ونبـذ الأحقاد ، فلبى المـطهر طلب ابيـه مشترطـاً عليه تسليم

---

(١١) و(١٢) و(١٣) روح الـروح ص ٦٧ . و(ائمـة اليمن) من ص ٤٢٨ . والمـواهب السنيـة آنف الذكر (خطوط) .

صنعاء وجميع الحصون بما فيها من عتاد وأموال ، وأستشهد بقول الشاعر :

واذا تكون كريهة أُدعى لها — واذا يُحاس الحيس يُدعى جندب

واجابه الإمام الى ذلك مستثنياً حصني كوكبان والعروس لولده الأمير شمس الدين ، وحصن ذي مرمر لولده الأمير علي ، وحصن كحلان تاج الدين وبني عشب في بلاد كحلان عفار لولديه الأميرين حسن ورضي الدين ، وانتقل الإمام بأهله من الجراف الى حصن كوكبان ، في حين تسلم المطهر وامراؤه جميع الحصون والمعاقل وولى عماله عليها وعلى المدن والمناطق في مختلف انحاء اليمن مما كان تحت نفوذ الإمام ، باستثناء الحصون التي استثناها الإمام لأولاده المذكورين ، وانتقل المطهر الى صنعاء وذلك في عام (٩٥٣ هـ) وضرب المطهر السكة باسمه ، وقبض على كثير من انصار ابيه واخيه شمس الدين وصادرهم ، وطلب من اخيه المذكور تسليم سوق الدعام في الجوف ، ومن اخيه عز الدين امير صعدة تسليم حصن الزاهر في بلاد الجوف ايضاً فسلما ذلك اليه وولى عليهما من قبله .

وبالرغم من تخلي[١٤] الإمام شرف الدين عن الأمر لولده المطهر ، وتنحي اخوته عن ولاياتهم ومناطق نفوذهم ، واستيلاء المطهر على جميع ذلك بما في ذلك صنعاء ، فإنّ الأتراك بقيادة (ازدمر باشا) الذي خلف (أويس باشا) توغلوا في اليمن يحثهم[١٥] الأمير علي بن الإمام شرف الدين على مواصلة تقدمهم والاستيلاء على صنعاء ، وتعهد لأزدمر باشا بالجامكية (نفقات الجنود) عاماً كاملاً كراهية منه لأخيه المطهر ، وتمّ لأزدمر باشا الاستيلاء على صنعاء ، من خندق باب شعوب بمساعدة قائد حرس الباب المذكور سعاد

---

(١٤) المواهب السنية وتاريخ الموزعي (مخطوطين)

(١٥) روح الروح ص ٧٢ . وكما سبق للمطهر تحريض الأتراك أثناء خلافه مع أبيه وأخوته ، على التقدم والاستيلاء على صنعاء فعل الأمير شمس الدين بعد استيلاء المطهر على الحكم وفعل الإمام شرف الدين قبل أولاده ذلك عند استدعائه المماليك الى اليمن للقضاء على نفوذ آل طاهر وإن كان قد حارب المماليك والأتراك بعد ذلك فالتصرف كان إذا تم وفقاً للمصالح الخاصة .

الغندري من أهل الرحبة وذلك في عام (٩٥٤ هـ) بعد انسحاب الأمير المطهر منها الى قلعة طيبة المطلة على وادي ظهر احد متنزهات صنعاء ثم انسحاب الحامية التي تركها المطهر في صنعاء بقيادة ابن اخيه صلاح الدين بن شمس الدين بن الإمام شرف الدين اثناء اشتغال عسكر الأتراك بنهب صنعاء . وقد ندم المطهر على منعه لأهل صنعاء من تسليمها للأتراك مما سبّب نهبها من قبل الأتراك بعد استيلائهم عليها .

أمّا الباشا[١٦] أويس الوالي التركي فإنهكان قد قتل في بلاد خبان وهو في طريقه الى صنعاء وذلك من قبل بعض جنوده اليمنيين (الذين كان قد استخدمهم في عسكره) وبعض عسكره الأتراك عن مؤامرة دبرها معهم (حسن بهلول) الذي كان يطمح بأن يخلفه بعد قتله ، ولكن ازدمر باشا احد كبار قادة جيش أويس استطاع أن يجمع شمل الجيش وأن يضطر حسن بهلول الى الفرار نحو المطهر ليحمل اليه نبأ تدبيره مؤامرة قتل أويس باشا بهدف التقرب اليه ، ولكنه قتل في بلاد آنس على ايدي بعض اليمنيين وأوصل رأسه الى المطهر .

ولّما استولى ازدمر باشا على صنعاء تقدم الأمير عز الدين من بلاد صعدة على رأس قوة فيها الكثير من أشراف الجوف بهدف مساندة اخيه المطهر ، ووصل الى بلاد الظاهر من بلاد حاشد وكان النفوذ فيه للأشراف الحمزات المنافسين التقليديين لأبيه وأخوته ، وشدد وطأته على البلاد ، مخالفاً رأي اخيه المطهر الذي نصحه بالانتقال الى جبال عيال يزيد ليكون بالقرب منه حتى يتمكن من نجدته في حالة تعرضه من قبل الأتراك أو الحمزات ، وكان الأمير عز الدين شجاعاً إلا أنه ضعيف الرأي ، فلم يأخذ بنصيحة المطهر واصر على رأيه ، واضطر الحمزات الى طلب العون من ازدمر باشا ، الذي أمدهم بقوة حوّلت الموقف لغير صالحه أي الأمير عز الدين ، بل وحوّلت اشراف الجوف والكثير من جنوده الى صفوف الحمزات والأتراك ، وقامت معركة بين الجانبين

(١٦) تأريخ الموزعي والمواهب السنية المذكورين .

(١٧) المواهب السنية واللطائف السنية (مخطوطين)

سجلت الانتصار الحاسم لخصومه ، ولجأ هو الى حصن ظفار الظاهر في ذي بين ، الأمر الذي حمل ازمرد باشا الى الخروج من صنعاء بنفسه على رأس قوة عزز بها قوته لمحاصرة الأمير عز الدين في الحصن المذكور حتى اضطره الى تسليم نفسه اليه ، وعاد به ازدمر باشا الى صنعاء اسيراً ، ومنها أرسله الى مصر ، ولكنه مرض في ينبع وتوفي فيها قبل وصوله الى مصر .

وفي اثناء هذه الأحداث قدم الى اليمن[١٨] والياً عليه (مزهاد باشا) خلفاً لأويس باشا ، ولكنه لما وصل الى السلطان سليمان بن سليم بن بايزيد العثماني رسول ازدمر باشا برسالته التي أحاطه فيها بما قام به من قيادة الجيش بعد مقتل أويس باشا واستيلائه على صنعاء صدرت أوامر السلطان سليمان باقراره على الولاية على اليمن وعودة مزهاد باشا الى تركيا .

ومن ثمة[١٩] طمع أزدمر باشا بالمزيد من تسجيل الانتصارات على المطهر ابن شرف الدين فتقدم لحربه ومحاصرته في حصن ثلا الذي يعتصم فيه ، وضرب حصن الناصرة المتصل بحصن ثلا المطل على مدينة ثلا ، وكاد يسقط في يده لولا استماتة واستبسال حاميته للمطهر .

ثم جرت مفاوضات انتهت بعقد صلح بين الجانبين في العام المذكور (٩٥٤ هـ) عاد الأتراك بعده الى صنعاء ، وقد[٢٠] نقض الأتراك الصلح في عام (٩٥٥ هـ) وتقدموا بقواتهم لحرب المطهر ، وعسكروا في بلاد البون من بلاد حاشد حيث انضم اليهم الأشراف الحمزات ، وتقدم المطهر بدوره على رأس جموعه وقامت حرب سجلت الانتصار الحاسم للمطهر ، وعاد الأتراك بعدها منهزمين الى صنعاء .

ولقد[٢١] ساء الأمير شمس الدين ابن الإمام شرف الدين انتصار اخيه

---

(١٨) تأريخ الموزعي المذكور

(١٩) روح الروح ص ٧٤ .

(٢٠) روح الروح ص ٧٥ . المواهب السنية واللطائف السنية المذكورين

(٢١) المواهب السنية (مخطوط) وروح الروح منشور وزارة الإعلام والثقافة من ص ٧٦ .

المطهر في حرب البون على الأتراك ، ووصل الى صنعاء يحث الأتراك على مواصلة حربهم للمطهر ، وعمارة القلاع وتحصينها ، وتعزيز المراكز العسكرية للأتراك في بلاد عمران وتقوية حامية عمران ، وعادت الحرب فعلاً بين الأتراك والمطهر وظلت من عام (٩٥٥ هـ) الى عام (٩٥٨ هـ) حتى سئمها الجانبان لأنها لم تحسم الأمور لصالح ايهما .

وفي العام المذكور (٩٥٨ هـ) اوفدت الحكومة التركية مصطفى باشا المعروف بالنشار للإشراف على عقد صلح بين الجانبين يضع حداً للحرب ، وبالرغم من المساعي التي قامت بينهما فإن الحرب تجددت بين الطرفين في نفس العام المذكور وبعد وصول الباشا مصطفى المذكور وقيام المفاوضات وقبل أن تنجح المساعي في عقد الصلح ، ولم تحسم الحرب الخلاف كذلك.

وفي عام (٩٥٩ هـ) نجحت المساعي بعقد صلح ضمن للمطهر ما تحت نفوذه ، وضمن للأتراك الى ما هو تحت نفوذهم بلاد الطويلة وحصونها ، والتقى قادة الطرفين ازدمر باشا ومصطفى باشا والأمير المطهر بن الإمام شرف الدين في بلاد ثلا حيث تعانقا (المطهر وازدمر) بعد توقيع الصلح وأولم المطهر للأتراك في بلاد ثلا وليمة كبيرة عاد ازدمر بعدها الى صنعاء وعاد مصطفى باشا الى تركيا .

وقد مثل الجانب اليمني في المفاوضات الفقيه صلاح بن داعر والأمير الحسن بن محمد من بني الهادي .

ومثل الأتراك فيها احمد بن عثمان العمودي من كبار علماء الشافعية والناظر التركي بهرام دفتار دار والشريف ناصر بن احمد الحمزي ، وحضر توقيع الصلح الأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين الذي كان قد حسم ما بينه وبين اخيه من الخلاف وقال عند تعانق المطهر وازدمر قولته المشهورة وهي : (يا لهما من جبلان اصطدما وبحران ارتطما) أمّا الإمام شرف الدين فإنه كان آنذاك قد فقد بصره وانتقل من كوكبان الى ظفير حجة مكان مولده ودعوته والذي قضى فيه حياته الى موته في عام (٩٦٥ هـ) .

وقد تفرغ ازدمر باشا بعد توقيع الصلح لبسط نفوذ الأتراك في القسم

الأعلى من اليمن حتى بلاد صعدة وفي المنطقة الوسطى في بلاد ريمة وعتمة وغيرها وفي الجنوب حتى بلاد خنفر ، وفي الشمال الغربي حتى بلاد عسير والمخلاف السليماني ، وأقام في اليمن والياً عليه الى ان خلفته الحكومة التركية بالوالي مصطفى النشار آنف الذكر في عام (٩٦٣ هـ) .

وقد وصف[٢٢] المؤرخ الموزعي الوالي ازدمر باشا بقوله : « وكان يباشر الأمور بنفسه من غير ترجمان ، وبنى في خنفر قلعة عظيمة البنيان ، وسار بالناس سيرة مرضية ، وقد جهزه السلطان سليمان بن السلطان سليم بقوة الى الحبشة لحرب الإفرنج الذين كانوا قد استولوا عليها » .

الإمام احمد بن عز الدين وتخليه

كان الإمام شرف الدين في هذا التاريخ (٩٥٨ هـ) (كما علمنا) قد انتقل الى ظفير حجة من كوكبان بعد أن فقد بصره . ولّما رأى اضطراب الأمور في اليمن وعدم كفاءة احد أولاده للامامة كتب[٢٣] الى الأشراف آل المؤيد المقيمين في بلاد صعدة يحثهم على مبايعة من يصلح للقيام بالدعوة ، وأشار مع ذلك الى مبايعة الشريف أحمد بن عز الدين بن الحسن بن الإمام عز الدين المؤيدي ، أو الشريف محمد بن الحسن بن احمد ، وبويع الشريف احمد بن عز الدين المذكور ، في هجرة فللة من بلاد صعدة في شهر صفر من العام المذكور (٩٥٨ هـ) ، واجابه أهل بلاد الأهنوم وبلاد عذر والسودة وعارضه الشريف محمد بن ناصر بن احمد الحمزي الجوفي ، وقامت حرب بينهما اسفرت عن استيلاء الجوفي على صعدة وانتقال الإمام احمد بن عز الدين الى الحرجة في بلاد صعدة واستقراره فيها متخلياً عن الأمر إلى وفاته في عام (٩٨٨ هـ) .

أمّا الشريف الجوفي المذكور فانه استمر مستولياً على صعدة حتى غزاه اليها الوالي التركي (ازدمر باشا) واخرجه منها ، وولى فيها الأمير اسكندر احد قادة الأتراك في اليمن .

---

(٢٢) في تاريخه (تأريخ الإحسان في دخول مملكة اليمن في ظل آل عثمان) مخطوط .

(٢٣) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٤٤٣ .

الإمام المهدي الحسن بن حمزة وتخليه

دعا[٢٤] الشريف الحسن بن حمزة من أولاد الإمام القاسم الرسي في بلاد شطب، من بلاد سفيان عام (٩٦٠ هـ) ، واجابه أهل الأهنوم وظليمة وعذر وانتقل الى بلاد حجور في بلاد حجة ، وعارضه الأمير المطهر بن الإمام شرف الدين ، وجهزّ لحربه في بلاد حجورهذه جيشاًاضطرهالىالرجوع الى بلادالأهنوم، وكان قد حفظ لديهم زكاتهم ، ولّما عاد اليهم ودعاهم لمناصرته خذلوه ومنعوا عنه الزكاة التي امرهم بحفظها ، فأعلن تخليه عن الأمر ، وعاد الى بلاد شطب بعد ان اعاد المطهر بناء بيته الذي كان قد هدمه فيها وذلك بموجب صلح عقد بينهما ، واجرى له مع ذلك النفقات اللازمة ، ولم تطل مدة حياته حيث توفي بعد اشهر من عودته اليها ، وكانت وفاته في عام (٩٦١ هـ) .

استئناف الحرب بين المطهر بن شرف الدين والأتراك

تتابع والاة الأتراك على اليمن ، وكان كل والٍ منهم يقر الإتفاقية التي عقدها الوزير التركي مصطفى النشار مع الأمير المطهر عام (٩٥٩ هـ) ، وكان[٢٥] الباشا مصطفى النشار قد مرض في اليمن وتوفي في زبيد عام وصوله الى اليمن ، والياً عليه في عام (٩٦٣ هـ) وخلفته الحكومة التركية بالباشا مصطفى المعروف بابي رضوان ، وقدم الى اليمن في عام (٩٦٤ هـ) .

وخلفت هذا بعد اربع سنوات وثلاثة اشهر بالوالي محمود باشا ، وهو الذي استولى على حصن حب من علي بن عبد الرحمن النظاري بعد حصاره فيه سبعة اشهر حتى اضطره الى تسليم نفسه ومن معه بموجب امان اعطاه لهم الوالي محمود المذكور ولم يف[٢٦] مع ذلك بما أعطاه لهم من الذمة والعهد عند تأمينهم ، بل اعدمهم جميعاً .

---

(٢٤) محمد بن محمد زبارة في (ائمة اليمن) من ص ٤٤٨ .
(٢٥) تأريخ الموزعي آنف الذكر مخطوط .
(٢٦) المواهب السنية (الجزء الأول مخطوط) .

ووصل كل من الواليين مصطفى أبو رضوان فمحمود باشا صنعاء ، ولم يحدث بينهما وبين المطهر بن شرف الدين قتال ، بل أقر الجميع الصلح الذي عقده المطهر مع الوالي مصطفى النشار المذكور .

وكانت[٢٧] مدة ولاية الباشا محمود في اليمن ست سنوات وأشهر ، وهو الذي فتح باب موسى في مدينة تعز وبناه على ما هو عليه اليوم ، وكان محله باب صغير لعله منذ بناء الفقيه يحيى النصيري (عامل الإمام شرف الدين) لسور مدينة تعز ، ثم نقلته الحكومة التركية الى مصر والياً عليها ، وخلفته على اليمن بالوالي رضوان باشا بن مصطفى باشا ، وكان قدومه الى اليمن في عام (٩٧٣ هـ) .

وقد[٢٨] تجاهل (رضوان باشا) الاتفاقية المشار اليها مدة ، ثم بعث القاضي (صالح الكوراني) الى الأمير المطهر يطلب منه تعديلها ، فرفض المطهر ذلك ، وعمل الكوراني مع ذلك على توسيع شقة الخلاف بين المطهر والأتراك ، حيث حرّض الباشا رضوان على نقض الأتفاقية وحرب المطهر ، وقام الوالي التركي بتجهيز قواته لاخضاع بعض المناطق الخاضعة للمطهر ، ثم قامت حرب بين الجانبين اضطرت الباشا رضوان الى طلب عقد صلح جديد يضع حداً للحرب،وعقد في شهر رجب من العام المذكور (٩٧٤ هـ) ، وقد أضعف الجانب التركي وقوّى من معنوية اليمنيين وصول خبر موت السلطان سليمان بن السلطان سليم في بداية العام المذكور ، وكان الصلح المذكور في صالح المطهر حيث نص على بلاد اخرى له لم يشملها الصلح السابق ، كبلاد خولان وبلاد نهم وبلاد قيفة والحدا وبلاد ذي مرمر من بني حشيش وبلاد حراز وبلاد حفاش وملحان من بلاد المحويت ، وباطلاق الرهائن اليمنيين من قصر غمدان ومن مدينة عمران ، ووقف الجانبان عند الصلح المذكور الى ان عزل الباشا رضوان في شهر القعدة من نفس العام (٩٧٤ هـ)

ووصل الى اليمن خلفاً له (مراد باشا) على القسم الأعلى ، وحسن باشا

---

(٢٧) تأريخ الموزعي آنف الذكر مخطوط .

(٢٨) المواهب السنية (الجزء الأول و(روح الروح) الجزء الثاني ص ٤ .

على القسـم الأسفل من اليمن ، وكانت الحكومة التركية[29] قد قسمت اليمن الى ولايتين بواليين ، عملاً برأي الوالي السـابق (محمود بـاشا) بهـدف ضبط اليمن وكانت النتيجة عكسية ، اذ توزعت الجهود التركية ، وتمكن اليمنيون من التغلب على كل جيش في كل قسم من قسمي اليمن الأعلى والأسفل على حدة كما سنعـلم .

فالوالي الجديد على القسم الأعلى لم يتمكن من الوصول الى صنعاء ، بل ولم تتمكن طلائع جيشه من الصمود في وجه طليعة جيش المطهـر الذي التفّ حوله اليمنيون وحاربـوا الأتراك عـلى اعتبار انهم غـزاة أجانب ، وأنّ حـربهم واجبة ومقدسة ، ثم قامت معركة بين الجانبين عند ذراع الكلب من بلاد الحدأ انهـزم فيها جيش مراد باشا ، وانسحب قافلاً الى تعز ، ولمّا كان في بلاد خبان هاجمه اصحاب المنطقة وغيرهم من اليمنيين وتغلبوا على جيشه ، ثم قتلوه وهو في عدد قليل من خاصته وانتهبوا اثقاله ، واحتزوا رأسه وأرسلوا به الى المطهر المحـاصر لصنعـاء ، وهو أرسله الى حـاميتها المحـاصَرة ، فـانحلت معنويتهـا وطلبت من المطهر أن يتسلم صنعاء شريطة تأمينها ، فقبل منهم المطهر ذلك ، ووفى لهم بشروطهم ، وخرجت الحامية من صنعاء ولحقت بالأتراك الذين كانوا متمركزين في تعز ، ودخل المطهر صنعاء في شهر صفر من عام (٩٧٥ هـ) .

كما واجه الأتراك الذين في تعز مقاومة من اليمنيين ، وانقضوا عليهم وعلى ولاتهم في إكثر من مكان فيه ، واضطروهم الى التخلي عن مراكزهم وولاياتهم والتجمع في زبيد ، وبعث المطهر ولاته الى عدن وتعز ، وغيرهما من الأماكن التي كان للأتراك مراكز ونفوذ فيها .

ثم أمر[30] المطهر عامله على تعز الشريف علي الشـويع بعـد ذلك بـأن يزحف بقواته الى مدينة حيس وان يعسكر فيها دون ان يتقدم منها الى زبيد ، وذلك بهدف قطع المدد عن الأتراك ، ولتكوين جبهة امامية في وجه الأتراك قبل

---

(٢٩) روح الروح ج ٢ ص ١٠ . بتصرف ، وتأريخ الموزعي (مخطوط) .

(٣٠) نفس المصدر روح الروح ص ١٣ .

تعز ، ولكن الشويع تهوّر مخالفاً رأي المطهر وتقدم بقواته نحو زبيد ، مما اضطرّ الأتراك الى الاستماتة في الدفاع عنها ، ومباغتة الشويع وقواته وقتالهم وهم على غير استعداد للقتال ، فهزموهم بعد قتل الكثير منهم وانسحب الشويع بفلول قواته الى تعز .

في حين قويت معنوية الأتراك بانتصارهم ذلك ، وتقدموا بجموعهم نحو تعز لاستعادتها ، وتمكنوا من ذلك ، وكان ذلك في عام (٩٧٦ هـ) وارتفع الشويع الى قاهرة تعز وتحصن بها .

ولم تُجْدِ مع ذلك الجيوش التي بعثها المطهر بقيادة أولاده لطف الله وحفظ الله والهادي وصلاح تعزيزاً للقوة التي كان قد أرسلها بقيادة الأمير محمد بن شمس الدين ، لأن القيادة كانت للأمير محمد المذكور وكان شجاعاً،إلا انه كان ضعيف الدراية والتدبير ، وكان مع ذلك شحيحاً ، وادى كل ذلك الى انهزام قوات المطهر في وجه قوات الأتراك التي قادها عثمان باشا التي ارسلته الحكومة العثمانية خلفاً لمراد باشا الذي قتل في بلاد خبان .

وفي اثناء ذلك وصل الى اليمن الوزير (سنان باشا) والياً عليه جميعه خلفاً للواليين حسن باشا ومراد باشا ، واستطاع ان يستولي على قاهرة تعز بعد ان اذمّ على حاميتها .

ثم واصل تقدمه بجيوشه الكبيرة التي وصل بها من تركيا وبمن انضم اليها من القوة التركية المرابطة في اليمن نحو صنعاء ، واستولى عليها في شهر صفر من عام (٩٧٧ هـ) بعد ان خرج منها الى ثلا الأمير المطهر ، وقد أمر أهل صنعاء بتسليمها الى سنان باشا لئلا تتكرر بهم المأساة التي حلت بهم من السلب والنهب عند استيلاء ازدمر باشا عليها ، ودخلها سنان باشا دون ان يلقى بها مقاومة ودون ان يسيء هو وجيشه الى احد من أهلها .

ثم خرج منها لفوره لحرب الأمير المطهر في بلاد ثلا ، وكان المطهر قد تحصن في حصنها المطل على مدينة ثلا وعسكر سنان باشا بجيوشه في حوشان بالقرب من الحصن المذكور ، وضرب مع ذلك حصاراً شديداً على حصن

كوكبان المطل على مدينة شبام بعد استيلائه عليها ، وقامت بينه وبين اليمنيين اثناء تمركزه في حوشان ثمانون معركة كانت سجالاً بين الجانبين ، ثم استسلم الأمير محمد بن شمس الدين بن شرف الدين وسلم حصن كوكبان لسنان باشا بموجب صلح عقد بينهما وبدأت المفاوضات بين سنان والمطهر لعقد صلح يضع حداً للحرب ويقر الأوضاع في المنطقة ، الأمر الذي شجع الأمير المطهر على الركوب من حصن ثلا الى حصن كوكبان مع خاصته وعدد قليل من عسكره الى الأمير محمد بن شمس الدين ، فأحسن والي الحصن من الأتراك استقباله ، عملاً بوصية الأمير محمد بن شمس الدين المذكور ، وأطلقت المدافع عند دخول المطهر مدينة كوكبان ترحيباً به ، وانشد مخاطباً ابن اخيه عند لقائه به :

زرناكم لا نوآخذكم بجفوتكم   إنّ الكريم اذا لم يُستزر زارا

معاتباً له بذلك على قيامه بتسليم حصن كوكبان الى الأتراك وعقد الصلح مع سنان باشا قبل الرجوع اليه ، وأخذ رأيه في الموضوع .

أمّا الباشا سنان فإنه حين علم بوصول المطهر الى كوكبان كتب الى الأمير محمد بن شمس الدين يطلب منه حث المطهر على المضي في ابرام صلح اشمل بين اليمنيين والأتراك .

وقبل أن تنجح مفاوضات الصلح وصل الى اليمن والياً عليه (بهرام باشا) وذلك في شهر ذي القعدة من العام المذكور (٩٧٧ هـ) .

وعقد الصلح بين الجانبين في مدينة ذمار في شهر شعبان من عام (٩٧٨ هـ) ووقعه عن المطهر بن شرف الدين شمس الدين بن جحاف ، كما وقعه عن الحكومة العثمانية الباشا سنان باشا وخلفه الباشا بهرام باشا ، اللذان حضرا عقده ، وكان من بنوده اعتراف الجانب اليمني للأتراك ببلاد صعدة وببلاد نهم وبلاد خولان وحصن ذي مرمر واعماله في بلاد بني حشيش ، وان يعيد كل جانب الى الآخر الفارين منه ، وان يضع الأتراك حاميات لهم في بعض حصون بلاد صعدة ، تأكيداً لاعتراف الجانب اليمني بولاية الحكومة العثمانية على المنطقة ، وان تكون جامكياتها (نفقاتها) من الحكومة العثمانية ، وقد فاوض

الأتراك من مركز قوة كما يبدو .

ثم أقام الوالي الجديد (بهرام باشا) في قريـة (ملحطة) من بـلادِ ذمار لتوسطها بين قسمي اليمن الأعلى والأسفل ، ومدنها وبنى فيها جامعاً كبيراً وولى على صنعاء نائباً عنه .

وفاة المطهر بن شرف الدين وتنازع الأشراف الحكم بعد موته

وقد[٣١] توفي الأمير المطهر بن شرف الدين في شهر رجب من عام (٩٨٠ هـ) عن اثنتين وسبعين سنة من مولده، وشيعه اتباعه الى مثواه الأخير على عربة مدفع ، وعسكره بالملابس العسكرية .

ورثاه الكثير من الشعراء ومنهم السيد محمد بن عبد الله بن شرف الدين حيث رثاه بقصيدة تزيد على مائة بيت مطلعها :

آح ولا غـرو اذا قـلت آح … طـرف سـفـوح وفـؤاد جـراح
مـا اسمـج الـدنيـا وأبنـاءها … بعـد خضم الجـود ليث الكفـاح
مـطهـر خـير مـلوك الـورى … مـروى السمر وسمـر الـرمـاح

ولقد وجد الطامعون في الحكم متنفساً للوصول اليـه ، وبسط عدد من ولاة الأشراف في القسم الأعلى من اليمن ايديهم على ما تحت ولاياتهم ، وصار مع ذلك كل أمير لا يعترف بالأمير الآخر ولا يرتبط معه بـأي رابط سياسي أو اداري أو عسكري ، مما قسّم البلاد وأتاح للقبائل فرص التمرد والخلاف على الولاة أنفسهم ، وقامت حروب بين الأمراء والقبائل في مناطق عديدة ، وبين الأمـراء أنفسهم ، واضـطربت الأمـور في القسم الأعـلى ، وتـزعـزع الأمن والاستقرار في ربوعه .

وقام مع[٣٢] ذلك دعاة آخرون من الأشراف كالسيد علي بن ابراهيم بن

---

(٣١) روح الروح ج ٢ ص ٣٨ .

(٣٢) زبارة في (ائمة اليمن) ص ٤٧٦ .

علي بن محمد بن صلاح بن محمد بن احمد من أولاد القاسم الرسي وعُرف بالعابد .

والسيد علي بن ابراهيم بن علي بن ابراهيم بن علي بن المهدي بن صلاح ابن علي بن احمد من أولاد القاسم الرسي أيضاً ، وعُرف بالعالم ، وقد ادعى كل منهما الحسبة في بلاد الشرف من أعمال حجة ، واتفقا بالاسم ، ويبدو انهما تلازما ولم يفترقا حتى تخليا عن الأمر ، وكانت حركتهما اساساً هي ضد جور الفتى مرجان شاوش مولى المطهر وعامله على المنطقة ، وقد حاربهما مرجان وهزمهما وأنهى حركتهما .

كما اختلف الأمير[٣٣] علي بن يحيى بن المطهر بن شرف الدين مع الأمير عبد الرحمن بن المطهر والأمير عبد الله بن المطهر ، واختلف علي بن يحيى بن المطهر أيضاً مع محمد بن الناصر ، الذي استعان بالوالي التركي (بهرام باشا) وساند آل شرف الدين المختلفين فيما بينهم امراء آخرون من الأسرة وغيرها ، واختلف القبائل فيما بينهم، مما ضاعف من اضطراب القسم الأعلى من اليمن .

كما ثار الأتراك في قرية ملحطة على الوالي بهرام باشا وحاصروه ، ولم يخرج من الحصار إلا عند قدوم نائبه على صنعاء محمود باشا .

ثم قدم الى اليمن في عام ٩٨٣ هـ والياً عليه (مصطفى باشا) خلفاً لبهرام باشا ، ولكنه توفي في بندر البقعة من بلاد زبيد فور وصوله الى اليمن ، وقبل ان يغادر سلفه بهرام باشا اليمن ، مما اضطره الى البقاء في اليمن حتى قدم الوالي الجديد (مراد باشا) ، والذي كان قد عمل في اليمن مع الوالي (محمود باشا) ، قال الموزعي في تأريخه « ولمّا وصل ركابه السعيد الى محروس زبيد اقام بها أياماً قلائل ، ثم تقدم الى محروس تعز بالخير والبركة والعز ، ونصب مخيمه الشريف بحوض الأشراف ، وأقام هناك مدة أربعة أشهر ، ثم وجه ركابه المبارك الى صنعاء ، وأقام فيه أياماً عاد بعدها الى تعز واتخذها دار اقامة له

---

(٣٣) روح الروح ج ٢ ص ٣٠ .

ومركزاً لإدارة ولايته ، وهو الذي بنى الصرحة الكبيرة المحيطة بتربة الولي الشهير (احمد بن علوان) في مدينة يفرس من أعمال تعز .

الإمام الناصر الحسن بن علي بن داود

دعا(٣٤) الحسن بن علي بن داود بن الحسن بن الإمام علي بن المؤيد بن جبريل في قرية الهجر اسفل جبل الأهنوم في عام (٩٨٦ هـ) وتلقب بالناصر ، واكتفى من الأمراء آل شرف الدين بالاعتراف به عند دعوته ، ولم يحاول مد نفوذه الى مناطق نفوذهم في بلاد حجة وغيرها ، ولكن الحال لم يلبث ان تبدل بينهم وبينه الى خلاف وعداء سافرين اديا الى نشوب حرب بين الجانبين ، ما كانت تخبو نارها حتى تضطرم من جديد ، وسفكت فيها دماء غالية من اليمنيين الذين هم عادة وقود الحرب بين الطامعين في التسلط والحكم .

وقد استمرت الحرب التي انضم في بعضها السيد احمد بن الحسين المؤيد صاحب صعدة الى آل شرف الدين ضد الإمام المذكور .

حتى جاء الوالي التركي الوزير حسن باشا ، وتمكن من القبض على الإمام المذكور ، وعلى أربعة من أولاد المطهر بن شرف الدين وهم لطف الله وعلي وغوث الدين وحفظ الله ، وارسلهم الى تركيا في عام ٩٩٤ هـ حيث اعتقلوا فيها ، وكان ذلك آخر العهد بهم ، اذ توفوا جميعاً فيها .

كما قبض الوالي التركي جعفر باشا بعد ذلك على الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر بن شرف الدين الى تركيا ، وأرسله الى مصر ولكنه توفى قبل وصوله اليها .

وكان مما ساعد الأتراك على الأشراف هو اختلاف هؤلاء فيما بينهم وحرب بعضهم لبعض ، وانتماء عدد من الأشراف الى الأتراك ضد البعض الآخر كما علمنا .

---

(٣٤) و(٣٥) ائمة اليمن ص ٤٨٧ ٤٩٨ .

وكـان ولاة الأتراك قـد تتابعـوا على اليمن بعـد سنان بـاشا عـلى النحو الآتي :

بهرام باشا ، فمصطفى باشا ،فالمشير مـراد باشا، فالوزير حسن والذي دامت ولايته في اليمن خمسة وعشرين عامـاً وبضعة أشهـر ، ومن آثاره جـامع البكيرية المعروف بالقرب من قصر السلاح في صنعاء ، وقبة الحسينية في تعز ، والمقدم القبلي الغربي في الجامع الكبير بمدينة اب واسمه مكتوب على لوح خشبي في واجهة المصلي الى اليوم .

الإمام المتوكل عبد الله بن علي المهدي

دعا[٣٥] عبد الله بن علي بن الحسن بن الإمام الهادي عز الدين المؤ يدي في بلاد صعدة عام ٩٩٤ هـ ولقب بالمتوكل ولكنه تخلى للإمام القاسم بن محمد بعد دعوة هذا وولي له اعمال بلاد صعدة ثم اختلف معه ووالى الأتراك ، وقد توفي الإمام المتوكل المذكور في عام ١٠١٧ هـ ، وبه انتهت الدولة الزيدية الثانية وبالقـاسـم بن محمد تبدأ الدولة الزيدية الثالثة والأخيرة في اليمن .

---

(٣٥) أئمة اليمن ص (٤٨٧ و٤٩٨) .

عرض عام للدولة الزيدية الثانية

الناحية السياسية

اتَّبَعْتُ بعض[1] المؤرخين في تعريف حكم الأئمة الزيدية الأول في اليمن بالدولة الزيدية الأولى فيه ، وقد بدأت هذه الدولة بالإمام الهادي (يحيى ابن الحسين بن القاسم بن ابراهيم) الذي دعا في عام (٢٨٤ هـ) وانتهت بالإمام (أبي الفتح الديلمي) الذي قتل في حربه مع الملك (علي بن محمد الصليحي) في عام (٤٤٤ هـ) .

وأَتْبَعْتُ تلك الدولة بعرض عام وعلى النحو الذي اتّبعته في جمع الدول والإمارات اليمنية في نهاية التأريخ لها . ولمّا كان أول امام بعد الإمام ابي الفتح الديلمي هو (حمزة بن أبي هاشم) الذي كانت دعوته في عام (٤٥٢ هـ) فإن الدولة الزيدية الثانية قد بدأت به ، وانتهت بالإمام المتوكل عبد الله بن علي المهدي الذي دعا في عام (٩٩٤ هـ) ثم تخلى للإمام القاسم بن محمد ، مؤسس دولة بيت القاسم ، وهي الدولة التي تعتبر الدولة الزيدية الثالثة والأخيرة في اليمن والتي انتهت بحكم (آل حميد الدين) .

لأن لهذه الدولة الزيدية الثالثة طابعاً يميزها وهو امتدادها الى مناطق أوسع في اليمن مما امتدت اليه الدولة الزيدية الثانية والدولة الزيدية الأولى ، اذ أنّ نفوذ هاتين الدولتين الأولى والثانية من حكم الأئمة اقتصر على القسم الأعلى من اليمن ، باستثناء فترات قليلة من حكم الإمام شرف الدين الذي امتدّ فيها الى

---

(١) اليمن في ظل الإسلام ص ١٢٦ .

القسم الأسفل من اليمن والى المناطق الغربية والشرقية والجنوبية فيه ، وقد ساعده على ذلك أمور أهمها :

١ ـ قضاء المماليك على دولة آل طاهر ، الأمر الذي جنبه جبهة داخلية كانت ستعوقه عن مد نفوذه الى مناطق نفوذهم .

٢ ـ سقوط دولة المماليك بعد مقتل ملكهم في الشام (قانصوه الغوري) على يد السلطان سليم بن بايزيد العثماني ، وانحلال معنوياتهم ، في اليمن وانسحابهم من صنعاء ومن كثير من المناطق اليمنية الى زبيد ، الأمر الذي وفرّ على الإمام شرف الدين الجهد والوقت في حربه معهم ، وازال من أمامه عائقاً اكيداً في سبيل مد نفوذه الى المناطق التي كانوا قد بسطوا نفوذهم عليها .

٣ ـ تأخر بسط النفوذ الفعلي في اليمن للأتراك الى عام ٩٤٥ هـ كما علمنا .

وكما اتسمت الدولة الزيدية الأولى بالاضطراب وعدم الاستقرار في منطقة نفوذها وهو القسم الأعلى من اليمن، كذلك اتسمت الدولة الزيدية الثانية بالاضطراب وعدم الاستقرار في منطقة نفوذها وهو القسم الأعلى نفسه ، وذلك بسبب عدم ولاء واخلاص اليمنيين للأئمة الزيدية بصورة ثابتة ودائمة ، بل ومناوأة الكثير من اليمنيين لحكمهم وعدم الرضوخ لهم كما عرفنا .

وكما نافس الدولة الزيدية الأولى امراء وسلاطين كآل يعفر الحميريين ، وآل الضحاك الحاشديين ، ودول اخرى كدولة الفاطمية ممثلة بدولتها الأولى في عهد داعيتيها علي بن الفضل اليمني والحسن بن زادان الكوفي ، وبدولتها الثانية ممثلة بالصليحيين وآل زريع .

كذلك نافس الدولة الزيدية الثانية امراء وسلاطين ودول كبرى ، ومنهم الصليحيون وآل زريع أيضاً ، ثم خلفاء الصليحيين في القسم الأعلى وهم (آل حاتم) الهمدانيون ، ثم دولة الأيوبيون ، فدولة بني رسول ، فدولة بني طاهر فالمماليك، فالأتراك كما علمنا .

اذ كان حكم الأئمة مع كل هؤلاء في مد وجزر ، بحكم قوة أو ضعف حكم الأئمة وحكم الدول والامارات المنافسة لهم .

اضف الى ذلك كله تنازع الأئمة فيما بينهم ، وتناحرهم على السلطة والحكم وحرب بعضهم لبعض ، الأمر الذي ضاعف من حالة الفوضى والاضطراب في مناطق نفوذهم ، واللذين وفرّ مناخهما المذهب الزيدي الذي يقضي بجواز تعدد الأئمة في وقت واحد واقليم واحد في سبيل قيام الأفضل ، وبوجوب الخروج على الظلمة والذي استغله الكثير من الأئمة لغير ما ذهب اليه ، وأبعدوا به عن مراميه وأهدافه من ازالة القيود وكسر الحواجز دون تحكم الظلمة من الأئمة والحكام .

الناحية الاقتصادية

ولقد كان قلق حكم الأئمة وعدم استقرارها في دولتها الثانية من أهم عوامل انهيار الاقتصاد القومي والحكومي . فاذا قام بعض الأئمة بهدم مزارع القبائل المناوئين لهم وقلع اعنابهم وغروس فواكههم كما كان يحدث في بعض الأحيان ، فإنّ ذلك عامل آخر يضاف الى عوامل انهيار الاقتصاد القومي والحكومي وتردي الأوضاع ، ودون تحقيق للهدف الذي يقصدونه من وراء اتخاذه ، وهو اخضاع القبائل واصلاح الأوضاع .

وقد علمنا أنّ الاقتصاد القومي كان يعتمد اساساً على الزراعة ، وانها كانت العمود الفقري والمصدر الأساسي للموارد بالنسبة للدولة وللمواطن معاً .

وهناك مصادر رزق اخرى أقلّ شأناً من مصدر الزراعة كالتجارة والصناعة اليدوية والحرفية والتعدين في بعض المناطق وفي بعض المعادن لإنتاج أدوات الزراعة والحرب والأثاث المنزلي .

وبالطبع وكما هو في كل زمان ومكان فإنّ الزراعة والتجارة وغيرهما من الأعمال الأخرى تنشط وتزدهر في ظل الاستقرار والأمن ، وتتخلف وتركد

حينها تضطرب الأحوال ويسود فيها القلق والخوف والحرب والخراب والدمار .

الناحية الاجتماعية

تقوم البنية الاجتماعية في اليمن عموماً وليس فقط في منطقة نفوذ الأئمة وهو القسم الأعلى من اليمن على الفئات التقليدية ، كفئة العلماء والفقهاء والأدباء ، وفئة التجار ، وفئة أهل الحرف اليدوية والصناعية ، وفئة القبائل ، وكانت هذه الفئة هي الفئة السائدة في الريف .

أمّا الزراعة فيمتهنها جميع الناس بشكل عام وعلى اختلاف فئاتهم .

وقد زادت منذ دخل حكم الأئمة في اليمن فئة اسرهم ، والتي عرفت بفئة الأشراف ، ولقب الفرد منهم بالشريف أو بالسيد كلقب وراثي .

حكمه حكم لقب قاضي الذي يتوارثه في اليمن ابناء الأسرة التي ولي احد آبائها أو اجدادها منصب القضاء الشرعي ، وإن لم يل خلفه ذلك المنصب .

وقد بدأت هذه الألقاب الوراثية تنمحي عند قيام الثورة اليمنية ، ولم يعد النشء يحفل بها أو يحافظ عليها ، ومن تلك الألقاب الوراثية التي بدأت تنمحي بين الناشئة التي تتزود بالعلم لقب (نقيب) بالنسبة لقبيلة بكيل ، ولقب (شيخ) بالنسبة لغيرها من ابناء رؤ ساء القبائل الأخرى .

أمّا الناحية الثقافية فإنها كانت مقصورة في عهد الدولة الزيدية وفي منطقة نفوذها في القسم الأعلى من اليمن على علوم العربية وعلوم الشريعة ، ومنها الفقه الزيدي ، أو بالأصح الهادوي ، منذ ادخله الى اليمن الإمام الهادي يحيى ابن الحسين بن القاسم بن ابراهيم .

كما أنّ المذهب الكلامي في منطقة نفوذهم كان المذهب الشيعي ، وهو يختلف عن المذهب الكلامي السني الذي تعتنقه المناطق التي تتمذهب في الفروع بالمذهب الشافعي أو الحنفي ، ولم ينتشر المذهب الحنفي إلا قليلاً في بلاد تهامة وفي مدينة زبيد بالذات .

ومع ذلك كله فإنّ اختلاف اليمنيين في المذاهب الفروعية أو الكلامية ليس عامل تفريق وتمزيق كما تفعله الطائفية بين ابناء الشعب الواحد في غير اليمن ، فاليمنيون كلهم مسلمون لا طوائف بينهم ، ومن الإسلام تأخذ كل المذاهب الإسلامية آراءها ومذاهبها .

ولم يفرق اليمنيين إلا اختلاف زعمائهم الطامعين في السلطة والحكم ، وتعدد اغراضهم وأهوائهم واتخاذ اليمنيين ادوات ووسائل لتحقيق اغراضهم ومطامعهم ، حتى يقتل الرجل اخاه ، والإبن اباه ، والمرء قريبه ورحمه .

الدولة الزيدية الثالثة
ومعاصروها من الأتراك
(١٠٠٦ - ١٣٨٢ هـ)
(١٥٩٨ - ١٩٦٢ م)

لمّا كان القاسم بن محمد مؤسس الدولة الزيدية الثالثة والأخيرة في اليمن قد دعا أثناء الحكم التركي الأول في اليمن وبالذات أثناء ولاية الوزير حسن باشا الذي دامت ولايته في اليمن خمسة وعشرين عاماً .

وتجنباً لتكرار الأحداث التي قامت بين هؤلاء وبين معاصريهم من أئمة الدولة الزيدية الثالثة المذكورة .

ووفقاً للنهج الذي انتهجته في ترتيب فصول الكتاب ، فإني بنيت هذا الفصل لهما معاً .

الإمام القاسم بن محمد

وقد[١] بدأت هذه الدولة بمؤسسها القاسم بن محمد بن علي بن محمد ابن علي بن الرشيد بن احمد بن الحسين بن علي بن يحيى بن محمد بن يوسف الأشل بن القاسم بن يوسف الداعي بن المنصور يحيى بن الناصر احمد بن

---

(١) المواهب السنية آنف الذكر (مخطوط) والقاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في (المقتطف من تاريخ اليمن) من ص ١٤٢ . مطبعة دار احياء الكتب العربية ، وأميرة علي المداح في (العثمانيون) والإمام القاسم بن محمد من ص٤١ . عن مطهر الجرموزي في (النبذة المشيرة) في سيرة الإمام القاسم وعن الشرفي في (اللآلىء المضيئة) وغيرهم .

الإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم بن ابراهيم .

وقد دعا الإمام القاسم بن محمد في المحرم من عام (١٠٠٦ هـ) (١٥٩٧ م) في جبل جديد قارة من بلاد الشرف .

وكان قد وُلد في بلاد الشاهل من بلاد الشرف حيث كان يقيم والده الذي كان يعمل في جيش الأمير المطهر بن شرف الدين ، ومن الجبل المذكور بث رسله ورسائله الى مختلف القبائل اليمنية في القسم الأعلى من اليمن . وكانت رسائله تندد بمسلك الأتراك وبخروجهم عن الدين ، الأمر الذي جمع الكثير من اليمنيين على الولاء له ، وقد حاول الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن ابن المطهر بن شرف الدين عامل الأتراك على بلاد حجة القبض عليه وحربه ، فامتنع الإمام القاسم في الجبل المذكور ، فأعلم الأمير عبد الرحيم الوزير حسن بالأمر ، وكان في الروضة ، فقوّض خيامه ودخل صنعاء للإعداد لحرب الإمام .

ومنها جهز عدة حملات بقيادة عدد من الأتراك ومن الأشراف وغيرهم من اليمنيين الموالين للأتراك ومنهم : عبد الله المعافا ، وعبد الله بن المطهر بن شرف الدين ، والمطهر بن الشويع ، والكيخيا سنان ، وامتدت الحرب بين قوات الأتراك والقبائل التي اعلنت ولاءها للإمام القاسم من عمران الى رأس نقيل عجيب في بلاد البون من حاشد ، وفي غيرها من مناطق القسم الأعلى من اليمن بما فيها بلاد شرف حجة التي انطلق الإمام في دعوته منها .

وكانت الحرب سجالاً بين الجانبين ، ثم سجلت الانتصار لليمنيين ، وانهزم جنود الأتراك الى عمران بعد ترك عتادهم وأحمالهم غنيمة لليمنيين ، وفي اثناء تلك الحرب حوصر الأمير عبد الله بن المعافا امير السودة فيها سبعة أشهر أضطرّ بعدها الى تسليم نفسه لقوات الإمام، ثم اعلن ولاءه للإمام ودخل الإمام السودة بعد ذلك ، وأقام فيها فترة غادرها بعدها الى بلاد الأهنوم من حاشد واتخذ مدينة شهارة مركز اقامته لمناعتها ، لأنها عبارة عن مدينتين تعرف احداهما بشهارة الأمير نسبة الى الأمير محمد بن جعفر بن قاسم العياني ، والأخرى

بشهارة الفيش ، وكلا المدينتين في اعلى جبلين بينهما شطر طبيعي يبلغ عمقه نحو مائتي متر ، وكانت لهما طريق واحدة فقط للوصول اليها ، عبر جسر ما يزال قائماً ، يعبره الصاعدون اليها اليوم على الأقدام ، وقد شق اليها طريق للسيارات في عهد الثورة المباركة .

ومن ثمة اتسعت البلاد التي والت الإمام القاسم وامتدت من خولان صنعاء الى صنعاء ، ومنها الى نجران ، وسقطت عدة حصون منيعة بأيدي قوات الإمام بما فيها حصن ثلا المنيع وغيره ،أمّا حصن كوكبان فإنّ عامله للأتراك السيد احمد بن محمد آل شرف الدين صمد فيه ، وسانده الكيخيا سنان الذي جاء اليه من بلاد الحيمة بعد سقوط حصن ثلا ، واستطاع أن يدعم قوات السيد احمد بن محمد شرف الدين في المنطقة .

وبالرغم من ذلك فقد احاطت القبائل الموالية للإمام بصنعاء ، بعد سقوط مدينة ذمار بأيديهم ،واضطرّ الوالي حسن باشا الى استدعاء الكيخيا سنان مع قواته لفك الحصار عن صنعاء ، واستطاع ذلك كما احاطت قوات الإمام بحصن الطويلة وبمدينتها وبمدينة صعدة وغيرها ، يدفع اليمنيين الى مساندة الإمام تذمرهم من حكم الأتراك ، وتضررهم من ولاة المناطق ، ولم تُجدِ الأتراك معداتهم الثقيلة واسلحتهم الكثيرة والتي لم يكن اليمنيون يملكون إلا القليل منها مما غنموه من الأتراك .

واضطر الوالي حسن باشا الى طلب العون من الحكومة العثمانية ، التي انجدته بوالي الحبشة الباشا علي الجزائري بقواته ، وكانت له معرفة بشؤون اليمن وبلاده منذ ولاية والده فيه ، ثم ولايته فيه بعد والده في المنطقة الوسطى ريمة ووصابين وما اليها ، في اثناء ولاية الوزير حسن باشا نفسه ، واستطاع الأتراك بذلك المدد ان يعززوا مراكزهم في اليمن ، وان يفرضوا مع ذلك حصاراً شديداً على الإمام وهو في شهارة منذ بداية شهر شوال من عام ١٠٠٩ هـ (١٦٠١ م) ،وأضطروه الى الخروج منها ليلاًبعد احد عشر شهراً من الحصار ومعذلك فلم يتمكنوامن الاستيلاء علىشهارة ،وظلوا محاصرين لها نحو عامين

اضطروا الأمير محمد بن الإمام القاسم وأخاه أحمد الى تسليمها وتسليم انفسهما الى الأتراك بموجب شروط وفوا لهما بها ، ومنها خروجهما بأسلحتهما ومن معهما من كبار رجال والده المحاصرين معهما ونقلهم الى حصن كوكبان وحفظهم فيه ، وكان تسليم شهارة للأتراك في بداية شهر المحرم من عام ١٠١٢ هـ (١٦١٤ م) .

أمّا الإمام القاسم فانه انتقل بعد إنسحابه من مدينة شهارة الى بلاد برط ، وحفر في موضع فيه بئراً وبنى مسجداً وسماه الهجرة حيث صار يأوي اليه انصاره ، اثناء استعادة الأتراك لنفوذهم ، ثم جاءت قوات الأتراك في بلاد برط لمطاردة الإمام فيها ، واضطراره الى مغادرتها الى بلاد نجران ، حيث أقام فيها فترة عاد بعدها الى برط ، ومنها استأنف نضاله ضد الأتراك لإخراجهم من اليمن ، وكان[٢] سنان باشا قد عين والياً على اليمن خلفاً للوزير حسن الذي نقل الى مصر والياً عليها ، وذلك في عام ١٠١٢ هـ ، وركز سنان باشا في بداية ولايته على عقد صلح مع الإمام القاسم وعوّل على السيد احمد بن محمد شرف الدين عامل الأتراك على بلاد كوكبان ان يوعز للسيد الحسن بن شرف الدين الكحلاني السجين في حصن كوكبان بأن يراسل الإمام في ذلك ، وأن يعرض على الإمام أن تكون له بلاد معينة يكون له النفوذ عليها مقابل اعلان ولائه للدولة العثمانية ، فيكون بذلك كأحد ولاتها في اليمن ، فرفض الإمام العرض وتقدم بدوره بعرض للصلح على اساس احتفاظه بدعوته ، وأن يكون له النفوذ على بلاد الأهنوم وأعمالها ، وبلاد وادعة من حاشد وعلى بلاد خولان وبلاد برط وبلاد رازح من أعمال صعدة وهي المناطق الموالية له فيما يبدو ، فرفض سنان باشا العرض الذي تقدم به الإمام ، وكتب للإمام يتهدده بقتل الأسرى في كوكبان من أولاده وغيرهم اذا لم يرضخ للصلح الذي تقدم به هو للإمام ، ورد الإمام عليه برسالة مما جاء فيها قوله : « أمّا من عندكم من الأسرى فافعلوا بهم ما بدا لكم ، وأقسم بالله لأبلغن في حربكم ونكايتكم كل مبلغ ، ولأروغنّ لكم روغان الثعلب ، ولأثبنّ عليكم وثوب الأسد » .

---

(٢) الكبسي في اللطائف السنية (مخطوط) وأميرة علي المداح في (العثمانيون والإمام القاسم) من ص ٧١ .

وكان رد الفعل لدى الوالي سنان باشا من موقف الإمام المتصلب هو تجهيز الحملات العديدة على الإمام الى بلاد برط والى مختلف القبائل والمناطق التي اعلنت ولاءها للإمام ، وضيق عليه المسالك واخضع الكثير من المناطق الموالية له ، وأخذ الرهائن مثلثة من رجل وامرأة وطفل ، كما فعل مع أهل الحيمة الداخلية بعد أن استولت قواته على حصن العر ، وبعد أن أعطى المحاصرين فيه الأمان ، وكانت الحيمة قد والت الإمام بزعامة القاضي الحماطي الذي حاصرته القوات التركية في جبل مسار من بلاد حراز القريبة من بلاد الحيمة طيلة ثلاث سنوات حتى استولت عليه ، وضاقت الأمور بالإمام في تلك الفترة حتى لم يجد من يناصره أو حتى يأويه من القبائل اليمنية بسبب قسوة وعنف الأتراك في معاملتهم للبلاد التي يخضعونها ، والقبض على مشايخها وإرسالهم الى سجون المناطق الخاضعة للأتراك .

ولكنه حدث أن انتصر شيخ وادعة حاشد عبد الله بن سعد الطيري على الأمير عبد الله المعافا احد أمراء وقادة الحملات التركية حين قصد بلاد وادعة لحربها وإخضاعها ، وكان قد خرج عن ولائه للإمام وعاد الى ولائه للأتراك .

وحدث مع ذلك ان اعلن الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الإمام شرف الدين عامل الأتراك على بلاد حجة ولاءه للإمام القاسم بسبب كراهية كانت بينه وبين سنان باشا منذ ولاية الوزير حسن ، واستطاع الأمير عبد الرحيم ان يستولي باسم الإمام على الكثير من المناطق في بلاد حجة ، ومنها بلاد مركز حجة وبلاد الشرفين وبلاد عفار كحلان تاج الدين وغيرها ، ووصل الإمام اثناء ذلك الى بلاد وادعة حاشد ، وأعلنت الكثير من المناطق الأخرى ولاءها له أيضاً ، ومنها بلاد الطويلة وبلاد كوكبان باستثناء الحصن الذي كانت قوة الأتراك فيه قوية ، تساندها قوة عامله للأتراك احمد بن محمد شرف الدين ، ثم استولى الإمام على مدينة شهارة للمرة الثانية ، وذلك بالتسليم من عاملها للأتراك عبد الله المعافا .

وانقسم الأشراف آل شرف الدين المنافسين للإمام القاسم بين الجانبين .

اضطر كل ذلك الوالي سنان باشا ان يعرُض على الإمام صلحاً يقضي باعتراف الدولة العثمانية بـه إماماً ، واعترافهـا بنفوذه عـلى ما تحت يـده من المناطق ، وذلك ليتفرغ الوالي سنان لإخضاع غيره من الأشراف الذين خرجوا عن ولائهم للدولـة العثمانيـة ، وفي مقدمتهم الأمـير عبد الـرحيم آل شـرف الـدين ، وعقد الصلح بـين الوالي سنـان والإمام القـاسم في عـام ١٠١٥ هـ وحددت مدة الصلح بعام واحد .

وفي عام ١٠١٦ هـ وصل الى اليمن والياً عليه الباشا جعفر خلفاً لسنان باشا .

الصلح بين الإمام القاسم والأتراك

وكان[٣] من أولى هموم الـوالي الجديـد عقب وصولـه اليمن ، هو عقـد صلح مع الإمام القـاسم تستقرّ بـه الأمور في اليمن ، وليـأمن جانبـه ويتفرغ لإخضاع من بقي له نفوذ من الأشراف وغيرهم ، وقد تمكن من عقد صلح مع الإمام القاسم اعترف به ضمناً بإمامته وبنفوذه على ما تحت يده ، واستطاع ان يحد من نفوذ سائر الأشراف ، وركز بصورة خاصة على الأمير عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر بن شرف الدين الذي حاول ان يستقـل بنفوذه عـلى ما تحت يده عن كل من الإمام والأتراك . وتمكن الـوالي جعفر بـاشا من القبض عليه بعد حرب بينهما دامت عامين كاملين ، ثم اعتقله في اليمن عامين أرسله بعدهما الى الأستانة (استامبول) حيث اعتقـل فيها بقلعـة ذي فلة الى جانب عـدد من الأشراف آل شـرف الـدين وافتهم جميعـاً منيتهم فيهـا ، واستقـرت الأحوال في القسم الأعلى من اليمن بالنسبة لحكم الأتـراك ، واستطاع الـوالي جعفر ان يحقق العدل وان يرفع المظالم التي كانت قائمة على الرعية من قبل ولاة الأتـراك في عموم منـاطق اليمن ، وقرب العلماء ، وكـان كـما وصفـه المؤرخ الكبسي من احسن من وصل الى اليمن من البواش السلطانية في تعظيم العلماء

---

(٣) عيسى بن لطف الله في (روح الروح) والكبسي في اللطائف السنية (مخطوطين) وأميرة عـلي المداح في المصدر المذكور ص ١٠٢ . عن اللآلىء المضيئة وغيرها .

والأشراف ومعرفة حقوقهم ، لأنه كان له حصة وافرة من العلوم الشرعية والعقلية ، وكان شاعراً مجيداً وكان جلساؤه اعيان علماء ذلك الوقت ، وكان يحتمل للعلماء ويختلطهم بنفسه ويجزل لهم الصلات ويكرر لهم الهبات ، فكان على طريقة مرضية ، ثم عقد الوالي جعفر صلحاً آخر مع الإمام القاسم في آخر أيام ولايته عزز به الصلح السابق مدته عام واحد ، ووصل الى اليمن ابراهيم باشا خلفاً لجعفر باشا وذلك في عام (١٠٢٢ هـ) .

وقد توفي[٤] الوالي (ابراهيم باشا) في قرية منقذة من أعمال ذمار ، وهو في طريقه الى صنعاء عام وصوله الى اليمن ، فأعيد الى ذمار ودفن فيها ، واجتمع رأي كبار قادة الجيش التركي على استعادة الباشا جعفر الذي كان ما يزال في المخا للاضطلاع بشؤون الولاية .

ولكن عبد الله شلبي كيخيا الوالي ابراهيم باشا حاول الحيلولة دون عودة الباشا جعفر الى ولاية اليمن بحجة احقيته هو بصفته كيخياء الوالي الشرعي المتوفي ، وأنّ جعفر باشا قد عزل عن ولايته من قبل الدولة العثمانية ، وحاول مع ذلك ان يمتنع في صنعاء التي كان الوالي ابراهيم قد اسند اليه نيابتها .

أمّا الوالي جعفر باشا فإنه واصل تقدمه من المخا نحو صنعاء وتوقف في ذمار ، ومنها جهز كيخياه الجديد حيدر باشا للتقدم نحو صنعاء والاستيلاء عليها وتمكن الكيخيا حيدر من دخولها بعد ان أمّن أهلها ، ثم حاصر عبد الله شلبي في قصر السلاح حتى اضطره الى تسليم نفسه بأمان منه ثم قتله بأمر الوالي جعفر وقتل عدداً من أنصاره ، ووصل الوالي جعفر الى صنعاء .

ومنها جهز حملاته على القبائل التي خرجت عن الدولة العثمانية اثناء صراعه مع عبد الله شلبي ، وعلى الإمام القاسم الذي كان قد مدّ نفوذه الى بعض المناطق أثناء ذلك الصراع ، بحجة انتقاض الصلح القائم بينه وبين

---

(٤) الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط والجرافي في (المقتطف) من ص ١٤٣ . و(أميرة المداح) في (العثمانيون والإمام القاسم بن محمد) من ص (١١٣) عن الجرموزي والشرفي في المصادر آنفة الذكر .

الدولة العثمانية والذي عقده معه هو في آخرة عهده وقبل وصول الوالي ابراهيم باشا .

وقامت حروب مريرة وطويلة سجلت الانتصار في بدايتها للجانب التركي واضطرت الإمام القاسم ان يخرج من شهارة ، وينتقل الى صعدة ، وبالرغم من ذلك فإنّ قوات الجانب التركي بقيادة حيدر باشا واصلت زحفها في اثره الى بلاد صعدة وقامت بين الجانبين حروب كثيرة فيها وفي غيرها ، ولكن الانتصار الذي سجلته قوات الإمام القاسم في بلاد صعدة قوت من معنوياتها ، وواصل الإمام حربه للأتراك حتى ملّ الجانبان الحرب ، واستجابا معاً لعقد صلح يقرّ الأمور ويضع حداً للحرب التي قتل فيها الكثير من الجانبين ، وممن قتل فيها من جانب الإمام ولده علي في موضع الشقاب من بلاد صعدة وعدد من كبار قادة قواته ومشايخ البلاد الموالية له ، وقتل من قادة الجانب التركي الأمير عبد الله بن المعافا وغيره ، وأسر الحسن بن الإمام ونقل الى صنعاء حيث اعتقل في الدار الحمراء فيها .

وقد عقد الصلح وحددت مدته بعام واحد مثّل الإمام فيه الفقيه جمال الدين بن عامر الذماري ، الذي وصل الى صنعاء ، ومن بنود الصلح ان يترك للإمام ما تحت يده وقت الصلح الأول ، وهي بلاد الحيمتين وبلاد حضور وجبل مسور وبلاد صعدة ، وأنّ أسرى صنعاء كالحسن بن الإمام القاسم يبقون في صنعاء ، ولا ينقلون الى مكان آخر ، وقد ركز الإمام على هذا البند خشية ان يرسل الأمير الحسن الى الأستانة .

أمّا العام الذي حدد لمدة الصلح المذكور فإنه يبدأ من أول رجب ١٠٢٥ هـ ، وقد احرز الإمام بهذا الصلح مكاسب من أهمها : توسيع مناطق نفوذه في القسم الأعلى على حساب الولاية التركية في اليمن ، وان كانت ارضاً فقيرة بالنسبة الى مناطق نفوذ الأتراك في عموم اليمن .

وفي العام المذكور ١٠٢٥ هـ وصل الى اليمن والياً[٥] عليه الباشا محمد

(٥) الكبسي في (اللطائف السنية) والموزعي في (تأريخ الاحسان) مخطوطين، وأميرة المداح علي في المصدر المذكور من ص ١٢٣ . عن الجرموزي مؤلف سيرة الإمام القاسم وغيره .

حاجي خلفاً لجعفر باشا ، وفور وصوله الى اليمن ركز على تجديد سور صنعاء وقلاعه وسور مدينة حجة وغيرها من المدن الخاضعة للأتراك ، منتهزاً فرصة الاستقرار الذي حققه الصلح الذي عقده الوالي جعفر باشا مع الإمام .

ولما انتهى العام الذي حدد به الصلح المذكور عقد الألوية وجهز الجيوش لإخضاع المناطق التي والت الإمام في بلاد البستان وبلاد ثلا والسودة وبني حشيش وفي بلاد انس وبلاد حجة وغيرها ، وكانت الحرب سجالاً بين الجانبين ، ومع ذلك فإنّ الجانبين سئما الحرب وقبل الوالي الصلح الذي طلب عقده الإمام عقب وصول الوالي وانتدب الإمام السيد عبد الله شمس الدين جحاف ممثلاً له في وضع مسودة الصلح .

وعقد الصلح في شهر جمادي الأولى من عام ١٠٢٨ هـ (١٦١٩ م) ، وحددت مدته بعشر سنوات ، ومن بنوده ان يكون للإمام جميع ما تحت يده من البلاد ، واخراج الأسرى من الجانبين ، ما عدا الأمير الحسن بن الإمام القاسم الذي يفتقر الإفراج عنه الى امر من السلطان ، ومع ذلك فقد أبدى الوالي استعداده للإفراج عنه اذا اطلق الإمام ما تحت يده في بلاد البستان لقربه من صنعاء ، وقد رفض الإمام ذلك ، وآثر بقاء ولده في الأسر على التخلي عنها ، ومع ذلك فقد احسن الوالي الى الأمير الحسن المذكور ، وسمح له بالخروج تحت الحفظ الى بيته في بير العزب ، كانت فيها إحدى سراريه والدة ابنه المهدي احمد بن الحسن .

ثم عين الوالي محمد حاجي كيخيا له محمد سنان ، خلفاً لحيدر باشا الذي عاد الى تركيا .

وقد استقرت الأحوال في اليمن عموماً بعد عقد الصلح المذكور ، وأمنت السبل ، وتبادل الفريقان اطلاق الأسرى من الجانبين .

وفاة الإمام القاسم بن محمد وقيام ولده المؤيد الكبير محمد

وفي اثناء ولاية محمد حاجي باشا توفي[٦] الإمام القاسم بن محمد ،

(٦) كان الإمام القاسم بن محمد عالماً كبيراً في الفقه الزيدي وله فيه الإعتصام الذي أكمله السيد أحمد بن يوسف زبارة والأساس في علم الكلام (اصول الدين) والإرشاد في تيسير الاجتهاد .

وذلك في شهر ربيع الأول من عام ١٠٢٩ هـ (١٦٢٠ م) في حصن شهارة ، ودفن فيها بجوار الجامع الذي بناه بها عن حكم دام حوالي ثلاثة وعشرين عاماً كانت كلها حروب مع الأتراك قسمها المطهر بن محمد الجرموزي في مخطوطته التي وضعها لسيرة الإمام القاسم الى اربع مراحل وعرفها بأربع نهضات بقوله(٧) :

« للإمام اربع نهضات الأولى من الدعوة (١٠٠٦ هـ) الى خروجه من شهارة الى برط في (٣ شوال سنة ١٠١٠ هـ) (١٦٠٢ م) ، والثانية من خروجه من برط الى انعقاد الصلح بينه وبين سنان باشا (في عام ١٠١٥ هـ - ١٦٠٦ م) ؛ والثالثة عند خروجه على جعفر باشا (لدى عودته الى الولاية) بعد موت ابراهيم باشا وذلك في عام (١٠٢١ هـ - ١٦١٢ م) ؛ والرابعة في عام ١٠٢٥ هـ -١٦١٦ م وذلك عقب وصول محمد حاجي الى اليمن والياً عليه ورفضه اقرار الصلح المعقود بينه وبين الوالي جعفر باشا الذي عقده معه الإمام في ولايته الثانية كما علمنا .

وقد بايع العلماء والأعيان ورؤساء القبائل محمد بن القاسم بن محمد خلفاً لأبيه ولقب بالمؤيد .

وقد طلب الإمام المؤيد من الوالي محمد حاجي اقرار الصلح المعقود بينه وبين والده فور بيعته ، وأجابه الوالي الى طلبه ورد عليه مع ذلك بالرسالة الآتية(٨) :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، على ما قضى ، وقدّر وأمضى ، كل نفس ذائقة الموت ، وكل انسان وإن طال عمره الى الفوت ، وإنا لله وإنا اليه راجعون ، وعلى بلائه صابرون » وبعد أنّ عزّى الوالي الإمام المؤيد بوفاة والده قال : « وذكرتم أنّ الذي بيننا وبين والدكم رحمه

---

(٧) أميرة علي المداح ص ١٣ . عن مخطوطة الجرموزي المذكور بتصرف .
(٨) الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط .

الله من العهود والمواثيق ثابت اساسها ، محكم مراسها ، زاد الله اساسها ومراسها ثباتاً وقوة ، كما هي الإرادة المرجوة ، ونحن إن شاء الله على ذلك ، ما يبدر منا امر يظهر فيه اختلال ، ولا يكون منا للموضوعات بقواعدها وعقودها انحلال ، بل انا لكم كما انتم لنا ، وما هو الموجود عندكم هو كذلك عندنا ، والألفة الصافية الخالصة الوافية كما هي ، ما يغير تلك القواعد مغير ، ولا يكدرها مكدر ، ونحن لكم في أمر الخير مساعدين ، وفي طريق مرضاة الله معاضدين ، والله يختار لنا ولكم الخير ويأخذ بنواصينا ويرشدنا ويحسن دلائلنا عليه ، وحسبي الله وكفى ، بتأريخه سابع شهر ربيع الأول سنة ١٠٢٩ للهجرة ، حرر بمحروس صنعاء » .

وقد تميزت بداية عهد الإمام المؤيد (بفضل اقرار الجانبين اليمني والتركي للصلح الذي حددت مدته بعشر سنوات لم يمض منها في حياة الإمام القاسم إلا عامان) بالهدوء والاستقرار طيلة ثمان سنوات ، عزل الوالي محمد حاجي اثنائها وابدل بالباشا فضل الله .

وقبل ان يصل الوالي فضل الله صنعاء تمكن الأمير الحسن بن الإمام القاسم من الفرار من ثقب في السجن ، بعد ان اخرج من صنعاء ولده احمد بن الحسن وزوجته وذلك من داره في بير العزب ، ولحقوا جميعاً بأخيه الإمام المؤيد ابن القاسم .

ووصل الوالي فضل الله صنعاء وكتب منها للإمام المؤيد يطلب منه اقرار الصلح الذي اقره الوالي محمد حاجي الذي كانت ما تزال في مدته بقية ، ويطمأنه عما حدث من فرار الأمير الحسن بن القاسم ، ويؤكد للإمام المؤيد بأنّ ذلك لا يفسد ما بين الجانبين ، وأنّ الحسن لو لم يفعل ما فعله لأفرج عنه فور وصوله الى صنعاء . وبعث اليه بثمن بيت الأمير الحسن في بير العزب في صنعاء .

أما الإمام المؤيد فإنه جهز أخاه الحسن لإصلاح بلاد الشام شمال صعدة فأصلحها وحارب الخارجين على دولة أخيه فيها حتى وصل الى نجران ، والى

بلاد فيفا وبني مالك في المناطق المجاورة لها ، كما أجاب في نفس الوقت الى طلب الوالي فضل الله واقر الصلح القائم بين الجانبين اليمني والتركي .

اخر ولاة الأتراك في اليمن

وفي[٩] عام ١٠٢٤ هـ بعثت الحكومة التركية الى اليمن والياً عليه الباشا حيدر خلفاً للباشا فضل الله ، وكان الباشا حيدر كيخيا للباشا جعفر كما عرفنا ، وعاد فضل الله الى تركيا ، ولكنه توفي في أبي عريش من المخلاف السليماني وهو في طريقه اليها ، فأسرع الكيخيا محمد سنان الى ابي عريش وأخذ الخزانة التي كانت معه ، وأوصلها الى الباشا حيدر، فكافأه حيدر باشا بقتله لمنافسة سابقة بينهما منذ ولاية جعفر باشا المذكور .

وقد جدد الوالي حيدر باشا اتفاقية الصلح مع الإمام المؤيد .

ولكنها انتقضت في عام (١٠٣٦ هـ - ١٦٢٥ م) بسبب قيام الوالي حيدر بقتل الفقيه حسين بن علي العلماني من علمان أسفل وادي ظهر ، لإتهامه بالدعوة للإمام في صنعاء وأخذ الأموال من أتباع الإمام وإيصالها اليه ، ولأن الوالي حيدر لم يستجب لما طلبه الإمام من تسليم القاتل أو الدية ، وكان المؤيد قد استفاد من الهدوء الذي وفره اقرار الصلح القائم منذ وفاة والده وحتى العام المذكور ، وقوى حصون وقلاع المناطق الواقعة تحت نفوذه وأعد عدته لفتح الحرب مع الوالي حيدر باشا ، يشجعه[١٠] مطالبة الكثير من رؤساء القبائل في المناطق الشمالية الخاضعة للأتراك بالهجوم عليهم ، ووعدوه بعونه ومساندته ، وأكدوا له اخلاصهم بارسال ابنائهم رهائن لديه . الأمر الذي دفع الإمام المؤيد الى تجهيز قواته الى كثير من مناطق نفوذ الأتراك في القسم الأعلى من اليمن .

---

(٩) الحسن بن عبد الرحمن في (المواهب السنية) مخطوط .

(١٠) يحيى بن الحسين في (انباء الزمن) ص ١٦٢ .

وكانت عمران وبلاد كوكبان وبلاد الحيمتين وبلاد صعدة والطويلة ومغارب اليمن في بلاد حجة هي ميادين الحرب بين الجانبين ، كما جهز الأتراك قواتهم بقيادة العديد من امراء آل شرف الدين وغيرهم ، ومنهم عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن شرف الدين والحسن بن حميد الدين بن المطهر بن شرف الدين ، وناصر المحبشي وغيرهم ، وبقيادة العديد من القادة الأتراك ومنهم القائدان فرحان ومحمود وغيرهما ، وكانت الحرب سجالاً بين الجانبين في بدايتها . ولكنه[11] لما كثرت جموع اليمنيين في صفوف الإمام المؤيد توالت الانتصارات لهم على الأتراك وانصارهم ، وقتل في حروب بلاد كوكبان والطويلة عدد من كبار قادة الجانب التركي ، ومنهم الأمراء محمد بن المهدي بن حفظ الله بن عز الدين بن شرف الدين ، والسيدعبد الله بن أحمد الحمزي والحسين بن صلاح بن الهادي من أولاد شرف الدين وغيرهم .

وكانت هذه الهزائم التي توالت على قوات الجانب التركي والتي فلت من عزائمهم هي في عام ١٠٣٦ هـ ، وقد اجبرت السيد عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن شرف الدين الى الإنضمام الى الإمام المؤيد ، وساعد الأميرين الحسن والحسين ابني القاسم وجنودهما على دخول حصن كوكبان باسم الإمام المؤيد ، وكان من أهم المعاقل الخاضعة للأتراك ومنه تقدمت الجموع اليمنية لحرب القائد صفر المعسكر بقواته في حصن ثلا وأجبروه على تسليمه بعد حرب قامت بين الجانبين ، وكان حصن ثلا المطل على مدينة ثلا من أهم معاقل الأتراك في المنطقة أيضاً ، ثم واصل اليمنيون تقدمهم نحو صنعاء وعسكروا في منتزه حدة فارضين حصاراً شديداً على صنعاء وذلك في شهر شعبان من نفس العام .

وكان الوالي حيدر باشا قد هدم مباني بير العزب قبيل الحصار لئلا يتخذها اليمنيون معسكرات لهم يحاربون منها الأتراك ، وقامت أثناء الحصار

(١١) الحسن بن احمد آل شرف الدين في (المواهب السنية (مخطوط) ج ١ .

عدة معارك بين الجانبين كانت سجالاً بينهما ، ومنها وقعة قاع الحفا وكانت لصالح الجانب التركي ، ووقعة ضبر حدين وكانت لصالح الجانب اليمنى ، ووقعة الجراف ، وكانت لصالح الجانب التركي ، ووقعة نهم كانت لصالح الجانب اليمني ، وشارك الوالي حيدر في بعض المعارك لتقوية معنويات قواته ، وقد استمرت المعارك بين الجانبين حتى اضطر الباشا حيدر في عام ١٠٣٧ هـ الى الانسحاب ببعض قواته من صنعاء بعد ان ترك فيها حامية قوية للدفاع عنها لم تلبث ان استسلمت وسقطت صنعاء بأيدي اليمنيين في العام المذكور .

بل أنّ بعض[١٢] المؤرخين ذهب الى أنّ الوالي حيدر باشا سلم صنعاء للأمير الحسين بن القاسم عند مغادرته لها ، بموجب صلح عقده مع الإمام المؤيد وفى له الإمام بالشروط التي نص عليها .

ومن[١٣] ثمة واصل اليمنيون تقدمهم نحو المنطقة الوسطى واليمن الأسفل وتهامة لمواصلة حرب الأتراك المتمركزين فيها ، وساندهم اليمنيون من ابناء تلك المناطق المتذمرون من الحكم العثماني الذي لم يحقق فيها شيئاً من الإصلاح بالرغم من استقرار حكمهم فيها ، واخرجوا الأتراك منها ومن ذمار واب وبلادها ، ثم من تعز بعد محاصرة اليمنيين لهم فيها حتى سقطت بأيدي اليمنيين ، وانسحب الاتراك منها الى بلاد زبيد ، وكان ذلك في عام ١٠٣٨ هـ .

ولما ادرك الوالي حيدر باشا الذي كان معسكراً بفلول قواته في زبيد ضعف الجانب التركي في اليمن راسل الإمام المؤيد يطلب منه إيفاد السيد صلاح الدين بن عبد الله السراجي الشهير بالحاضرين اليه للتفاوض على التسليم .

ولكن كبار قادة قوات الأتراك في زبيد انكروا عليه ذلك وحاصروه في المنزل الذي ينزل فيه في زبيد أياماً ، ثم أخرجوه منها الى جزيرة كمران ،

---

(١٢) القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في (المقتطف) ص ١٥٠ .

(١٣) الحسن بن احمد في المصدر المذكور والمواهب السنية) .

ونصبوا احدهم بدلاً عنه بعد ان انتهبوا الأموال التي كانت بحوزة الوالي حيدر باشا .

ثم وصل الى اليمن في نفس العام المذكور (١٠٣٨ هـ) الباشا قانصوه الغوري بقوة تركية وعربية كبيرة بهدف استعادة نفوذ تركيا في اليمن ، ولكن تلك القوة على جسامة حجمها وضخامة معداتها ، لم تفعل شيئاً امام تصميم اليمنيين على الاستقلال . وقد نزل قانصوه بعتاده وأثقاله في ميناء المخا ، ثم تقدم منها الى مدينة حيس للتمركز فيها والانطلاق منها في محاولة استعادة نفوذ الدولة العثمانية في اليمن ، ومن حيس جهز قوة بقيادة الكيخيا مصطفى باشا عسكرت في نجد المحيريب من بلاد شرعب ، لم تلبث ان داهمتها القوات اليمنية وشتتت شملها، بعد قتل قائد الحملة المذكور ، وأسر الكثير من افراد القوة التركية ونقلهم الى تعز ، وصدق على الأتراك المنهزمين في وجه جموع اليمنيين قول الشاعر :

وضاقت الأرض حتى كان هاربهم   اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

أمّا الباشا قانصوه فما ان علم بانهزام حملة الكيخيا مصطفى باشا حتى انسحب من حيس وعاد الى المخا ، وكانت هذه الأحداث في عام ١٠٣٩ هـ .

وقد استقر قانصوه مع جمهرة قواته في مدينة المخا يعد للوثوب من جديد في محاولة اخرى للتقدم داخل اليمن ، حتى تمكن في عام ١٠٤٢ هـ من الهجوم بقوات قادها بنفسه على الأمير شمس الدين يحيى آل شرف الدين امير تعز ، والذي كان آنذاك في بلاد الحجرية وعلى غير استعداد لمواجهة مثل تلك الحرب ، وقد وقع الأمير شمس الدين قتيلاً ، كما وقع نحو مائة وخمسين من قواته أسرى في أيدي الأتراك ، وأعاد ذلك الحادث للأتراك بعض معنوياتهم بصورة مؤقتة ، حيث انتقل قانصوه وقواته الى مدينة زبيد لإكمال استعداده للتقدم نحو تعز بغية استعادة نفوذ الدولة العثمانية عليها ، كبداية جديدة فيما يرجو لإعادة النفوذ الشامل لدولته في اليمن .

كما كان حادث انتصار الأتراك في بلاد الحجرية حافزاً لليمنيين وايلائهم بقية الأتراك الموجودين في اليمن الأهمية التي تحتم المزيد من الاستعداد للقضاء على ما بقي لهم من وجود ونفوذ في اليمن .

وبالفعل ، تقدمت جموع اليمنيين بقيادة الحسن بن القاسم نحو زبيد ، وضربوا نطاقاً شديداً من الحصار عليها بعد قيام عدة معارك بينهم وبين الأتراك المتمركزين فيها ، واضطروا الباشا قانصوه الى ان يطلب من الأمير الحسن تأمينه للخروج منها وتسليم نفسه اليه على ان يساعده على مغادرة اليمن ، وتمّ الأمر على ذلك وغادر قانصوه اليمن مع خاصته من ميناء المخا عام ١٠٤٥ هـ ، ثم تحول اليمنيون الى المخا لمحاصرة اميرها للأتراك واضطروه الى مغادرتها مع بقية جنوده وامراء الأتراك في نفس العام ١٠٤٥ هـ وعادوا الى تركيا ، إلا من رغب بالبقاء في اليمن في خدمة الإمام المؤيد محمد بن القاسم .

وبذلك تخلص اليمن من الحكم التركي الأول الذي دام زهاء مائة عام كما عرفنا أي من عام ٩٤٥ الى عام ١٠٤٥ للهجرة .

وهنا وطبقاً للنهج الذي انتهجته سأعرض للحكم التركي الأول في اليمن بشكل عام . على ان أستكمل التأريخ لبقية ائمة الدولة الزيدية الثالثة والأخيرة في اليمن بعد ذلك ، وهي الدولة التي بدأت كما عرفنا بالإمام القاسم بن محمد ، وفي اثناء الحكم التركي الأول في اليمن ، وانتهت بدولة آل حميد الدين التي قضت عليها ثورة السادس والعشرين من سبتمبر المجيدة ، وقامت على انقاضها الجمهورية العربية اليمنية .

عرض عام للحكم العثماني الأول في اليمن

الأتراك[1] أصلاً شعب من شعوب التتر ، كان يسكن في بلاد التركستان بآسيا الوسطى ، وكان مؤسس دولتهم السلطان عثمان بن أرطغول بن سليمان شاه قد ساعد الملك علاء الدين السلجوقي ضد المغوليين في بداية القرن السابع الهجري الأمر الذي جعل له الملك السلجوقي المذكور الحرية في ان يفتح البلاد باسمه أي السلطان عثمان المذكور ، وأن يضرب السكة باسمه خاصة ، وأن يذكر اسمه في المنابر مقروناً باسمه ، فصار السلطان عثمان يفتح بلاد الروم حتى زالت دولة السلجوقيين سنة ٦٨٩ هـ على أيدي المغوليين ، فأعلن السلطان عثمان استقلاله ، وأتاه امراء وأعيان الدولة السلجوقية البائدة يستظلون بحمايته ، وتأسست في ذلك الحين الدولة العثمانية سنة ٦٦٩ هـ ، وما زال سلاطينها يفتحون البلاد والممالك الرومانية حتى لم يبق في يد امبراطور الروم إلا القسطنطينية ، وقد افتتحها السلطان محمد الثاني سنة ٨٥٧ هـ الموافقة لسنة ١٤٥٢ م ،ثم امتد سلطانهم بعد ذلك بالفتوحات حتى ملكوا سائر دول جزيرة البلقان بما فيها اليونان ، وافتتحت مصر في عهد السلطان سليم سنة ٩٣٢ هـ وسلمه ابن شريف مكة نيابة عن والده مفاتيح الحرمين الشريفين ، وتنازل له الخليفة العباسي المتوكل على الله عن الخلافة ، وهو الخليفة الذي احتفظ به المماليك في مصر خليفة للمسلمين اثناء حكمهم بعد سقوط الخلافة العباسية على ايدي التتار .

وصار السلطان سليم بن بايزيد العثماني من ذلك العهد هو الخليفة

---

(١) محمد فريد وجدي في (دائرة معارف القرن العشرين) المجلد الثاني ص ١٠٤٥ .

للمسلمين .

ولقد بدأ نفوذهم الفعلي في اليمن في عهد السلطان سليمان القانوني بن السلطان سليم بن بايزيد في عام ٩٤٥هـ، وكان حكم الأتراك في اليمن في عهد السلاطين العثمانيين الآتية أسماؤ هم على الترتيب[٢] : السلطان سليمان بن سليم ، سليم بن سليمان ، مراد الثالث بن سليم ، محمد الثالث بن مراد الثالث ، احمد خان الأول بن أحمدالثالث ، مصطفى الثاني بن محمد الثالث ، عثمان الثاني بن احمد خان ، مراد الرابع بن عثمان خان وفي عهده استقل اليمن عن حكم الأتراك الأول وذلك في عام ١٠٤٥ هـ كما علمنا .

وكانت عوامل انهيار الحكم العثماني الأول في اليمن عديدة داخلية بالنسبة للدولة العثمانية نفسها ، وخارجية عنها ، أهمها: نضال اليمنيين في سبيل الاستقلال عنها ، واشتغال الدولة العثمانية بالثورات التي قامت ضدها في بعض البلدان العربية كالعراق وفي اوروبا .

أمّا العوامل الداخلية بالنسبة للدولة العثمانية والتي ساعدت على انهيار حكمها في اليمن وغيره فمنها التمرد الذي حدث داخل القوات النظامية العثمانية والتي كانت تعرف بالأنكشارية ، واضطرار الدولة الى تجهيز قوات غير نظامية وغير تركية ، تنقصها العصبية القومية اللازمة لضمان قوة الدولة ، اذ كانت الدولة العثمانية بعد الفساد الذي استشرى داخل الجيش النظامي التركي تكلف والي مصر بتجهيز الحملات العسكرية الى اليمن ، ويقوم[٣] الوالي بتجهيز القوة من الأساكفة والصناع وقطاع الطرق والفلاحين المصريين غير النظاميين ، لأن الجنود النظاميين الأتراك المعسكرين في مصر ايضاً تقاعسوا عن الاشتراك في الحملات المرسلة الى اليمن ، لبعده وصعوبة الحرب فيه بسبب وعورة مسالكه ومضايقه الجبلية ، ولأنهم الفوا الدعة والراحة وتنعموا في مصر

---

(٢) عبد الصمد بن اسماعيل الموزعي في تأريخه (الاحسان في دخول مملكة اليمن في ظل آل عثمان) مخطوط .

(٣) اميرة علي المداح في (العثمانيون والإمام القاسم بن محمد) ص ١٤٥ .

باللذات وتعلقوا فيها بكل أسباب الحياة ، وكثر أولادهم وصارت مصر وطناً لهم ، ومع ذلك فإنّ الدولة العثمانية ما كانت لتوفر للقوات المرسلة الى اليمن ضروريات الحياة ، الأمر الذي كان يلجؤها الى السلب والنهب ، ويضطر الكثير من ولاة اليمن وغيره الى ممارسة اخذ الرشوة والى الاختلاس ، لسد حاجات الجنود واسترضائهم ، وضاعف ذلك من عدم استقرار الأوضاع ، وعمل على استمرار نضال اليمنيين وصمودهم في وجه الحكم العثماني، وأدى بالتالي الى اخراج الأتراك من اليمن والاستقلال عن الحكم العثماني الأول في اليمن .

ومع كل ذلك فإنّ الدولة العثمانية كانت تعتبر اليمن منفى للمجرمين ، ولا ترسل اليه إلا من تريد تأديبهم أو تتخلص منهم ولقد ارسلت اثناء ولاية محمد باشا ١٦١١ - ١٦١٥ م حوالي ألف جندي الى مصر لينقلوا الى اليمن لتمرد وقع منهم ، وقد امتنع أولئك الجنود في مصر عن الذهاب الى اليمن بعد وصولهم الى القاهرة ، واعتصموا في احدى دورها ، فأضطرّ الوالي الى ارسال قوة من الجند لمحاصرتهم ، ولإخراجهم بالقوة ، وتمّ للقوة الجديدة ارغام الألف جندي على التوجه الى اليمن .

هذا(٤) والقوة التركية الانكشارية في الجيش التركي هي قوة المشاة النظامية ، أمّا الخيالة في الاصطلاح العثماني فيعرفون بالسباهية ، كما أنّ المدفعية تعرف بالطوبجيلر ، والتي كانت تنطق في اليمن أثناء الحكم العثماني وفي عهد الحكم الحميدي بالطوبجية أو الطوبشية .

ولدى استعراض الأحداث التي قامت بين اليمنيين والأتراك خلال حكمهم الأول في اليمن ، نتبين بوضوح نضال اليمنيين المستمر ضدالأتراك.

و أنّ ما كان يحدث خلال ذلك من استقرار ليس إلا الهدوء الذي يسبق العاصفة المتجددة .

أي أنَ حرب اليمنيين للأتراك ما كانت لتتوقف إلا ريثما يستعيد اليمنيون .

---

(٤) أميرة علي المداح في (العثمانيون والامام القاسم بن محمد) ص ١٤٥ .

انفاسهم ، ويجددون استعدادهم لاستئناف الحرب مع الأتراك ، أو حينما يتضاعف المدد للأتراك من الخارج ، أو من الداخل حينما تساندهم بعض العناصر اليمنية لأغراض سياسية ، ويتحول الموقف لغير صالح الجانب اليمني » .

ولذلك فإنّ مما ساعد الأتراك على التغلغل في اليمن هو اختلاف أولاد الإمام شرف الدين مع اخيهم المطهر بن شرف الدين وانضمامهم الى الأتراك، الى جانب ولاء الأشراف الحمزات بما فيهم اشراف الجوف للأتراك أيضاً . كما قام المطهر نفسه أثناء ذلك الاختلاف وقبل تسليم والده واخوته السلطة اليه بتحريض الأتراك على التقدم نحو صنعاء والاستيلاء عليها .

وإنّ مما ساعد اليمنيين على طرد الأتراك من اليمن بصورة نهائية هو وحدة أولاد القاسم بن محمد الذين تزعموا حركة النضال ضد الأتراك في عهد حكمهم الذي خلف حكم آل شرف الدين .

وقد كان القسم الأعلى من اليمن هو مركز النضال ضد الأتراك بسبب خفة وطأة حكمهم فيه ، لصعوبة جباله ووعورة مسالكه ، ولبعده عن مجال الامدادات اليه من الحكومة التركية بالنسبة لمنطقة تهامة والمناطق المجاورة لها ، ولكن اليمنيين كل اليمنيين شاركوا في النضال ، وساندوا آل شرف الدين قبل اختلافهم فيما بينهم ضد الأتراك كما ساندوا الإمام القاسم بن محمد وأولاده في عهدهم ، وشمل النضال اليمن كله وحتى مدينة زبيد ومينائى المخا وعدن ، وكانت هذه المدن هي المنطلق الأول للأتراك والملجأ الأخير لهم كما عرفنا .

ولقد جاء الأتراك الى اليمن وبسطوا نفوذهم الفعلي فيه في عام ٩٤٥ هـ ، وذلك بعد بسط نفوذهم في الشام على انقاض حكم المماليك بعد قتل ملكهم (قانصوه الغوري المملوكي) في المعركة التي قامت بينه وبين قوات السلطان سليم بن بايزيد العثماني في (مراج دابق) في الشام قرب حلب ، ثم بسط الأتراك نفوذهم في مصر والحجاز منذ عام ٩٢٣ هـ ، وكان السلطان سليم المذكور هو الذي سجل تلك الأحداث وحقق للعثمانيين تلك الانطلاقة الواسعة في البلاد العربية وغيرها .

وكان من أهم الأهداف لبسط العثمانيين على الجزيرة العربية ومنها اليمن هو السيطرة على البحر الأحمر وفيه مضيق باب المندب المنفذ الوحيد منه الى البحر العربي فبحر الهند ، أو الحيلولة دون مد البرتغاليين الصليبيين نفوذهم الى الجزيرة العربية وفيها الحرمان الشريفان ، وعن تحويل الخط البحري التجاري عن طريق رأس الرجاء الصالح في غرب جنوب افريقيا بعد اكتشافهم له ، بعد سيطرتهم على البحر الأبيض المتوسط بعد بسط نفوذهم في الشام .

وكان سليمان باشا الأرنوطي المعروف بالخادم هو أول من وصل من الأتراك الى ساحل عدن ، وبسط نفوذ الدولة العثمانية بصورة فعلية في عدن في عام ٩٤٥هـ بعد غدره بالملك عامر بن داود آل طاهر آخر ملوك آل طاهر وقتله مع رفاقه الذين وصلوا اليه الى سفينته الحربية الراسية على ساحل عدن ، وكان قد استدعاهم اليه لتقديم شكره للملك عامر على استضافته ومعالجته لجنوده المرضى ، ولإبلاغه بتوجيهات السلطان سليمان بن سليم العثماني حول التكاتف لحرب البرتغاليين الصليبيين .

وكان الملك عامر بن داود قد احتفظ بنفوذ له بعد مقتل الملك عامر بن عبد الوهاب على ايدي المماليك في ابواب صنعاء . كما عرفنا .

ثم استولى الباشا سليمان الخادم المذكور على عدن واعدم عدداً من امراء آل طاهر ووزرائهم وصادر أموالهم وبسط نفوذ دولته فيها ثم في المخا بعد اقناع واليها من المماليك (احمد الناخوذة) بتأكيد اعلان ولائه للعثمانيين ، ثم في زبيد ، عاد بعد ذلك الى مصر .

وبذلك يكون الحكم العثماني الأول في اليمن قد بدأ حكمه بعمل غادر لا ضرورة له مع ما ثبت له من استعداد عامر بن داود للتعاون معه ضد البرتغاليين ، وعدم[٥] صحة ما نسبه اليه الإمام شرف الدين وابنه المطهر لدى

---

(٥) الموزعي في تاريخه (مخطوط) .

سليمان باشا من عزمه على التعاون مع البرتغاليين ضد الحكومة العثمانية .

ولاقى عمله المشين استنكاراً واشمئزازاً لدى اليمنيين رسم لديهم عن الأتراك صورة سيئة في بداية عهدهم في اليمن ، وحال دون اطمئنانهم اليهم والثقة بهم ، وحملهم على حربهم طيلة فترة حكمهم في اليمن ، برغم تزعمهم شؤون الخلافة الاسلامية ، ومنع البرتغاليين عن مد نفوذهم الى الجزيرة العربية وسواحلها .

وكان الأتراك قد استعانوا بالمماليك المتواجدين في اليمن عقب سقوط دولة المماليك في الشام ، ومصر على ادارة شؤون اليمن باسم الحكومة التركية لضمان تبعية اليمن لها ، ولكن انهيار معنويات المماليك في اليمن بعد سقوط دولتهم ومقتل ملكهم (قانصوه الغوري) اضعف معنوياتهم في اليمن ، وأتاح لليمنيين ان يشنوا عليهم حرباً لا هوادة فيها حتى اضطروهم الى الانسحاب من مختلف المدن اليمنية بما فيها صنعاء ، وان يتجمعوا في مدينة زبيد ، ويلموا شملهم فيها حتى بسط سليمان باشا الخادم ومن خلفه نفوذ دولة آل عثمان المباشر في اليمن كما عرفنا .

وبدأ الصراع بين الأتراك واليمنيين ، وظل نفوذ الأتراك في اليمن في مد وجزر بحكم اختلاف العوامل والظروف بالنسبة للجانبين طيلة عهد الأتراك في اليمن في حكمهم الأول حتى فكر الأتراك بصورة جادة في الخروج من المأزق الذي وقعوا فيه حوالي مائة عام ، وقرروا مرغمين مغادرة اليمن بصورة نهائية ، وذلك حين سلم قانصوه التركي آخر ولاة الأتراك في اليمن نفسه الى الأمير الحسن بن القاسم قائد القوات اليمنية بعد تشديد الحصار عليه في زبيد ، وطلب مساعدته في الخروج من اليمن من بعض موانيه ، ثم غادره مصطفى باشا والي المخا مع بقية قوات الأتراك ، باستثناء من رغب منهم بالبقاء في اليمن ، وأعلن ولاءه للإمام المؤيد محمد بن القاسم ورغب في خدمته وكان خروج مصطفى باشا هذا وخروج بقية الأتراك النهائي من اليمن هو في عام ١٠٤٥ هـ .

وتتلخص عوامل انهيار الحكم العثماني في اليمن بالآتي :

١ ـ نضال اليمنيين المستمر ضد الوجود التركي طيلة عهده في اليمن ومن أول يوم لوجودهم فيه .

٢ ـ وحدة امراء بيت القاسم في قيادتهم الحرب المقدسة ضد الاستعمار التركي طبقاً للمفهوم السائد آنذاك .

٣ ـ سوء سلوك الكثير من ولاة الأتراك ، وعدم توفقهم الى الأسلوب الأمثل في الحكم ، وعدم انتهاج منهج الاصلاح والتعمير ،وتشجيع الاقتصاد ، والعمل على ازدهاره حتى في المناطق التي توفر لهم فيها الاستقرار على الشريط الساحلي والمناطق المجاورة لها ، والذي امكن لهم بسبب سهولة وصول الأمدادات العسكرية من تركيا اليها ، .

٤ ـ تزعزع مركز الحكومة التركية في معظم البلدان التي لها نفوذ عليها ، بسبب قيام العديد من الثورات عليها في العديد من البلدان العربية وأوروبا الشرقية .

هذا وللحقيقة التأريخية فإنّ حكم العثمانيين في اليمن وفي البلاد العربية (على ما اتسم به من الجمود والتخلف وسوء سلوك العديد من ولاتها) حدّ من مطامع البرتغاليين الذين كانوا يتزعمون الحرب الصليبية كما حدّ من مطامع الأنكليز في اليمن وفي البلاد العربية .

وللحقيقة أيضاً فإنّ التأريخ لن يغتفر لآل شرف الدين وللحمزات خلافهم للأمير المطهر بن شرف الدين ، مما أتاح للأتراك توغلهم في اليمن .

كما لن يغفر التأريخ للمطهر نفسه اتاحته الفرصة للأتراك للتوغل في اليمن وتشجيعهم ومساندتهم في التوغل بسبب خلاف أبيه وأخوته له .

ولن يغفر للمطهر أيضاً قسوته في الحكم وبطشه وجبروته فيما ارتكبه من قتل الرهائن والأسرى اليمنيين كما حدث بالنسبة لرهائن خولان وأسرى موكل عنس وغيرهما مما مرّ بنا .

كما لن ينسى التأريخ للإمام القاسم بن محمد ، ولأولاده تزعمهم النضال ضد الأتراك . ولن ينسى لهؤلاء وحدتهم وتكاتفهم بجانب اليمنيين ضد الوجود التركي حتى تمّ اخراجهم من اليمن .

الناحية الاقتصادية خلال الحكم العثماني الأول في اليمن

ادت الاضطرابات في اليمن خلال الحكم العثماني الأول فيه الى تدهور الاقتصاد القومي كنتيجة حتمية لذلك ، ولم يعمل الأتراك مع ذلك على انعاش التجارة وازدهار الاقتصاد حتى في المناطق المستقرة بالنسبة لهم ، وأدى ذلك بالتالي الى قلة مواردهم مما كان يحملهم على زيادة ظلمهم وتشديد وطأتهم ومصادرتهم للأغنياء والتجار في الكثير من الأحيان ، وانعكس ذلك في زيادة الاضطرابات في اليمن بشكل عام .

الناحية الاجتماعية

أمّا الناحية الاجتماعية خلال الحكم العثماني الأول في اليمن فهي لم تختلف عما كانت عليه قبل وبعد حكمهم ، لأن البنية الاجتماعية في اليمن تقليدية ذات طابع قبلي في الريف. وذات فئات متعددة في المدن ، ومنها فئات التجار والمثقفين والمهنيين وغيرهم .

ولليمنيين في الحضر وفي الريف عاداتهم وتقاليدهم التي يحتفظون بها .

أمّا الزراعة فهي الصفة الغالبة والأساسية في الريف ، والثانوية في المدن وكما هي عليه اليوم .

هذا وكما أدخل الأئمة الزيدية الى اليمن لقب شريف أو سيد على الفرد من اسرهم . كذلك أدخل الأتراك لقب (باشا) الى اليمن اثناء حكمهم فيه ، وصاروا يمنحونه لمن يخلص من الشخصيات اليمنية في خدمتهم ، ثم صار ذلك اللقب يلحق اسماء افراد اسرة الشخصية التي منحته كلقب عائلي .

دولة بيت القاسم بعد خروج الأتراك من اليمن

لمّا[1] تمكن الإمام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد بمساندة اليمنيين من اخراج الأتراك في حكمهم الأول من اليمن وذلك في عام ١٠٤٥ هـ بسط نفوذ دولته على اليمن جميعه تقريباً ، وولى اخويه الحسن والحسين ولايات واسعة ، كما ولى غيرهما من الأشراف ومن غيرهما ، وظلّ أخواه المذكوران على ولايتيهما الواسعتين الى موتهما ، (الحسن بن القاسم في عام (١٠٤٨ هـ) و(الحسين[2] بن القاسم في عام (١٠٥٠ هـ) .

وكان الأمير احمد بن الحسن بن القاسم يطمح بأن يوليه عمه الإمام المؤيد جميع ما كان ابوه والياً عليه ، ولكن المؤيد لم يوله إلا بلاد وصاب ، ووصل اليها احمد بن الحسن واعلن خلافه على عمه منها ، بعد ان طرد عامل بلاد عتمة المطهر بن محمد الجرموزي وتمركز في المنطقة .

الأمر الذي حمل الإمام المؤيد على تجهيز جيش كبير لحربه واخضاعه بقيادة عمه الحسين بن القاسم ، وقامت معركة بينهما في مغربة عتمة اسفرت عن انهزام جيش احمد بن الحسن وتسليم نفسه الى عمه المذكور .

وبحسب تعليمات الإمام فقد وصل الحسين بن القاسم مع ابن اخيه احمد بن الحسن الى مدينة اب الذي نمى الى الإمام مساندة عاملها الشيخ علي شمسان لأحمد بن الحسن ، وعاد الحسين بن القاسم به وبابن اخيه الى

---

(١) اللطائف السنية (مخطوط) .

(٢) وهومؤلف (الغاية) في علم الأصول .

صنعاء ، حيث حدد الإمام اقامتهما معاً فيها وبنى لشمسان داراً فاخرة فيها كما ذكر المصدر[٣] .

وفي عام ١٠٥١ هـ طلب الإمام من احمد بن الحسن كشفاً بمتروك والده قائلاً له : إن كان ذلك لبيت المال فلا تستحقه وإن كان لأبيك فهو لك ولشركائك من ورثة ابيك » .

فاستشعر احمد بن الحسن بأنّ ذلك الطلب مجرد استفزاز له ، وإنّ وراءه خطراً عليه يعتزم الإمام ايقاعه به ، فانسحب من صنعاء الى بلاد خولان يجمع الرجال حوله منها ثم من بلاد عنس وبلاد قيفة وانتقل بهم الى بلاد قعطبة معلناً خلافه مرة اخرى على الامام .

مما حمل الإمام كذلك ان يجهز جيشاً كبيراً لحربه بقيادة اخويه اسماعيل وعبد الله ابني القاسم بن محمد ، وقامت حرب بين الجانبين عند نقيل الشيم القريب من قعطبة اسفرت عن انهزام عسكر احمد بن الحسن وانسحابه هو الى عدن ولجوئه بأميرها (الحسين بن عبد القادر اليافعي) ، وأقام عنده حتى وصل اليه امر الإمام بارساله إليه ، فعرض اليافعي عليه امر الإمام ، فانسحب الى بلاد يافع ، وأقام فيها حتى وصل اليه موفداً من الإمام (القاضي احمد بن الحسن اليافعي) لتأمينه والوصول به اليه ، فأذعن احمد بن الحسن وعاد الى الإمام المؤيد الذي احسن استقباله وزوجه بابنته وانهى بذلك كل خلاف بينهما .

الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم

ولما[٤] توفي الإمام المؤيد الكبير محمد بن القاسم بن محمد في عام (١٠٥٤ هـ) دعا اخوه احمد الذي كان حاضراً عنده يوم وفاته في مدينة شهارة .

(٣) و(٤) المواهب السنية مخطوط .

ولكن اخاه اسماعيل الأصغر منه سناً عارضه ، وقامت بين الأخوين مناوشة انتهت بتنازل احمد لاسماعيل ، واستتب الأمر لاسماعيل الذي اتخذ مدينة ضوران آنس عاصمة لدولته ومركزاً لإقامته .

هذا وقد توفي الإمام المؤيد عن أربعة وعشرين عاماً من دعوته وثلاث وستين سنة من مولده .

ومن أولياته اجازته صرف زكاة الهاشمي الغني في الهاشمي الفقير ، وتشريعه أخذ الزكاة في القليل والكثير دون التقيد بالنصاب الشرعي .

وقد خالف امير عدن وأبين الحسين(٥) بن عبد القادر اليافعي على الإمام المتوكل اسماعيل عام **١٠٥٥** هـ وجهز الإمام لإخضاعه احمد بن الحسن الخبير بالمنطقة ، واستطاع ان يعيد نفوذ دولة الإمام اليها وان يولي عليها .

امتداد نفوذ الإمام المتوكل الى المناطق الشرقية

كانت بعض المناطق الشرقية قد خرجت عن دولة بيت القاسم منذ عام (١٠٣٥ هـ)، وقد جهز الإمام المتوكل اسماعيل لإعادتها الى حظيرة الدولة القاسمية الأمير احمد بن الحسن بن القاسم . فأخضع أولاً بلاد الرصاص من بلاد البيضا بعد مقتل الشيخ حسن الرصاص الذي كان قد جمع المقاتلين من بلاده التي كانت تعرف ببني ارض ومن دثينة والمصعبين وآل عمر وآل هصيص وآل حميقان وبني غيلان وبلاد العواضي والملاحم وغيرها ، كما انضمت اليه جموع من بلاد العوالق وبلاد يافع العليا ومن الواحدي والفضلي ، وكان قد بنى في مكان يعرف بنجد السلف سوراً مستطيلاً من الشرق الى الغرب طوله ميل وحصنه بالرماة ، وجعل وسطه كالديوان واتخذه مركزاً له كالقلب من الجناحين، وأمر كل قبيلة بأن تصل اليه بأهلها وان يكونوا في الشعاب القريبة من المعسكر لئلا يفروا أو ينهزموا في وجه قوات الإمام المتوكل .

ولكنه حدث ان تغلبت قوات الإمام كما علمنا وذلك في عا م (١٠٦٥ هـ) .

---

(٥) المواهب السنية (مخطوط)

ثم تقدم احمد بن الحسن بقواته الى بلاد يافع وبسط فيها نفوذ دولة الإمام المتوكل دون حرب ، وولى عليها شرف الدين بن المطهر بن عبد الرحمن بن المطهر بن شرف الدين وعاد هو الى صنعاء .

ولكن بلاد يافع سرعان ما خالفت على الإمام ، فجهز لإخضاعهاولده محمد بن اسماعيل ، ثم عززه بقوات اخرى تمكنت جميعها من اخضاعها وفتح الطريق الى بلاد حضرموت التي كان اميرها بدر بن عبد الله بن عمر الكثيري قد ثار على عمه امير حضرموت بدر بن عمر الكثيري في عام ١٠٦٤ هـ .

ولكنه لما(٦) أدرك خضوع بلاد يافع العتية للإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم ، راسله معلناً ولاءه له ، فأقره الإمام على ولاية حضرموت الأظفار الحبوضي من بلاد حضرموت فإن الإمام ولى عليها الأمير السلطان بدر بن عمر الكثيري ، وكان بين السلطانين منافسة شديدة حملت بدر بن عمر الكثيري على اعلان ولائه للإمام لضمان مساندته له وهو ما حدث كما علمنا .

وظل بدر بن عمر على ولايته لظفار حتى وثب عليه جعفر بن عبد الله الكثيري في عام (١٠٦٨ هـ) موعزاً من اخيه السلطان بدر بن عبد الله واستولى على ظفار . ووصل السلطان بدر بن عمر الى الإمام المتوكل مستنجداً به .

فانجده(٧) في عام (١٠٦٩ هـ) بجيش كبير بقيادة الأمير احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد آنف الذكر . ووصل احمد بن الحسن بقواته الى بلاد حضرموت واخضعها بعد انهزام بدر بن عبد الله الكثيري ، ثم استسلامه وارسله الأمير احمد بن الحسن الى الإمام المتوكل الذي ابقاه لديه أياماً ثم اذن له بالعودة الى بلاده حيث توفي فيها عقب عودته اليها .

كما أعاد أحمد بن الحسن بدر بن عمر على ولايته على ظفار

---

(٦) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) والحسن بن عبد الرحمن في (المواهب السنية) ج ١ . مخطوطين .

(٧) حمزة علي لقمان في كتابه تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ص ١٤٠ .

الحبوضي وعاد هو الى الإمام .

وفي عام (١٠٧٠ هـ) اسند الإمام المتوكل ولاية الشحر على ساحل حضرموت الى السلطان علي بن بدر بن عبد الله الكثيري . كما جهز في عام (١٠٧١ هـ) الأمير احمد بن الحسن المذكور على رأس جيش كبير الى بلاد الفضلي في أبين ، واضطر السلطان حيدرة الفضلي الى تسليم نفسه اليه بعد ان استأمنه عن طريق سلطان الواحدي وأعاد احمد بن الحسن نفوذ الدولة القاسمية الى بلاد الفضلي وغيرها في المنطقة .

يوم الغدير

احتفل(٨) بهذا اليوم وهو اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة لأول مرة في تأريخ حكم الأئمة في اليمن في عهد الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم بن محمد في عا م (١٠٧٣ هـ) بالإشارة من الأمير احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد وذلك للتنويه بمكانة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وزوجه فاطمة بنت رسول الله وولديها الحسن والحسين لما يروى ان رسول الله ﷺ جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين تحت كساء في هذا اليوم الثامن عشر من شهر ذي الحجة في موضع يعرف بغدير خم وقال : (اللهم إنّ هذا كسائي وكساء أهل بيتي ، اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه) . الى آخر الحديث .

خلاف الامير علي بن احمد بن القاسم ودعوته وتخليه

وفي عام (١٠٨٧ هـ) اعلن امير صعدة علي بن احمد بن القاسم بن محمد خلافه على الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم بن محمد ودعا الإمامة لنفسه وتلقب بالمنصور ، وذلك بسبب خلافه مع الأمير احمد بن الحسن الذي كان قريباً ومقرباً من الإمام ، وقد برّر علي بن احمد خروجه على الإمام المتوكل ودعوته لنفسه بكبر سن الإمام ومرضه الدائم وعجزه عن ادارة شؤون الدولة والميل الى أولاده ، وذلك في رسالته التي بعث بها الى الإمام . الأمر

(٨) الكبسي في اللطائف السنية المذكور .

الذي حمل الإمام على اصدار امره الى احمد بن الحسن بالتحرك من مدينة الغراس مكان اقامته على رأس جيشه لحرب الإمام المنصور المعارض ، وقامت حرب بين الجانبين كان لجيش احمد بن الحسن التفوق فيها .

ومع ذلك فقد انهى موت الإمام المتوكل في نفس عام خلاف علي بن احمد المذكور ودعوة احمد بن الحسن خلاف علي بن احمد ودعوته .

الإمام المهدي احمد بن الحسن بن القاسم

وكانت وفاة الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم في التأريخ المذكور عا م (١٠٨٧ هـ) بمدينة ضوران آنس عن ست وستين سنة من مولده وثلاث وأربعين سنة من دعوته ، وعن ثلاثة عشر ولداً ذكراً ، ومن جملة وصاياه لهم عند موته قوله : « وابتغوا من فضل الله ولا يحملنكم الثقل على السكون في البيوت ، فأطلبوا الرزق من فضل الله وتنقلوا ، ولا تتخذوا السؤال حرفة فبئست الحرفة ، ولكن اطلبوا الرزق الحلال واحياء الأموال ، وان امكن ان تجعلوا لكم نواباً في البيع ، والشراء فهو حسن نافع ، وإن لم يكن إلا بأنفسكم فافعلوا » .

هذا ويعتبر عهد الإمام المتوكل هذا ازهى عصور الإمامة على الاطلاق ، ومنذ عهده وحتى نهاية خلفه الإمام احمد بن الحسن امتد نفوذ حكم الإمامة الى المناطق الشرقية والجنوبية في اليمن ، وذلك منذ استقلت بسلاطينها ومشائخها وانفصلت عن اليمن الأم في نهاية عهد دولة بني طاهر كما علمنا ، وكان مد نفوذ الدولة اليها على يد احمد بن الحسن وبموت الإمام المتوكل ايضاً انتهت فترة شباب الدولة القاسمية .

وقد جمع احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد الى مدينة الغراس مكان اقامته وبعد ثلاثة أيام من وفاة الإمام المتوكل كبار العلماء والأعيان وامراء الجيش وكبار اقاربه بما فيهم الأمير محمد بن الإمام المتوكل ، وذلك للتشاور فيمن يخلف الإمام المتوكل ، واستقرّ رأي المؤتمرين على مبايعته ، وبايعوه ولقبوه بالمهدي ، وكان يعرف بسيل الليل ، وقد عارضه كل من :

القاسم بن الإمام المؤيد محمد بن القاسم بن محمد ودعا لنفسه في شهارة وتلقب بالنصور

والحسين بن الحسن بن القاسم ودعا لنفسه وتلقب بالواثق .

والسيد محمد بن علي الغرباني ، ودعا لنفسه في برط .

والسيد احمد بن ابراهيم المؤيدي ودعا لنفسه في بلاد صعدة .

ولكنه سرعان ما حسم الخلاف بين الأخوين المتعارضين ، ولزم الحسين ابن الحسن الإقامة في داره بمدينة رداع على ان لا يبايع اخاه احمد بن الحسن ولا يقوم بأي حركة مناوئة له .

كما قامت حرب بين الإمام المهدي احمد بن الحسن والمنصور القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد انتهت بصلح يقضي بأن يتنازل المنصور للمهدي مقابل اقطاع المهدي إياه بلاد حجة وعفار وكحلان وبعض بلاد الشرفين وبلاد السودة وظليمة والأهنوم من اشد ، وتمّ الأمر على ذلك ، ويبدو أن الإمامين المعارضين أيضاً محمد بن علي الغرباني واحمد بن ابراهيم المؤيدي لم يقوما بنشاط يذكر .

وفي نفس عام دعوة الإمام المهدي احمد بن الحسن اجلى اليهود من صنعاء الى القاع الذي عرف بقاع اليهود ويعرف اليوم بقاع العلفي ، وهدم كنيستهم في صنعاء وبنى جامعاً مكانها عرف بجامع الجلاء ما يزال معروفاً بهذا الإسم الى اليوم ، وكان الإمام المهدي ناهضاً قوياً ومن ألمع ائمة بيت القاسم ، ومن أبرز ما اخذ عليه عدم تسامحه المذهبي[١٠] .

الإمام المؤيد الصغير ومعارضوه

وقد[١١] توفي الإمام المهدي احمد بن الحسن بن القاسم في مدينة الغراس

---

(٩) و(١٠) اللطائف السنية والمواهب السنية ج ١ مخطوطين .

(١١) اللطائف السنية (مخطوط)

من بني الحارث احدى نواحي صنعاء في عام ١٠٩٢ هـ . ١٦٨١ م عن ثلاث وستين سنة من مولده ، وخمس سنوات من دعوته ، وكان قد بدأ النزاع يدب في الأسرة القاسمية منذ عهده بالرغم من قوة شخصيته .

أما انحلال وضعف الدولة القاسمية فإنما بدأ بالفعل من بعد موته كما سنعلم .

ذلك[١٢] انه دعا بعد موته محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم بن محمد ، وتلقب بالمؤيد الصغير ، تمييزاً له عن المؤيد محمد بن القاسم بن محمد والذي عرف فيما بعد بالمؤيد الكبير .

وعارض المؤيد الصغير كل من :

١ - الحسين بن الحسن بن القاسم بن محمد في بلاد رداع .

٢ ـ والقاسم بن المؤيد الكبير المذكور في شهارة .

٣ ـ وعلي بن احمد أبو طالب في صعدة .

٤ - ومحمد بن احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد في منصورة الصلو من بلاد الحجرية .

٥ - والحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن شرف الدين في كوكبان .

٦ ـ وعلي بن المتوكل اسماعيل بن القاسم في مدينة اب .

٧ ـ والحسن بن المتوكل اسماعيل بن القاسم في تهامة .

ولكنه آل أمر الجميع الى مبايعة المؤيد الصغير المذكور .

لأنّ بيده فيما يبدو الأموال التي تركها والده .

---

(١٢) اللطائف السنية (مخطوط) .

الى جانب مساندة كبار رجال دولة ابيه وقادة جيشه له ، لأن فترة حكم احمد بن الحسن الخمس سنوات لم تبعد بالمؤيد الصغير عن عهد ونفوذ والده المتوكل اسماعيل بن القاسم الذي يعتبر عهده ازهى عصور دولة بيت القاسم التي امتدت كما عرفنا منذ دعوة القاسم بن محمد في عام ١٠٠٦ هـ وحتى قيام دولة بيت حميد الدين التي قامت على انقاضها ثورة اليمن الخالدة في ٢٦ سبتمبر من عام ١٩٦٢ م ، ربيع الثاني من عام ١٣٨٢ هـ .

وقد أقام المؤيد الصغير في مدينة ضوران آنس حيث كان يقيم والده المتوكل اسماعيل بن القاسم المذكور .

ولعل المؤيد الصغير كان يترسم خطى المؤيد الكبير .

وقد اختط المؤيد الصغير مدينة معبر في جهران ، وكان يقيم فيها وفي ضوران آنس ، وسماها بهذا الإسم لأنها كانت معبر المسافرين بين صنعاء وعدن .

وقد[١٣] انفصلت المناطق الجنوبية والشرقية عن اليمن الأم للمرة الثانية والأخيرة في عهده أي الإمام المؤيد الصغير .

وجهز الإمام المؤيد الصغير لاستعادتها واعادة بسط نفوذ دولته عليها الأمير عبد القادر بن الناصر آل شرف الدين دون جدوى . ذلك أنّ الأمير عبد القادر بن الناصر المذكور جهز ولده الحسين في عام (١٠٩٤ هـ) لقيادة الجيش وتنفيذ المهمة ، وتحرك حسين عبد القادر بن الناصر على رأس جيش كبير من بلاد كوكبان وغيرها ، ووصل بقواته الى بعض المناطق الجنوبية ، وكان من بين قادة جيشه (الحسين بن المهدي) ، وكان ضعيف الرأي قليل الخبرة بأساليب القتال ، فأورد الجيش مورداً صعباً بين شعاب الجبال في بلاد يافع ، مما أدى الى تحكم الجانب الآخر وسيطرته وقتل الكثير من جيش الإمام ، وممن قتل من كبار قادة الجيش الإمامي في ذلك اليوم (احمد بن محمد بن الحسين بن القاسم بن

---

(١٣) المواهب السنية (مخطوط) .

محمد) الملقب بحجر لكثرة صمته ، وفي ذلك انشأ الحسين بن عبد القادر بن الناصر قوله :

وددت مصرع مولانا الحسين ولا   الرجوع في سلك قوم بعد ان كسروا
وصرت انشد من كرب ومن أسف   ما أطيب العيش لو أن الفتى حجر

ويعني بمولانا الحسين (الحسين بن المهدي) .

وأضاف المصدر قائلاً : « وتوفي المولى الحسين بن المهدي سنة (١٠٩٥ هـ) ، بتعز ، وقيل انه عزم أن لا يواجه الإمام المؤيد بالله بعد هذه الوقعة حياً » .

وكانت للأمير الحسين بن عبد القادر بن الناصر عودة الى بلاد يافع سجل فيها بعض الانتصارات الحربية ولكن دون أن يتمكن من اعادة نفوذ الدولة القاسمية عليها .

وقد عقدت فصلاً خاصاً بانفصال الجنوب اليمني عن اليمن الأم بعنوان (جنوب اليمن من الانفصال حتى الاستقلال) .

وفاة الإمام المؤيد الصغير

توفي الإمام المؤيد الصغير في حمام علي من بلاد آنس في شهر جمادي الآخرة من عام (١٠٩٧ هـ) ونقل جثمانه الى ضوران آنس حيث دفن الى جانب ضريح والده وذلك عن عمر دام ثلاثة وخمسين عاماً ، وحكم دام خمسة أعوام ، وقد تحدث المؤرخ السيد محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه[١٤] عن الإمام المؤيد الصغير وعن الوضع في عهده فقال : « وكان رحمه الله أويس زمانه وفضل أوانه ، زاهداً في الدنيا مؤثراً الآخرة ، لا يأكل من بيت المال شيئاً ، ولا يلبث يأنس بالصالحين ، ويتوحش من المترفين ، ودعا عقب موت المهدي ، وعارضه الحسين بن الحسن والقاسم بن المؤيد (الكبير) ، الذي تقدم ذكره ، حصل عليه خلاف أهل المشرق ، وكان آله قد أمنوا سطوته ،

(١٤) اللطائف السنية (مخطوط) .

فأستبدوا بالأمور ، وكان صنوه السيد العلامة الأديب الرئيس النجيب علي بن المتوكل بـاليمن ، له دولـة متأثلة وصـولة مكملة ، وكـان خيله الف عنان ، ومستبداً بولاية تلك البلاد (اب وجبلة واعمالها)وهو جد بيت المتوكل في اب وجبله وصاحب المنصورة (محمد بن المهدي احمد بن الحسن) مستقل بأعمال الحجرية وما اليها ، والحسين بن حسن مستقل برداع وما اليها ، والمشرق الى اعمال حضرموت ، وعلي بن احمد مستقل بمدينة صعدة وأعمالها ، وحسن بن المتوكل كان في اللحية نافذ الأوامر الى زبيد وبيت الفقيه ، والحسين بن محمد أبو طالب في عمران مستقلاً ببلادها وحاشد وبكيل الى اعمال صعدة ، وحسين ابن المتوكل بصنعاء وأعمالها ، وكان الإمام المؤيد يتوجع من سيرة البعض منهم في الرعية على ما لا يبيحه الشرع ، وعرض بعد دعوته خلاف يافع ، ووقعت حروب عظيمة بينهم وبين اولاد الإمام لم يقفوا منها على طائل ، وظلّ في بعضها الأمير احمد بن محمد بن الحسين ، وتغلق المشرق (يعني الجنوب) من ذلك الوقت ، والإمـام المؤيد بقي عـلى تلك الحال الحميـدة الى سنة سبـع وتسعين وألف ، وأصـابه مـرض اقعده عن افتقـاد الأطراف ، فـوجد القـوم الفرصـة وصارت الإمارة فوضى » .

« ثم وصف لـلإمام المؤيـد بالـذهاب الى حمـام (المعرة) المشهـورة الآن بحمام علي غربي جبل ضوران ، وكان مرضه الاستسقاء ، فلمّا وصل اليه بقي يسيراً ، واشتدّ به المرض وانتقل الى رحمة الله هنالك ، وحمل الى مشهد والده المتوكل على الله اسماعيل في الجبل المذكور ، وقبـر في القبة التي عـلى والده ، وكان كثير الشفقة على المسلمين ، يحمل الناس على المحجة البيضاء لا تأخذه في الله لومة لائم » .

الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن ومعارضوه

١ ـ وقد[١٥] بويع اثر موت الإمام المؤيد الصغير المـذكور الحسـين بن عبد

(١٥) محمـد بن اسماعيـل الكبسي في (اللطائف السنية) مخـطوط . والحسن بن عبـد الرحمن في (المواهب السنية) ج ١ مخطوط أيضاً .

القادر بن الناصر بن عبد الرب بن شرف الدين ولقب بالمتوكل ، وانتقل من ضوران آنس الى شبام كوكبان وهو المقر الرئيسي آنذاك لآل شرف الدين .

كما دعا بعدموت المؤيد الصغير كل من :

٢ ـ علي بن احمد أبو طالب في بلاد صعدة تجديداً لدعوته السابقة ،

٣ ـ والحسين بن الحسن بن القاسم في مدينة رداع تجديداً لدعوته السابقة ايضاً .

٤ ـ ويوسف بن المتوكل اسماعيل بن القاسم في ضوران .

٥ ـ وعلي بن حسين الشامي في مسور خولان .

٦ ـ والحسين بن محمد بن احمد بن القاسم في عمران .

٧ ـ والحسين بن المتوكل اسماعيل بن القاسم في اللحية .

٨ ـ ومحمد بن احمد بن الحسن بن القاسم في منصورة الصلو ببلاد الحجرية .

وهو صاحب الكنى الثلاث ، حيث تلقب أولاً بالناصر ثم بالهادي ، ثم بالمهدي ، ويعرف بصاحب المواهب (قرية بالقرب من ذمار شرقاً اتخذها في آخر ايامه عاصمة لدولته ومركزاً لإقامته) وسألتزم لقب المهدي في تأريخي له هنا .

وقد تغلب الإمام المهدي هذا على غيره من الأئمة على النحو التالي :

فأمّا الحسين بن عبد القادر بن شرف الدين فإنه تنازل عن الدعوة لخاله علي بن احمد أبو طالب الذي قصر المهدي نفوذه على صعدة وأعمالها مقر ولايته الدائمة بعد حرب قامت بينهما ، وكان على رأس قوات المهدي ولده الأمير اسماعيل الذي حدث ان غدر به رجل من أهل بلاد صعدة الموالية للإمام علي ابن أحمد أبو طالب وقتله وهو في طريق عودته من صعدة الى صنعاء .

وأمّا الحسين بن الحسن بن القاسم صاحب رداع فإنّ الإمام المهدي تمكن

من القبض عليه واعتقاله ، واستمر في معتقله عشر سنوات ثم اطلقه وتوفي في صنعاء عام (١١٢١ هـ) .

وأمّا يوسف بن المتوكل اسماعيل بن القاسم فإنه وصل الى الإمام المهدي الى منصورة الصلو وبايعه ثم عاد الى صنعاء ، ولكنه ما لبث ان غادرها الى خولان صنعاء وأعاد الدعوة لنفسه فيها وحشد جموعه منها ومن غيرها ، وقصد الإمام المهدي الى منصورة الصلو لحربه ، وكان من بين كبار قادة جيشه الأمير عبد الله بن الإمام المهدي الذي خرج على ابيه وانضم الى الإمام يوسف بن المتوكل وعدد من كبار الأمراء الأشراف ومنهم (إسحق بن المهدي احمد بن الحسن) أخو المهدي محمد بن احمد بن الحسن الإمام المذكور وعبد الله بن يحيى ابن محمد بن الحسن وغيرهم ممن اشار اليهم الشاعر سعيد بن محمد السمحي مشيراً الى تجمعهم لحرب الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن المذكور بقوله :

يقول وقد ضاق الخناق محمداً　　وحلّ به داعي الردا والحوادث
أخٌ وابن صلب وابن عم تحالفوا　　فما تُتّقى منهم رماح عوابث
ولو كان رمحاً واحداً لأتقيته　　ولكنه رمح وثان وثالث

وقامت معارك بين الجانبين كانت كفة يوسف بن المتوكل هي الراجحة ، وحوصر الإمام المهدي حتى كاد يستسلم ، وكان قد أضعف روح المقاومة لديه ولدى جنوده نفاد الماء عليهم في المنصورة وفي قلعتها الدملوة التي كانوا يعتصمون بها .

ولكنه حدث هطول مطر غزير ملأ مناهل وسدود قلاع المهدي ومعسكرات جنوده ، وأضطرّ المطر في نفس الوقت الإمام يوسف بن المتوكل والأمراء الذين بجانبه الى اللجوء الى قبة قريبة من معسكرهم، ولم يشعروا إلا بهجوم الإمام المهدي عليهم ليلاً والقبض عليهم وتقييدهم والصعود بهم الى معتقلاته في الدملوة .

ثم تحرك من بلاد الصلو بجموعه الى بلاد تعز فبلاد اب وحتى بلاد ذمار حيث بسط نفوذه فيها وولى عليها . وقد أقام في حصن هران بالقرب من ذمار عامين كاملين ، ووفدت اليه جموع القبائل مهنئة ومبايعة .

كما وفد عليه الى الحصن المذكور الإمام الحسين بن محمد بن أحمد وتنازل له عن دعوته وبايعه . وبعث الإمام الحسين بن المتوكل وزيره الفقيه زيد بن علي الجملولي الأهنومي ، لإعلان تنازله له أيضاً . وقد كافأ الإمام المهدي الوزير المذكور بقتله بتهمة السحر والشعوذة وكان منجماً ، وفي ذلك انشأ الشاعر السيد عبد الله بن علي الوزير قوله :

من بعد ما عاينت زيداً لا أرى قول المنجم غير زور فاضح
مسراه في سعد السعود فلم غدا من صبحه في كف سعد الذابح

وأمّا الإمام علي بن حسين الشامي الذي دعا في مسور خولان فلم تذكر التواريخ قيام احداث تذكر بينه وبين الإمام المهدي ، ولعله لزم منزله ولم يقم بأي نشاط يذكر .

هذا وكان الإمام المهدي قبل تحركه من بلاد الصلو قد أرسل الإمام يوسف بن المتوكل اسماعيل وبقية الأسرى الى معتقل تعز ومنه الى معتقل صنعاء ، ثم أطلقهم بعد سبعة أشهر من اعتقالهم .

وقد أعاد الإمام يوسف بن المتوكل الدعوة لنفسه في عام (١١٠٩ هـ) بتشجيع ومساندة جماعة من بيت القاسم المناوئين للإمام المهدي ، وبمساندة ابن مذيور الحيمي ، وعامر الهبل الخولاني ، ولكن هؤلاء تخلوا عنه ، فبدا له ان ينتقل الى برط للتمركز فيها والانطلاق منها ، بعد ان يكون قد حصل على مساندة أهلها له .

ولما كان في قرية صرف شرقي الروضة في طريقه الى برط توقف فيها ، وبعث منها جماعة من رفاقه الى الروضة لشراء بعض الحاجات ، فعثر عليهم رجل من أهل الروضة ودلّ عليهم عاملها ، وهو أبلغ عامل صنعاء للمهدي

حيث تحرك من فوره الى صرف على رأس ثلة من الجنود وقبض على الإمام يوسف ورفاقه ودخل بهم صنعاء ، ثم نقلهم في اليوم الثاني الى الإمام المهدي مكبلين بالقيود .

وكان الإمام المهدي قد استفتى جماعة من العلماء عن العقوبة التي يستحقها يوسف بن المتوكل بسبب تكرار خروجه عليه ، فأفتوه بقتله .

ولكن القاضي علي بن أحمد السماوي لم يجز الفتوى بالقتل ، واستجاب المهدي لرأيه ، وأمر بحبسه وبخراب ديار الحيمة وخولان وقطع أعنابهم .

وفي عام (١١١٣ هـ) افرج الإمام المهدي عن يوسف بن المتوكل واسكنه صنعاء واقطعه بلاد سنحان .

وكان [١٦] المهدي قد انتقل من بلاد ذمار الى بلاد رداع وأقام في موضع يعرف بالخضراء بالقرب من مدينة رداع شيّد فيها القصور وبنى المساجد والدور حتى صارت مدينة من أكبر المدن ، وانهال اليها التجار من مختلف البلدان ، وأقام فيها عشر سنوات .

ثم استوبأها وأعترته امراض فيها ، فانتقل منها الى (المواهب) من بلاد عنس ، شرقي مدينة ذمارشيد فيها القصور و المباني ، كذلك وأسماها (مواهب الكريم) .

وكانت له حروب مع أهل يافع وبني أرض (بلاد الرصاص) في المنطقة الشرقية ومع بلاد الحواشب ودثينة والمصعبين ومراد وبيحان وغيرهم في المنطقة الجنوبية والشرقية من اليمن ، بهدف بسط نفوذه عليها دون جدوى ،

كما كانت له حروب مع مختلف قبائل حاشد في عمران وخمر ومع سفيان من بكيل . ومع السيد ابراهيم بن علي بن حسين المحطوري المدوي الذي برّر حربه له بالسحر والشعوذة ، أو انه نسب اليه ذلك لمعارضته له وقد ذكر أنّ

(١٦) محمد بن اسماعيل الكبسي في اللطائف السنية آنف الذكر ، والحسن بن احمد في المواهب السنية ج ١ مخطوط .

عدد من قتل في معاركه معه عشرون ألف رجل ، وفرّ المحطوري الى بلاد صعدة ، وفيها استطاع القائم فيها (علي بن أحمد أبو طالب) أن يقبض عليه ويقتله وينهي حركته ، وفي ذلك انشأ الشاعر احمد بن احمد الآنسي قوله :

الا قل لأبراهيم دجال مدوم — تجاريت لّما ان ضللت عن الرشد
فإن يك سحاراً فقد لقي العصي — وأن يك دجالاً فقد لقي المهدي

الإمام المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد الكبير

عارض[١٧] الحسين بن القاسم بن المؤيد الكبير محمد بن القاسم بن محمد في عام ١١٢٤ هـ الإمام المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد ، ودعا الحسين بن القاسم لنفسه وتلقب بالمنصور ، مبرراً معارضته بما ذكره المؤرخ القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في تكملته (المقتطف) بقوله : « واحتج على الإمام المهدي ونسبه الى التخبطات في المسيرة ، واستحكام الأعوان في بابه ، وظهورالجور في اخذ الأموال بغير سبب ، والغضب على من أمر بالمعروف أو نهى عن المنكر ، وإنّ كبراء آل الإمام أودعوا السجون ، وأنّ الحقوق أمّحت من ديوان العدالة » .

وكانت[١٨] دعوة المنصور حسين في بلاد العصيمات من حاشد ، وسانده أمير أبي عريش في المخلاف السليماني (عز الدين القطبي) ، وقامت حرب بين الإمامين كان التفوق فيها للإمام المنصور ، الأمر الذي حمل الإمام المهدي على اخراج قائد قواته ابن اخيه الأمير قاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بن القاسم من سجنه ، وجهزه لحرب المنصور .

وجهز[١٩] المهدي مع ذلك جيشاً كبيراً معظم افراده من عبيد السودان

---

(١٧) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط والجرافي في المصدر المذكور .
(١٨) حمزة لقمان في (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٤٨.
(١٩) الكبسي في اللطائف السنية آنف الذكر .

الذين كان قد استكثر منهم وبقيادة مولاه بخيت وذلك لحرب أمير ابي عريش القطبي المذكور ، بسبب مساندته للمنصور حسين ضد المهدي كما علمنا ، وقال المهدي لجمهرة جيشه من العبيد عند توديعه لهم : « هذه المفاسد منشؤها القطبي بأبي عريش ، وإحساني اليكم انما هو لمثل هذه الساعة فبادروا لكفها ، وقد جعلت لكم اجلاً ، وما ظني فيكم خائباً ، فإن فعلتم المراد شملكم اليسار » . فقالوا له : « نحن لك سامعون طائعون » وقامت الحرب بين قوات المهدي والقطبي واسفرت عن انهزام قوات القطبي ووقوعه أسيراً في ايدي قوات المهدي الذي أمر بضرب عنقه ثم ندم على ذلك بعد تغلب المنصور حسين عليه ، وكان القطبي قد استعان بالإمام علي بن أحمد أبو طالب صاحب صعدة ولم يُجْدِه ذلك حيث انهزمت قواته كما عرفنا .

ولم يحسم مقتل القطبي وانهزام جيشه الشرور التي تتابعت على المهدي ، من جراء معارضة المنصور له ، وخروج قائد قواته عليه وهو قاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بعد تجهيزه لحرب المنصور ، فقد احكم تحصينات صنعاء استعداداً للتمركز فيها والاستقلال عن الامامين المهدي والمنصور معاً ، وأعلن أولاً خروجه على المهدي وولاءه للمنصور .

وفي عا م ١١٢٧ هـ حوصر الإمام المهدي في مركزه بالمواهب من قبل قوات المنصور وحليفه قاسم بن حسين واستمرّ الحصار من جمادي الآخرة من العام المذكور الى رمضان من نفس العام ، ثم رفع الحصار بموجب هدنة بين الجانبين حددت مدتها الى شهر شوال من نفس العام على أساس تنازل المهدي للمنصور ، وبموجب شروط منها اقطاع المنصور للمهدي بلاد خبان وبلاد ريمة ، وبلاد بيت الفقيه ، وجعل اليه تعيين ولاتها ، واستحصال واجباتها ، وفي العاشر من شهر شوال المذكور تنازل المهدي للمنصور بخط يده ، وخطب للمنصور في خطبة الجمعة ، وتفرق الناس واستقرت الأمور .

دعوة قاسم بن حسين وموقف الامامين المهدي والمنصور منها .

ولما كان للقاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد دور

كبير في نجاح المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد الكبير محمد بن القاسم بن محمد في الاستيلاء على الحكم من الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم بن محمد ، فإنّ المنصور ولى قاسم بن حسين ولاية واسعة شملت صنعاء وأعمالها وأعمال تهامة وعدن وغيرها وعظمت بسبب ذلك مكانة قاسم ابن حسين ، الأمر الذي أطمعه بالمزيد من النفوذ والحكم .

وقد بدأ في سبيل تحقيق طموحاته الواسعة بمد نفوذه الى ولايات آل اسحق بن احمد بن الحسن بن القاسم في بلاد وصاب وبلاد عتمة وبلاد العدين وشرعب وزبيد وغيرها ، وكان هؤلاء هم ولاة المهدي عليها ، وممن شملهم عطف المنصور حسين وعفوه بعد تغلبه على المهدي ، وإبقائهم في ولاياتهم ، نزولاً عند رغبة المهدي عند تنازله له وبموجب الشروط التي تم التنازل بموجبها فيما يبدو .

ولذلك[٢٠] فإنّ المنصور حسين لم يجب قاسم بن حسين الى طلبه في اقصائهم وضم ولاياتهم إلى ولايته بحجة شموليتها وقام المنصور حسين مع ذلك بحث آل اسحق على الصمود لقاسم بن حسين ، بل وساندهم في حربهم معه ، ومن ثمة برز الخلاف بين المنصور حسين وبين حليفه قاسم بن حسين وذلك في عام (١١٢٨ هـ) أي بعد عام واحد من تنازل المهدي للمنصور ، فأعلن[٢١] قاسم بن حسين خروجه على المنصور ، في حين قام المنصور بعزل قاسم بن حسين وجهز جيشاً من القبائل من سفيان وحاشد وغيرهما لحربه .

ولكن جيش الإمام المنصور بدلاً من تقدمه لحرب قاسم بن حسين فإنه تحوّل الى بلاد حجة وعاث فيها نهباً وسلباً .

كما تحول منه ابن حبيش السفياني بعسكره الى تهامة وعاث فيها فساداً أيضاً ، ولكنه قتل فيها على يد عاملها للقاسم بن حسين ، وتحوّل بعض عسكر المنصور ايضاً بقيادة ابن جزيلان وعلي الأحمر الى بلاد حراز والحيمة وعاثا فيها

---

(٢٠) و(٢١) اللطائف السنية آنف الذكر مخطوط .

فساداً كذلك أسوة ببقية قوات المنصور ، وربما بالتوجيه من قاسم بن حسين ، الأمر الذي اضعف مركز المنصور وهيًا للقاسم بن حسين ان يدعو لنفسه ، وأن يستولي على الحكم من المنصور كما فعل هذا مع المهدي محمد بن احمد بن الحسن (وكما تدين تدان) .

وقبل أن يعلن قاسم بن حسين دعوته لنفسه جمع اليه الى صنعاء عدداً من الأمراء ودعاهم الى خلع المنصور ، أو انهم اجتمعوا ودعوه الى القيام بالأمر على اختلاف في روايات المؤرخين ، فقال قاسم بن حسين للمجتمعين : « أنا سيف من أجمعتم عليه » ثم وجه خطابه الى يوسف بن المتوكل علي بن اسماعيل احد المجتمعين وقال له : « انت المرجع عند المشكل » وردّ هذا الأمر الى السيد محمد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم ومحسن بن المؤيد من المؤتمرين ، فقال محسن بن المؤيد : « لا نرضى بغير العلم (يعني قاسم بن حسين) إماماً فهو الأنهض والأقوى للمسلمين والعارف بأحوال الدنيا والدين » ومدّ يده وبايعه ، ثم اقتدى به بقية المجتمعين ، وتلقب القاسم بالمتوكل ، وبعث بوثيقة البيعة الى المنصور الذي رفضها ، فأعلنها المتوكل قاسم بن حسين على الناس ، ثم حشد قواته وتقدم بها لإخضاع أمراء المنصور في تهامة وغيرها ، وذلك في نهاية العام المذكور (١١٢٨ هـ) ، وكان النصر حليف قوات المنصور حسين في أغلب المعارك ، وسانده الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن الذي كان قد استولى على ذمار بعد دعوة قاسم بن حسين منتهزاً اختلاف المنصور حسين والمتوكل المذكورين ، وقبض فيها على اتباع قاسم بن حسين ومنهم أخوه عباس بن حسين امير ذمار للمتوكل ، وولى المهدي على ذمار ولده عبد الرحمن ، ثم عاد الى المواهب ، ومنها راسل المنصور حسين ، واتفق معه على التكاتف ضد المتوكل (٢٢)

وصارت البلاد موزعة بين الأئمة الثلاثة المتعارضين المهدي والمنصور والمتوكل ، المهدي في ذمار وأعمالها والمنصور في شهارة واعمالها وفي بلاد السودة

---

(٢٢) الجرافي في المقتطف ص ١٧٩ .

وكحلان والشرفين واعمالها ، والمتوكل فيما عدا ذلك . وصمد المتوكل للامامين وحاصر الإمام المهدي في المواهب حتى توفي في عام ١١٣٠ هـ وكانت وفاته عن ثلاثة وثمانين عاماً من مولده ، ووصل كبار اتباعه ومواليه وولده عبد الرحمن الى الإمام المتوكل بعد وفاة المهدي مبايعين ، وأحسن المتوكل استقبالهم وأمر برفع الحصار عن المواهب .

وقد وصف(٢٣) المهدي بأنه كان جواداً مفضالاً مقرباً للعلماء ذا رأي أصيل ، كما وصف بولعه(٢٤) بسفك الدماء .

ولمّا استتبت الأمور(٢٥) للمتوكل استوزر الشيخ صالح بن علي الحريبي وزير الإمام المهدي صاحب المواهب في حياته ، وكانت وزارة الحريبي عامة لخبرته وتورعه وقصور من استوزر المتوكل قبله منذ دعوته كالسيد حسين الأخفش والسيد عبد الله بن علي الكبسي والقاضي حسين بن احمد الحيمي وردمان وغيرهم .

وولى المتوكل قاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بن القاسم المذكور ولده احمد بلاد تعز ، ودامت ولايته عليها ثلاثين عاماً وتوفي فيها والياً عليها ، وهو جد آل المتوكل المعروفين بآل الباشا في تعز .

كما توفي الإمام المنصور حسين بن القاسم بن المؤيد الكبير محمد بن القاسم بن محمد في عام (١١٣١ هـ) ودفن في مدينة شهارة ، وبايع الحاضرون من شيعته اخاه الحسن بن القاسم وتلقب بالهادي ، ولكن المتوكل قاسم بن حسين صالحه وأقطعه مقابل تنازله عن دعوته بلاد وصاب .

دعوة محمد بن اسحق ثم تنازله للمتوكل

عزم المتوكل على(٢٦) قبض الزكاة من الناس عامة ، وكانت قد جرت

(٢٣) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط .
(٢٤) الإستاذ حمزة علي لقمان في (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٤٨ .
(٢٥) القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي في (المقتطف وتكملته) .
(٢٦) المقتطف وتكملته أيضاً واللطائف السنية المذكور .

العادة مع اسلافه من ائمة بيت القاسم بانّ لا تؤخذ من السادة الرؤساء والعلماء ومن كثير من الشخصيات البارزة ، بل تصرف هذه الطبقة زكاة اموالها في فقراء قراباتها ، وتسمى اموالهم بالأجبار ، وعهد المتوكل بالأمر الى الفقيه احمد محمد الشجني الذي بعث بالخراصين الى مختلف انحاء اليمن .

ولما لم يقبل الإمام المتوكل ما عرضه اصحاب الأرض الاجبار والمقطعين من تسليم زكاة اموالهم دون توسط الخرص (التخمين) اجتمع عدد منهم في صنعاء واجمعوا امرهم على الخروج على المتوكل ، ووعدهم الشيخ علي ردمان كبير أرحب بمساعدتهم ثم خرجوا من صنعاء الى ارحب ، وفي قرية مدر منها بايعوا محمد بن اسحق بن أحمد بن الحسن بن القاسم ولقبوه بالمؤيد، وكان ذلك في عام (١١٣٦ هـ) وكانت بين الإمام المتوكل والإمام المعارض له حزازات قديمة كما عرفنا ، ونشط المؤيد محمد بن اسحق ، وحاول بسط نفوذه على بلاد سفيان الحرف وفي أرحب والسودة وغيرها ، وقامت حرب بين قواته وقوات المتوكل سفكت فيها دماء من اليمنيين في الجانبين ، وانتهبت بعض البلاد التي تعرضت لقوات المؤيد . الأمر الذي دفع السيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير الى بذل مساعيه للتوفيق بين المتوكل والمؤيد ، ونجح مسعاه ، وتنازل المؤيد للمتوكل مقابل اقطاعه واخوته بلاد وصاب وبلاد حيس وبلاد الروس من أعمال صنعاء مع الفي قرش تسلم من ميناء المخا للمؤيد ، وأفرج المتوكل عن المعتقلين من اتباع المؤيد من اخوته ومن غيرهم .

هذا وفي عام (١١٣٥ هـ) ظهرت القصيدة التي نسبت للسيد محمد بن اسماعيل الأمير والتي مطلعها :

سماعاً عباد الله أهل البصائر	لقول له ينفي منام النواظر
فيا عصبة من هاشم قاسمية	الى كم ترون الجور احدى المفاخر
وأشنع خطب ما يقول خطيبكم	من الكذب المنشور فوق المنابر
منابر كانت للمواعظ والهدى	فما بالها عادت لسخرة ساخر
لعبتم بأوقاف المساجد كلها	فيا بئس مأمور ويا خزى آمر

ففي آنس كم هجرة قد تعطلت ... مساجدها ما بين تال وذاكر
وكم في زبيد هُدّمت من مصالح ... وأغلق فيها مسجد للأشاعر
ويا علماء الدين ما لي اراكمو ... تغاضيتمو عن منكرات الأوامر
أما الأمر بالمعروف والنهي فرضكم ... فأعرضتمو عن ذاك أعراض هاجر
فإن هم عصوكم فاهجروهم وهاجروا ... تنالوا بنصر الدين اجر المهاجر

ومنها :

ملأتم بلاد الله جوراً وجئتمو ... بما سودت منه وجوه الدفاتر
ووليتمو أمر العباد شراركم ... وخولتمو أعمالكم كل ماكر
خراجية صيرتم الأرض كلها ... وضمنتموا العمال شر المعاشر
لذاك الرعايا في البلاد تفرقت ... وفارقت الأوطان خوف العساكر
وقد رضيت بالعشر من مالها لها ... وتسعة اعشار تصير لعاشر
فلم تقنعوا حتى أخذتم جميع ما ... حوته وما قد أحرزت من ذخائر

وقد استدعى المتوكل السيد محمد بن اسماعيل الأمير من موطنه في كحلان ولامه على انشاء القصيدة ، ولكن ابن الأمير نفى ان تكون له ، ثم عرض عليه المتوكل تولي القضاء الشرعي فاعتذر عن قبوله .

وقد[٢٧] توفي المتوكل قاسم بن حسين في عام (١١٣٩ هـ) ومن مآثره الجامع المعروف في باب السباح بقبة المتوكل .

الإمام المنصور حسين بن القاسم

وبويع ولده الحسين وتلقب بالمنصور ، وقد استوزر الفقيه حسين الحبيشي ، ثم خلفه بالقاضي حسين بن احمد الحيمي ، وكان وزيره الشيخ صالح بن علي الحريبي قد[٢٨] توفي في عام (١١٢٥ هـ) .

---

(٢٧) اللطائف السنية (مخطوط) .

(٢٨) وقد شيعه الإمام المتوكل قاسم بن حسين الى مثواه الأخير بمدينة الروضة وقبره معروف كما حكى ذلك الجرافي في (المقتطف)

دعوة محمد بن اسحق مرة اخرى واستتباب الأمر للمنصور

أمّا محمد[٢٩] بن اسحق بن احمد بن الحسن بن القاسم فإنه لمّا توفي الإمام المتوكل قاسم بن حسين اعلن تجديد دعوته وتلقب بالناصر ، يسانده الأمراء من اقاربه والأمير احمد بن المتوكل قاسم بن حسين امير تعز منافسة منه لأخيه المنصور حسين بن المتوكل المذكور .

كما آزر الإمام محمد بن اسحق الشيخ علي بن قاسم الأحمر كبير حاشد ، الذي جاء برجاله وعسكر بالقرب من معسكر المنصور في عصر بالضاحية الغربية لصنعاء ، مظهراً رغبته في الاصلاح بين الإمامين ، ولكنه لم يستطع اخفاء تحيزه الى الإمام الناصر محمد بن اسحق ، مما حمل المنصور على استمالته واستدعائه الى معسكره للتباحث معه في الموضوع ، ثم خرج من مخيمه للسباق على الخيل ، وأوعز لمولاه ذي الفقار بأن يقتله ، ثم عاد الى صنعاء ورأس ابن الأحمر على رمح بيد أحد جنوده العائدين معه ، في حين تمكن اتباع ابن الأحمر من قتل الوزير الحيمي لدى منقلبه من معسكر الإمام المنصور الى صنعاء .

كما أثار مقتل ابن الأحمر مع ذلك قبيلة حاشد تساندها قبيلة بكيل ضد الإمام المنصور وانضمتا الى الإمام الناصر وقامت حرب بين الإمامين كانت كفة الناصر هي الراجحة ، وأضطر المنصور الى مبايعة الناصر بعد ان اشترط عليه بلاداً معينة يكون له النفوذ عليها .

ولكنه ، أي المنصور لم يلبث ان نقض بيعته للناصر بحجة عدم الوفاء له بالشروط التي تنازل له على أساسها . ووجد المنصور العون والسند من كثير من القبائل اليمنية في القسم الأعلى وغيره ، مما قوّى جانبه ومكنه من القبض على عدد من امراء آل اسحق وغيرهم من انصار الناصر ، ومنهم : « يحيى بن اسحق امير بيت الفقيه ، ونائبه احمد بن اسحق ، وعبد الله بن اسحق عامل عمران ، والحسن بن اسحق عامل ثلا ، واسماعيل بن محمد بن اسحق عامل

---

(٢٩) اللطائف السنية (مخطوط) .

المخا ، وعبدالله بن أبي طالب عامل جبلة،واستتب الأمر للمنصور ، وانحصر نفوذ الناصر في بلاد كوكبان ، ومع ذلك فقد حاربه المنصور حتى أضطرّه الى الرضوخ فيها دون ان يقوم بأي حركة مناوئة له ، وعقد صلح بين الإمامين على ان يكون للناصر عائدات بلاد كوكبان ، وكان ذلك في عام (١١٤٣ هـ) .

ثم تجدد الصلح المذكور في نفس العام ، ووصل الناصر الى المنصور في صنعاء في عام ١١٤٤ هـ لتأكيد ولائه له ، وقابله المنصور بما يليق به .

الإنفصال النهائي لعدن ولحج عن دولة بيت القاسم

كانت[٣٠] لحج وعدن قد انفصلتا عن دولة بيت القاسم في عهد الإمام صاحب المواهب محمد بن احمد بن الحسن وكانتا هما آخر سلطنات وامارات ومشيخات الجنوب اليمني التي انفصلت عن دولة بيت القاسم ، منذ بدأت بالانفصال في عهد الإمام المؤيد الصغير كما علمنا .

ولما كان عهد الإمام المنصور حسين بن القاسم بن حسين فإنه قام بتجهيز اخيه امير تعز علي بن المتوكل لغزو عدن ولحج وتأكيد ولايته عليهما ، والتي كانت مجرد ولاية اسمية ، وذلك بهدف استمالته وكسب ولائه له .

وقام علي بن المتوكل في ١١٤٥ هـ بغزو لحج وعدن فعلاً ، وأضطر سلطانها (فضل بن علي السلامي العبدلي) الى التسليم ، وتحمل خمسة عشر الف قرش (ريال ماريا تريزا) مع ذلك يحملها الى خزينة الدولة القاسمية كتعويض لها عن الخسارة التي سببتها الحرب لإخضاعه .

ولكنه (أي السلطان فضل) تمكن في نفس العام المذكور من تجديد انفصاله بعدن ولحج وأعمالها عن الدولة القاسمية بعد استعانته بسلطان يافع السفلى سيف بن قحطان بن معوضة ، وكان ذلك هو الانفصال النهائي والأخير لهما .

---

(٣٠) الجرافي في (المقتطف) ص ١٨٣ .

العدوان الانكليزي الهولندي على المخا

حدث[٣١] في عام ١١٤٨ هـ ان اجلى عامل المخا الفقيه احمد خازندار الجالية التجارية الانكليزية والهولندية ، من المخا بحجةعدم خضوعهما للقوانين المحلية ، ولكن حكومتي الجاليتين اعادتهما مصحوبتين بقوة بحرية تمكنت من احتلال قلعة المخا المعروفة بقلعة عبد الغفور ، ورمت المخا بعدد من قنابل مدافعهمادون ان تتمكن من دخول المخا .

ومع ذلك فقد حاصرت حامية المخا الغزاة في القلعة المذكورة ، ومنعت عنها المدد ، مما حمل كابتن السفينة التي حملت الغزاة الى السعي بين الجانبين (الجاليتين وعامل المخا المذكور) على عودة الجاليتين الى المخا مع خضوعهما للقوانين المحلية ، وإنسحاب القوتين الانكليزية والهولندية من القلعة ، وعادت الجاليتان في العام الذي تلا العام المذكور الى اعمالهما التجارية في المخا ، وابدل الإمام المنصور حسين بن القاسم بن حسين العامل المذكور بالقاضي محي الدين العراسي ، وكتب الإمام الى الجاليتين المذكورتين ما نصه : « الحمد لله ، الى الأقربين منا مودة الإنكليز وهولندا ، وصل كتابكم وتحققناه ، والعامل رفعناه ، والسلام على من اتبع الهدى » .

خلاف احمد بن المتوكل

خالف امير تعز احمد بن المتوكل[٣٢] قاسم بن حسين اخاه المنصور حسين ابن قاسم بن حسين في عا م (١١٥٢ هـ) وقامت حرب بين الأخوين سفكت فيها دماء غزيرة من اليمنيين في الجانبين ، ونال الناس بسببها مشقة عظيمة عبّر عنها الشاعر أحمد بن حسن الرقيحي بقوله :

صنوان قد سقيا بماء واحد   والفضل خال من كلا الأخوين
جرحا قلوب العالمين فما لها   من مرهم إلا دم الأخوين

(٣١) الجرافي في (المقتطف) ص ١٨٣ .

(٣٢) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط . وحمزة لقمان في (تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ٣٤٩ .

وظلت الحرب بينهما حتى تمّ للسيد العلامة محمد بن اسماعيل الأمير عقد صلح بينهما كفت الحرب بموجبه ، ورفع الإمام قواته التي كان يقودها الشيخ حسن بن احمد بن راجح الكينعي ، واقتصر الأمير احمد على ولايته ببلاد تعز وصبر وشرعب ، وانفصلت عن ولايته بلاد الحجرية .

اخفاق الأمير يوسف بن المتوكل في دعوته

وخالف[٣٣] على الإمام المنصور حسين أخوه الأمير يوسف بن المتوكل في بلاد خولان ، عام ١١٥٥ هـ ، ودعا الإمامة لنفسه وتلقب بالمهدي ، ولكن الإمام المنصور حسين استطاع بحربه لقبيلة خولان التي ساندت الأمير يوسف ان يضطره الى تسليم نفسه ، واعتقله المنصور بصنعاء مدة ثم أفرج عنه .

خلاف احمد بن المتوكل للمرة الثانية

وخالف[٣٤] أمير تعز احمد بن المتوكل على اخيه المنصور حسين للمرة الثانية في عام (١١٥٨ هـ) ، واستعان في خلافه هذا بقبيلة يافع ، وغزا الشيخ احمد وهيب العلقي عامل بلاد يفرس من أعمال الحجرية . ولكن عامل يفرس المذكور استطاع بمساندة الإمام المنصور حسين ان يهزم يافع بعد مقتل قائدها قحطان بن عمر ، ولم يكتف الإمام بذلك بل جهز لحرب اخيه احمد بن المتوكل المذكور جيشاً بقيادة الشيخ هادي بن علي بن حبيش كبير سفيان ، حدّ من نشاطه ووضع حداً لخلافه الذي هدف منه هذه المرة فيما يبدو الى استعادة نفوذه في بلاد الحجرية التي خسرها في خلافه الأول ، وكان أحمد بن المتوكل في خلافه هذا وحربه لعامل يفرس المذكور قد استغل اشتغال اخيه الإمام المنصور بحربه مع قبيلة ارحب في عام (١١٥٦ هـ) مما اضطر الإمام الى حربه كما عرفنا ، ثم فرض عليه حصاراً شديد الوطأة وهو أي امير تعز آنذاك في شرعب واستمرّ الحصار الى موته أي الإمام المنصور في عام (١١٦١ هـ) .

ولما بويع المهدي العباس خلفاً لأبيه المنصور حسين رفع الحصار عن عمه

---

(٣٣) و (٣٤) الجرافي في المقتطف وتكملته) .

أحمد بن المتوكل ، والزمه السكينة والهدوء ، مكتفياً بما هو تحت نفوذه في بلاد تعز .

وأبقى مع ذلك قبيلة بكيل في اليمن الأسفل ، بهدف منع تجدد خلاف أحمد بن المتوكل أو غيره في المنطقة ، ولعل بعض قبائل بكيل المقيمين في اليمن الأسفل هم من هذا التأريخ ، أما البعض الآخر فهم من أيام الإمام المهدي عبد الله كما سنعلم .

حرب الإمام المنصور حسين لقبيلة يام الهمدانية

كانت قبيلة يام الهمدانية من ابرز القبائل المناصرة للإمام المنصور حسين ابان دعوته واثناء عهده ، الأمر الذي حمل المنصور على ان يمنحهم نفوذاً كبيراً في بلاد حراز وبلاد تهامة وغيرهما ، وكانت قلعة طيبة المطلة على منتزه وادي ظهر من المراكز الرئيسية لهم ، ولكنهم أساءوا استغلال نفوذهم في دولة المنصور ، وافسدوا وعبثوا في تهامة وغيرها ، مما حمل المنصور على محاربتهم واخضاعهم ، وهدم مركز (طيبة) حتى صارت كأن لم تغن بالأمس .

الإمام المهدي العباس

ولما توفي[٣٥] الإمام المنصور حسين بن المتوكل قاسم بن حسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم في التأريخ المذكور (١١٦١ هـ) خلَّف عدة ابناء كان اكبرهم (علي) الذي كان الناس يتوقعون ان يخلف اباه في الحكم ، إلا ان مؤامرة كانت تحاك خيوطها داخل القصر لإزاحته ، وكانت تدبِّر تلك المؤامرة جارية سوداء انجبت للمنصور ولده العباس ، وكانت ذات حظوة كبيرة لدى المنصور .

واستطاعت ان تخفي موت المنصور حتى تمكنت من الإتصال بقاضي

(٣٥) حمزة لقمان في (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٠ .

القضاة يحيى بن(٣٦) صالح السحولي وحملته على العمل على اسناد الأمر الى ولدها العباس ، وقام السحولي بالإتصال بكبار رجال الجيش والدولة وأخذ البيعة منهم للعباس إماماً خلفاً لأبيه ، وتمّ الأمر على ذلك ، ولقب العباس بالمهدي ، وكان اسمر اللون كأمه ، وقد عارضه كل من عمه الأمير أحمد بن المتوكل أمير تعز حيث دعا لنفسه وتلقب بالهادي .

وأحمد بن محمد بن حسين آل شرف الدين أمير كوكبان الذي دعا لنفسه وتلقب بالمهدي ، فأمّا أحمد بن المتوكل فإنه اكتفى بالدعوة ولم يبايع المهدي العباس ولم يقم بأي نشاط ضده ، وظل حيث هو يتمتع بنفوذه على تعز واعمالها ، وردّ من جاءه من القبائل يستثيره ويحرضه ضد الإمام المهدي العباس .

ومع ذلك فقد أوفد الإمام المهدي العباس السيد محمد بن اسماعيل الأمير الى عمه احمد المذكور لإقناعه بالإعتراف به ومبايعته، ونجح ابن الأمير في ذلك ، وتنازل الأمير احمد لأبن اخيه ، وكتب له رسالة رقيقة شكره فيها على انصافه واكد له اخلاصه له في بيعته ، وخطب ابن الأمير في جامع تعز للمهدي في آخر جمعة من شهر رجب من العام المذكور .

وأمّا أحمد(٣٧) بن محمد بن حسين آل شرف الدين فإنّ حرباً قامت بينه وبين الإمام المهدي العباس انتهت بعقد صلح اقره المهدي على ولايته في بلاد

---

(٣٦) شغل القاضي يحيى السحولي منصب القضاء في عهد الإمام المنصور حسين وهو لم يتجاوز السابعة عشرة سنة من عمره ، وأنشد حينذاك قول الشاعر :

فما الحداثة عن حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب

وفي عام ١١٥٢ هـ اسند اليه الإمام المنصور حسين منصب قاضي القضاء الأكبر ، وظل فيه طيلة عهد المنصور حسين وشطراً من عهد المهدي العباس ، وفي عام (١١٧١ هـ) تغير عليه واعتقله وصادره ، ثم أفرج عنه بعد ثلاث سنوات ، ولم يل القضاء إلا في عهد الإمام المنصور علي بن المهدي العباس ، وقد ظل فيه الى موته في عام (١٢٠٩ هـ) ثم اسند المنصور علي منصب القضاء بعده الى القاضي محمد بن علي الشوكاني ،

(٣٧) المواهب السنية ج٢ مخطوط .

كـوكبان وعـلى غيرهـا في بلاد حفـاش وملحان وغيـرها من المنـاطق المجـاورة بموجبه .

وقد[٣٨] تجدد الخلاف بينهما وتجددت الحرب في عام ١١٦٢ هـ ، وتجدد عقد الصلح بينهما في نفس العام ، ولم يخرج في مضمونه عن الصلح الأول .

تغميق انفصال عدن ولحج

وفي عهد[٣٩] الإمام المهدي العباس المذكور قامت محاولة من قبله بالتجهيـز لحرب امير لحج وعدن بقيادة عامل منطقة العدين الشيخ عبد الرب بن وهيب العلفي ، بهدف اعادة بسط نفوذ الدولة القاسمية عليهما ، ولكن سلطان لحج وعدن عبد الكريم بن فضل بن علي العبدلي السلامي ، صمد لقوات الإمام في معركة قـامت بين الجـانبين ، وانسحب قـائد قـوات الإمام من الحـواشب اثر المعركة وعاد الى منطقة ولايته ، ولم تثمر محاولة الإمام غير تعميق سلطان عدن ولحج لإنفصالهما .

ثورة الشيخ عبد الرب بن وهيب العلفي

ولمّا اتهمه[٤٠] الإمام المهدي العباس بأنه أخذ الـرشوة من سلطان لحـج وعدن مقابل انسحابه ، اعلن خلافه على الإمام وقام بثـورة هدفهـا الإنفصال باليمن الأسفل عن حكم صنعاء ، أسوة بالجنوب .

ويبدوأن نفوذ العلفي امتدّالى بلاد لحج ، الأمر الذي دفع بسلطان لحج المذكور الى الاتفاق معالإمام المهديعلى مساندته ضدالعلفي مقابلاعلانولائه له ، وتبادل مع الإمام الهدايا ، ولم يذكر قيام الإمام بحرب العلفي ، وإنما ذكر انه لم يغادر بلاد لحج بعد استيلائه عليها لفترة خمسة أشهر إلا بعد ان سلم له سلطان لحج مبلغاً من المال ، لمساعدته على مصارعة الإمام المهدي .

---

(٣٨) (المواهب السنية) ج ٢ مخطوط .

(٣٩) حمزة لقمان في (معارك حاسمة) من ص ١٤١ .

(٤٠) نفس المصدر والصفحة .

كما لم تذكر المصادر نجاح العلفي في ثورته ، ولا استمرارها ، ولعل الإمام بمساعدة امير تعز أحمد بن المتوكل قضى عليها في مهدها .

وفاة الإمام المهدي العباس

وقد توفي الإمام المهدي العباس في عام (١١٨٩ هـ) ووصفه القاضي محمد بن علي الشوكاني بانه كان من أنبل الأئمة ومن جلائل اعماله قبض الجزية من اليهود بموجب احصاء دقيق لهم ، وكانت تلتبض جملة من مشايخ أهل الذمة ،

وقبض الزكاة من الزراع عَيناً بعد ان كانت تُقبض بأضعاف قيمتها ، وبعد ان يُزاد فيها على ما يُقدره الخراصون ، وكانت مع ذلك تُلَزَّم للمتقبلين ، مما أرهق الزراع وعطّل كثيراً من المزارع والقرى ، كما منع الخطاط في البيوت ، وأحيا سنة الصلاة المفروضة جماعة في أوقاتها ، وبعث المرشدين في مختلف الجهات لإحياء هذه السنة والحد من عادة جمع الصلاة أو تقديمها أو تأخيرها عن وقتها ، وقد يكون في هذا الوصف بهذه المحامد شيء من المبالغة ، رضىً من المصدر المذكور عن الإمام المهدي العباس المذكور ، لأن مؤلفي كتاب (ابن الأمير وعصره) اوردوا من مثالب الإمام المذكور ما يتنافى مع هذه الأوصاف .

ومن محاسنه العمرانية بناء جامع القبة المعروفة حتى اليوم بقبة المهدي في بستان السلطان بصنعاء ، وفي عهده وعلى يد السيد محمد المنقذي بنيت منارة جامع الجلالية العليا في مدينة اب ، والمنارتان في الجامعين متشابهتان في طابع البناء وفي الارتفاع ، وأوقف على قبة المهدي أوقافاً نافعة .

واستوزر الشيخ احمد بن علي النهمي ، وكان من خيرة الوزراء ، وكان كبير الوزراء يلقب بالوزير الأعظم .

كما اثنى المؤرخ السيد محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه (اللطائف[٤١] السنية) على الإمام المهدي العباس بما يدلّ على انه كان من

(٤١) اللطائف السنية (مخطوط) .

خيرة ائمة بيت القاسم ، وذكر من مآثره الحسنة الى جانب جامع قبة المهدي في حارة البستان بصنعاء مساجد اخرى ومنها المسجد الذي في باب اليمن بصنعاء على يمين الداخل ، ومسجد النور بحافة معمر ، ومسجد التقوى ببستان السلطان .

هذا واذا كان شباب الدولة القاسمية قد انتهى بالإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم ، ثالث ائمتهم ، كما أسلفت ، فإنّ فترة كهولتها انتهت بالإمام المهدي العباس المذكور ، وبولده المنصور علي الأول بدأت فترة شيخوخة الدولة المذكورة وبدأ ينهار صرحها .

الإمام المنصور علي

وقد بويع علي بن المهدي العباس إماماً خلفاً لوالده بعد وفاته في العام المذكور (١١٨٦ هـ) ولقب بالمنصور ، وفي عهد المنصور علي بن احمد بن المهدي عبد الله اضيف الى لقب علي بن العباس (الأول) ، وصار يعرف بالمنصور علي الأول وعلي بن احمد المذكور بالمنصور علي الثاني ، تمييزاً لكل منهما عن الآخر .

وقد قال المؤرخ الكبسي في تأريخه عنه[٤٢] ، أي المنصور علي بن المهدي العباس ما نصه : « واستمرت امارته على اسعاد واقبال في أولها واوسطها ، وبقي على تلك الحال بذالاً للأموال ، شيّد الدور وعمر القصور ، وكان في زي عظيم وملك عقيم من سنة تسع وثمانين ومائة وألف الى سنة اربع وعشرين ومائتين وألف .

وفي هذا التأريخ تلاشت عليه الأمور بخروج التهائم وبنادرها الى الخوارج من نجد ، لمّا قامت الفتنة وعظمت المحنة بقيام عبد العزيز النجدي ، ثم ولده سعود ، الى آخر ما ذكره عن حركة آل سعود مما سيأتي تفصيله » .

---

(٤٢) اللطائف السنية (مخطوط) المذكور .

وكان[٤٣] سلطان نجد (عبد العزيز بن محمد) قد جهز عدداً كبيراً من قبائل نجد لغزو بلاد نجران ، ولكن قبيلة يام إحدى قبائل نجران ردتهم على اعقابهم .

كما أنّ الشيخ محمد عبد الوهاب التميمي النجدي قد ظهر بدعوته في نجد ، وحارب البدع ، ودعا الى التوحيد الخالص لله ، إلا أنه تطرف في دعوته فكفّر بالجملة ، وشجع على سفك الدماء . وكانت له مع السيد العلامة محمد ابن اسماعيل الأمير مراسلات شعرية ونثرية ، إلا ان ابن الأمير ندد في بعض رسائله بتطرف محمد عبد الوهاب ، ومما جاء له في ذلك قصيدة مطلعها :

سلام على نجد ومن حلّ في نجد ... وان كان تسليمي على القرب والبعد

ومنها قوله :

وقد جاء من تأليفه برسائل ... يكفر أهل الأرض فيها على عمد
ولفّق في تكفيرهم كل حجة ... تراها كبيت العنكبوت لدى النقد

من صور الماضي

كتب[٤٤] سلطان عمان احمد بن سعيد الى عامل المخا القاضي علي بن صالح العماري في تأريخ (١١٩٤ هـ) رسالة احببت نشرها ليعرف القارىء صوراً من أساليب الماضي ووسائله ، وألواناً من واقعه ووقائعه ، واليك نص الرسالة :

« من إمام المسلمين ورأس المجاهدين أحمد بن سعيد أسعده الله بتقواه ، وسلك به الى رضاه ، الى عالي الجناب وصفوة الأحباب العالم النبيه والكامل الفقيه ، والعالم الصالح علي بن صالح ، سلام ارق من الغمام ، وأطيب من عرف الخزام ، وبعد ، فإنا نحمد الله على كل حال ، ونصلي ونسلم على سيدنا

---

(٤٣) اللطائف السنية (مخطوط) أيضاً .
(٤٤) من تكملة القاضي عبد الله عبد الكريم الجرافي للمقتطف .

محمد وآله خير آل ، ثم لتعلم ايها الرجل العاقل واللبيب الكامل ، انه اتصل بمسامعنا العلية ، وبلغ الى سدتنا السنية ، من رعايانا المترددين الى بنادر اليمن ، ممن يكتسب بالتجارة وهو المكسب الحسن ، بأنه أبدع عليهم بدع عديدة ، بعضها في بندر الحديدة ، وبعضها في بندر المخا المحفوف بالخير والرخاء ، وكنا في شغل بالجهاد لأعداء الله من الطائفة الإفرنجية ، محتفلين بتجهيز الأجناد والعسكر ، في البر والبحر ، واستطاعت المنابذة في العامين الأولين حتى منّ الله علينا بالنصر والظفر ، فأخذتهم جنودنا المنصورة أخذةً رابية ولم يبق لهم في البر ولا في البحر باقية .

ولذا لم نكتب لكم في الموسمين بما شكاه رعايانا ، ولا أنبهناكم بما وقع عليهم من الضيم وهم في كنفنا وحمانا ، ولقد كنا نهمٌ بتجهيز بعض املاكنا المحدودة للقتال ، وأن نأمر بشحنها من المال والرجال ، ونوجهها الى بنادر اليمن ، لا بغياً على أهلها ، ولا طمعاً في أخذها ، إلا أنّ جزاء سيئة سيئة مثلها ، وقد علمت أيها الكامل غب الفتنة ، ومآل عاقبة المحنة ، وما يسفك فيها من الدماء ، ويستحل من الدهماء ، فأذهب بعض غيضنا وسكن ما يطيش بحلمنا ما اخبر به الولدماجدمن كمالك ووفرة عقلك ونباهتك ، وشكر الرعايا إياك ، بحسن المعاملة والعدل الذي به تتوفر الخيرات والبركات . فإنّا مع ما بلغنا أذنّا لمن لم نأذن له بالتجارة في البصرة ، بأن ينفذوا الى بنادركم بالتجارة ، ووفرنا ارسال الخشب الى المخا للبضائع المختارة .

وليس ذلك إلا لوصف الولد ماجد وغيره من الوافدين ، فلمّا تحققنا رجاحة مكاتبتك ، وصح لنا حسن ملاحظتك ، وجهنا بكتابنا هذا في مركبنا (فتح الخير) صحبة الولد راشد بن‌ماجد، وأوصيناه مشافهة بما يلقيه اليك ويتلوه عليك ، فإن ينحسم الشقاق ويحصل الوفاق فنعماً هو ، وإن يكن إلا ما قد كان فقد أعذر من انذر »

ولا الكتب إلا المشرفية عندنا ولا رسلٌ إلا الخميس العرمرم

والله المستعان ، وعليه التكلان ، حرر في شهر ربيع الأول سنة (١١٩٤ هـ) .

أمّا رد عامل المخا المذكور فنصه كما يلي :

« الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأنام ، وعلى آله حلفاء الحق بنص الكتاب ، وقرناء الذكر بلا ارتياب ، الى حضرة الإمام الأمجد المجيد ، احمد بن سعيد ، شيد الله مجده ، وأدام سعده ، وبعد ، فإنه وصل الرقيم ، والمكتوب العظيم ، وفهمنا ما شرحتم ، وتصفحنا ما ذكرتم وصرحتم ، بشكوى رعاياكم ممن يفد الى البلاد الإمامية من تلقائكم ، فاعلم أبقاك الله وتولاك ، أنّ لليمن ملكاً يتحامى الملوك بحمى حماه ، ويرهبه كل من سواه ويغشاه ، ويذل لسطوته كل من ناواه ، ولا يرضى بالجور فيما تولاه ، ولا بالظلم في كل من حواه ، ولا يأخذ بدعة في مملكته ، ولا اسقاط عادة في بلاد دولته ، وأمّا ما ذكرتم من عشور الحديدة فهو مستمر على ما سلف ، ومتبوع على أثر السلف ، وما ابنتم في مرقومكم من أي جهة كان الظلم ، بل تركتم التفصيل واجملتم ، وأمّا عشور المخا فما ثمة بدعة وما نرضى بها قط ، ونحن لذا امرناهم بذرع الطيقان فقط ، لأنّ التخمين لا يخلو من مجازفة إما عليهم أو على بيت المال ، فحصل منهم التضرر بذلك والإضطراب ، وانشدك الله هل هذا خطأ أم صواب ؟ وأمّا ما أودعتم في غضون الكتاب من الإبراق والإرعاد ، وذكر الجهاد والأجناد ، فلقد كدنا نقول يا لله العجب من بعوضة تطن في اذن فيل ، ولقد حشمنا المجلس الجليل ، وكففنا لسان القلم عن التطويل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

مجمل تاريخ الإمام المنصور الأول علي بن المهدي العباس

ذكر[٤٥] المؤرخون أنّ الإمام المنصور الأول علي بن المهدي العباس خلد الى الدعة واحتجب عن الناس ، ووكل أمور الدولة الى ثلاثة وزراء ، وكان كبير الوزراء يلقب بالوزير الأعظم ، وأنّ الأمور اضطربت في عهده بسبب ذلك ، وخالفت عليه كثيرمن القبائل ، وخرجت بعض أطراف البلاد عن طاعته ، وانتشر الفساد وكثر السلب والنهب ، وحوصرت صنعاء من قبل

(٤٥) الكبسي في اللطائف السنية (مخطوط) وحمزة علي لقمان في (معارك حاسمة) ص ١٤٢ .

القبائل حتى كاد أهلها يهلكون .

كما استولى الانكليز في عهد الإمام المنصور المذكور على جزيرة (ميون) (بريم) على مضيق باب المندب وذلك اثر احتلال نابليون بونابرت لمصر .

واستولى في عهده شريف المخلاف السليماني حمود بن احمد بن أبي مسمار على تهامة يسانده سلطان نجد عبد العزيز بن محمد بن سعود وذلك في عام (١٢٢٤ هـ) وامتدّ نفوذ الشريف حمود في تهامة حتى زبيد بما في ذلك مينائي اللحية والحديدة ، ولم يبق تحت نفوذ الإمام المنصور من تهامة إلا المخا وحيس وأعمالها وانه دام استيلاء الشريف حمود على تهامة الى موته في عام (١٢٣٣ هـ).

وخلفه على ذلك ولده الشريف احمد حتى نزعه منه والي مصر (محمد علي باشا) في عام (١٢٣٤ هـ) عن طريق جيش جهزه بقيادة (خليل باشا) تلبية لطلب الإمام المهدي عبد الله الذي خلف اباه الإمام المتوكل احمد بن المنصور علي وكجزء من المهمة التي اعتزم القيام بها والي مصر المذكور في القضاء على النجديين في نجد وأعوانهم كأشراف المخلاف السليماني في المخلاف وفي تهامة تمهيداً لبسط سلطان الأتراك في نجد واليمن وهو ما تمّ فعلاً كما سنرى .

وقد أعاد الوالي محمد علي تهامة الى الإمام المهدي عبد الله المذكور ، وقبض خليل باشا مع ذلك على الشريف احمد بن حمود وأرسله الى الوالي محمد علي الى مصر وذلك في عام ١٢٣٤ هـ المذكور .

وكان(٤٦) الإمام المتوكل أحمد بن الإمام المنصور علي في عهده قد حاول ان يستعيد تهامة من الأشراف وجهز جيشاً بقيادته من القبائل اليمنية ولكنها خذلته وعاد الى ذمار ، وجهز مرة خرى جيشاً أكبر وقاده ووصل به الى جبلة في طريقه الى تهامة ولكن القبائل خذلته مرة أخرى وعاد الى صنعاء .

---

(٤٦) حوليات يمانية ص ٧ .

الإمام اسماعيل بن احمد المغلسي الكبسي

هذا[٤٧] وكان قد دعا في عهد الإمام المنصور علي بن المهدي العباس السيد اسماعيل بن احمد المغلسي الكبسي ، إلا انه اقام في ذمار محتفظاً بدعوته دون ان يقوم بنشاط يذكر .

الإمام المتوكل احمد بن المنصور علي

توفي[٤٨] الإمام المنصور علي بن المهدي العباس في عام (١٢٢٤ هـ) وكان من أكرم الملوك ، كثرت الأموال في دولته ، ونال الناس منه العطايا الجليلة والهبات الجزيلة ، ومن مآثره مسجد الزمر في حارة الزمر بصنعاء .

وقد خلفه ابنه احمد ولقب بالمتوكل ، وكان يلقب في عهد ابيه بسيف الخلافة ، قال المؤرخ الواسعي في تأريخه[٤٩] : « وكان حازماً عاقلاً يقرب العلماء وأصلح ما كان قد أفسده والده ، أي ما كان قد وصلت اليه الأمور في عهد أبيه من الاضطراب واختلال الأمن بسبب عبث القبائل وتكرار محاصرتهم لصنعاء ، الأمر الذي حمل ابنه سيف الخلافة احمد المذكور على الإضطلاع بالحكم في حياة ابيه وعلى كره منه ، قال المؤرخ محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه[٥٠] بعد ذكر ما وصلت اليه الأحوال من فساد واضطراب : « فانثال العلماء الى سيف الخلافة احمد بن المنصور وعظموا عليه التغاضي في هذه الأمور ، فوثب على وزراء والده القرشيين واوقع بهم ، ونهب بيوتهم وأودعهم السجون وأخذ منهم كل مظنون وأصلح الباغي ورفع عن قطع الطرقات وذلك عن كره من والده المنصور ، ولكنه الجيء الى ذلك الفعل بفتوى العلماء٠ أنّ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، ثم بقي الأمر بيد سيف الخلافة ولم يصرح بدعواه (الإمامة) ، بل ابقى والده على منصبه حتى توفي في شهر رمضان سنة (١٢٢٤ هـ) .

---

(٤٧) الواسعي في تأريخه ص ٢٢٦ .

(٤٨) حوليات يمانية ص ١ .

(٤٩) ص ٢٢٦ .

(٥٠) اللطائف السنية (مخطوط) آنف الذكر .

الإمام المهدي عبد الله

ولمّا توفي الإمام المتوكل احمد بن المنصور علي بن المهدي العباس خلفه ابنه عبد الله ولقب بالمهدي ، وذلك في عام (١٢٣١ هـ) .

وفي عهده كما علمنا عادت تهامة الى حظيرة الدولة القاسمية بعد ان انتزعها خليل باشا الذي جهزه لذلك الوالي المصري محمد علي باشا ، وذلك[٥١] مقابل اموال معينة وشيء معلوم من البن وبموجب اتفاق عقد بين الجانبين مثل الإمام المهدي عبد الله فيه القاضي محمد بن احمد الحرازي وقاسم ابا صيد والفقيه محمد بن عبد الله الغشم ، ومثل خليل باشا الحاج يوسف اغا ، وكان عقد الصلح المذكور بعد تسليم الشريف احمد بن حمود لتهامة الى خليل باشا ورفع عماله منها ثم تسليم نفسه اليه حيث ارسله الى الوالي المصري محمد علي باشا كما علمنا أيضاً ، وتبادل الإمام المهدي وخليل باشا الهدايا اثناء ذلك .

العدوان الإنكليزي على المخا

ذكر الحادث هذا في (حوليات[٥٢] يمانية) بإيجاز فقال : « وفي تلك السنة (١٢٣٥ هـ) كتب الى المهدي عامل المخا بأن الفرنجي لعنه الله خالف وهرب من البندر مغاضباً بسبب منع العامل له من نشر بيرقه في البندر حسب عادته ، وكان هو تاجر في البندر ويسلم خراج من جملة التجار ، وأقام في البحر أياماً حتى وصل اليه المدد من الولاية وخرج منهم شرذمة ومدافع كبيرة ورموا بندر المخا وأخربوا دوراً كثيرة وآل الأمر الى المصالحة على رجوعه على عادته وينشر بيرقه ، وضعّف عليه أموالاً جزيلة وأهدى للدولة المهدية هدايا سنية منها المدفع الأصفر الذي بقي في بيت المال » .

وقد أورد الحادث الأستاذ حمزة علي لقمان في (تاريخ عدن وجنوب

---

(٥١) حوليات يمانية ص ٢٥ .

(٥٢) ص ٢٧ .

الجزيرة العربية) [٥٣] بشيء من التفصيل فقال : « وفي سنة (١٢٣٢ هـ) (١٨١٧ م) وقع اعتداء على المقيم البريطاني في المخا ، وقام حوالي ثلاثمائة عسكري يمني باغتصاب المصنع البريطاني (ولم يذكر نوع الصناعة فيه) وضرب بعض البحارة الهنود ، وكان الملازم(دوميستي) ربان السفينة (برنس اوف ويلس) مريضاً بالحمى في الدار حينما هاجمه عدد من الجنود وسحبوه في الشارع وضربوه وبصقوا عليه ثم ساقوه الى دار الحاكم الشيخ فتح الذي أمر بحبسه .

وفي سنة (١٢٣٤ هـ) (١٨١٩ م) طلبت حكومة بومباي من الإمام ان يعاقب حاكم المخا على تصرفاته والإهانات التي الحقها برعايا بريطانيا ، ولكن الإمام (المهدي عبد الله) لم يهتم بذلك الطلب ، وعندئذٍ جهز الحاكم العام للهند فرقة من الجنود للإبحار الى اليمن ، وإجبار الإمام على تنفيذ مطلب حكومة الهند التي كان من ضمنها التوقيع على معاهدة تتضمن الإحترام للرعايا وللمقيم البريطاني في المخا ، والمعاهدة تحتوي على البنود الآتية :

(**أولاً**) : أنّ على المقيم ان يكون لديه حرس شبيه بالحرس الذي للمقيم البريطاني في البصرة وبغداد لضمان احترام شخصه .

(**ثانياً**) : أنّ جميع خدم المصنع سيتمتعون بالحماية البريطانية ويخضعون للقضاء الذي يفرضه القانون .

(**ثالثاً**) : أنّ جميع التجار الهنود سيكونون تحت حماية الراية البريطانية ، وأنّ جميع المنازعات التي تقع بينهم ستكون من اختصاص المقيم ، واذا حصل نزاع بين احدهم واحد الرعايا فإنّ المقيم سيقضي بينهما بالاشتراك مع مندوب من حاكم المخا .

(**رابعاً**) : أنّ المقيم سيكون معفياً من جميع ما يعتبر تحقيراً ، وانه سيكون حراً في ركوب الخيل متى وحينماشاء ، وستكون له حرية الدخول

---

(٥٣) ص ١٥١ .

والخروج من أبواب المخا بما في ذلك باب الشيخ الشاذلي الذي كان الأوروبيون ممنوعين من استعماله (وكانت مدينة المخا مسورة في ذلك التأريخ) .

(خامساً) : أنّ قيمة الضريبة على الصادرات من البضائع البريطانية ستخفض من ثلاثة ونصف في المائة الى اثنين وربع في المائة وهي القيمة التي كان الإمام والفرنسيون قد اتفقوا عليها منذ قصف الفرنسيين للمخا قبل قرن من ذلك التأريخ .

(سادساً) : أنّ تخصص بقعة من الأرض لتكون مقبرة لرعايا بريطانيا ، وألا يسمح بسبِّ أي رعوي بريطاني بسبب الديانة التي يعتنقها .

(سابعاً) : أنّ تكون للمقيم البريطاني حرية السفر الى صنعاء ليتصل بالإمام حينما يرى ذلك ضرورياً ، ويلزم على حاكم المخا أن يهيء حرساً للمقيم في تلك المناسبات .

وفي سنة (١٢٣٥ هـ) (١٨٢٠ م) ابحر الكابتن بروس الى المخا مع بعض قطع الأسطول الحربي بقيادة الكابتن (لوملي) قائد السفينة (توباز)، ولمّا رفض الحاكم الإستجابة الى المطالب قصف الأسطول مدينة المخا ، ونزل الجنود الى البر فاكتسحوها.

ووقعت اتصالات بين الإمام والبريطانيين استنكر الإمام اعمال حاكم المخا وعزله واستبدل به حاكماً جديداً هو الشيخ فضل الله .

وفي سنة (١٢٣٦ هـ) (١٨٢١ م) صعد الى سفينة القيادة الشيخ فضل الله ومعه الشيخ فتح ليقدم اعتذاره للقائد الانكليزي الكابتن بروس .

وفي تلك السنة وقعت المعاهدة المذكورة بين بريطانيا والإمام ، ولاحظت بريطانيا وجود نقص في الترجمة العربية لبعض البنود ، فاتصلت بالإمام في صنعاء (المهدي عبد الله) ولكن الإمام رفض المصادقة على التصحيح .

هذا وقد ساعد البريطانيين على فرض شروطهم في المعاهدة المذكورة وشجعهم على ضرب ميناء المخا اشتغال الإمام (المهدي عبد الله) منذ تسلمه

مقاليد الحكم في بداية عام (١٢٣٢ هـ) بثورات(٥٤) القبائل المتكررة واحتلالهم لبير العزب وسلبهم ونهبهم وقتلهم عدداً من العلماء والأعيان فيه ، وحصارهم لصنعاء طلباً للعطاء الذي كان لا يزيدهم إلا تمرداً واسترسالاً في الفساد ، وقد استمر ذلك منذ بداية عهد المهدي عبد الله في التأريخ المذكور وحتى نهاية عام (١٢٣٥ هـ) كما أضعف معنوية الإمام (المهدي عبد الله) مع ذلك خروج تهامة وحتى زبيد عن دولته ومنذ عهد ابيه بيد اشراف المخلاف السليماني ، والتي لم تعد الى نفوذه إلا في عام (١٢٣٤ هـ) عن طريق جيش جهزه الوالي المصري للأتراك (محمد علي باشا) بقيادة (خليل) كما مرّ بنا ، واشتغل بعد ذلك بانفاذ ولاته اليها وترسيخ نفوذه عليها .

ولذلك فإنه أي الإمام (المهدي عبد الله) (وقد تحسن نفوذه في معظم انحاء منطقة نفوذ الدولة القاسمية) رفض التصحيح على بعض بنود الاتفاقية التي خلت من النص العربي في عام (١٢٣٦ هـ) .

جولة الإمام المهدي عبد الله في اليمن الأسفل

ولذلك أيضاً وبسبب تحسن موقف الإمام المهدي عبد الله فإنه قام في عام (١٢٣٧ هـ) بجولة في المنطقة الوسطى وفي اليمن الأسفل وطد فيها نفوذه ، تحدث عن ذلك في (حوليات يمانية)(٥٥) فقال : « ودخلت سنة (١٢٣٧ هـ) وخرج الإمام بنفسه على بلاد اليمن ودوخها ، وألبس الفرسان الدروع السابغة واجرى العد والعديد ، وطلب العساكر من كل أرض ، وجرت المدافع الكبار ، وكل بلاد أقام فيها واصلحها ، فأول ما بدأ بالحدأ وبعدها عنس ويريم ، وسلك به الوزير الطريق الشرقية من بلاد قعطبة وحُمَر والشرمان (في بلاد ماوية) حتى انتهى الى القاعدة ، وتوجه الى ذي السفال وعيّن على الرعايا في بلاد العدين مالاً جزيلاً ثم توجه الى مدينة تعز » . وأضاف قائلاً : « ولمّا أضرب عن المسير الى يفرس سلك الطريق الوسط الى اب وأقام بها أياماً ،

(٥٤) محمد بن اسماعيل الكبسي في اللطائف السنية آنف الذكر (مخطوط)
(٥٥) ص ٣١ .

ونهض الى المخادر ونظر الى بلادالمخادر وقراها واموالهاقد ملكها بالشراء وزيره السيد اسماعيل الأمير من نقيل سمارة الى وسط السحول ، واستطاب الإمام الإقامة فيها » .

ثم استرسل المصدر (حوليات يمانية) في وصف المخادر فقال : « وهذه المخادر من أطيب البلاد هواء ، وفيها من التحف والظرف والروح والسرور خصوصاً ليلها ، فكم من حزين بات فيها انيساً ناسياً احزانه ، وكم من مكلوم تَذهب عنه كلومه وفيها القات البخاري والماء البلخي اثنان لا يوجدان إلا فيها ، ومما قاله العلامة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني رحمه الله شعراً :

إنّ الليالي في المخادر قد غدت ... عقداً على جيد الزمان لئاليا
فبذا قضيت لها وكل مهذب ... ان بات فيها صار مثلي قاضيا

وقال العلامة احمد بن يحيى البصير وكان من الأدباء من أهل إب :

فبذا قضى علامة العصر الذي ... احكامه مثل السيوف مواضيا
وأقول أورده البخاري إذ غدا البـ ... ـلخي مَعيناً والمبرد راويا

ثم ذكر عودة الإمام المهدي عبد الله الى صنعاء وشُروعه في عمارة بستان السلطان بعد ان شرى من بيت المهدي العباس ذلك ، ووصف ما بناه فيها من القصور والبساتين وانه بنى مع ذلك الحمام العظيم قبلي دار الجامع ولعله حمام بستان (السلطان) .

استيطان بكيل اليمن الأسفل

ثم تحدث المصدر المذكور (حوليات يمانية)[٥٦] عن سكنى قبائل بكيل في اليمن الأسفل بالجملة منذ عهد الإمام المهدي عبد الله فقال : « ودخلت سنة (١٢٣٨ هـ) وفيها وقع القحط والغلاء في المشارق واجدبوا القبائل بكيل

(٥٦) ص ٣٤ .

واشتدّ بهم الحال وجارهم النكال من الملك المتعال ، فعزموا الى سوق العنان (في برط) وجمعوا شورهم انهم يخرجون الى المهدي ان يسلم لهم كفاية سنة وإلا رحلوا اليمن لما عرفوه بالخير والخصب ، وقد تألفوا به من السنة الماضية ويستوطنوه ويرفقوا بالرعايا ، فخرجوا خرجة رجل واحد صغارهم وكبارهم ونسائهم مشكّلات بأشكال الرجال ، وحطوا على أبواب صنعاء ونهبوا وقتلوا ، فلما علم الإمام خبث نياتهم وطلبوا المغلبات التي لا يسعها المعقول وما هم فيها وإنما يريدوا اليمن ، فتغاضى عنهم وكتب الى جميع الجهات بالإحتراس منهم فعزموا اليمن وذلك بغيتهم يجعلوها وطن ، فلما وصلوا سمارة وكل واحد طرح عربونه في محل وتقسموه جميعاً كأنه خلفه لهم أبوهم ميراثاً ، ولمّا ضاق الخناق بالرعية في اليمن من العمال قد جاروا عليهم مثلما المشايخ الآن ، وكود الرعوي يدفع حتى كأنه لم يملك شيئاً ، والجيد البطل من أكل لقمة ، فأذعنوا لبكيل وملكوه من ذلك التأريخ (١٢٣٨ هـ الى سنة ١٢٥٦ هـ ملكوه غصباً وقهراً واستوطنوه وتزوجوا فيه ونسيوا المشرق لحتى اخرجهم الفقيه سعيد في سنة ١٢٥٦ هـ » وسيأتي ذكر ثورة الفقيه سعيد بن يسين الهتار في موضعه ،

وقد(٥٧) عارض الإمام المهدي عبد الله في عام (١٢٤٩ هـ) احمد بن علي السراجي ودعا لنفسه وتلقب بالهادي بدر الدين وحاصر صنعاء بمن التفّ حوله من القبائل ثمانية أيام ، ولكن الإمام المهدي عبد الله استطاع بالأموال التي فرقها في رؤساء القبائل ان يصرفهم عنها ، وارتفع السراجي الى بلاد نهم ثم مات في العام الذي تلا العام المذكور .

هذا ولّما كان الحكم العثماني في اليمن للمرة الثانية والأخيرة قد بدأ في عهد الإمام المهدي عبد الله وبالتحديد في عام (١٢٤٩ هـ) فسأنهي هذا الفصل من تأريخ حكم الأئمة في اليمن في العام المذكور على ان اكمل التأريخ للأحداث بين الإمام المهدي وبين الأتراك من التأريخ المذكور بفصل يشمل

---

(٥٧) حوليات يمانية من ص ٥٢ بتصرف .

الأتراك ومعاصريهم من الأئمة دون افراد فصل مستقل لكل منهما ، وذلك لئلا تتكرر الأحداث القائمة بينهما .

وقبل ان ابدأ بالفصل المشترك للحكم العثماني الثاني في اليمن ومعاصريهم من الأئمة ، فإني سأقف بالقارىء قليلاً في الفصل الخاص بتأريخ انفصال جنوب اليمن عن دولة بيت القاسم الذي عرف بالانفصال الثاني ، تمييزاً له عن الإنفصال الأول الذي حدث في بداية انسحاب الحكم العثماني الأول عام ١٠٣٨ هـ ١٦٢٩ م .

وقد بدأ الانفصال الثاني في عهد بيت القاسم أثناء حكم الإمام المؤيد الصغير محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم واستكمل في عهد الإمام صاحب المواهب محمدبن احمد بن الحسن بن القاسم ، وذلك لئلا يبعد بنا عن مكانه الطبيعي .

انفصال جنوب اليمن عن شماله في عهد الدولة القاسمية

يُعَنى هذا الفصل بتأريخ انفصال جنوب اليمن عن شماله في عهد الدولة القاسمية التي بدأت بالإمام القاسم بن محمد في عام ١٠٠٦ هـ ، وسيليه الفصل الخاص بالاستعمار الانكليزي في الجنوب .

ويعذرني القارىء في استباق الأحداث ، وتناول موضوع الجنوب اليمني من انفصاله وحتى استقلاله عن الاستعمار تجنباً لتجزئة الموضوع .

وسأستند في موضوع الجنوب في الفصلين معاً الى عدد من المؤرخين أبناء جنوب يمننا الحبيب كالأستاذ حمزة لقمان والأستاذ قحطان محمد الشعبي والأستاذ سلطان ناجي (وصاحب البيت ادرى بالذي فيه) .

وسأقتطف أولاً فقرات غير مخلة بالغرض من كتاب (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية)[1] ، ملتزماً فيها بالنص الوارد في المصدر وما قد اضيف عليه من ملاحظات أو زيادات فستكون بين قوسين .

آل هرهرة في يافع

كانت مقاطعات جنوب اليمن تعرف في الماضي باسم المشرق ، واليوم باسم جنوب الجزيرة العربية (الجنوب اليمني) وقد انفصلت عن اليمن (في بداية)الانسحاب العثماني في سنة ١٠٣٨ هـ (١٦٢٩ م) (الانسحاب النهائي للأتراك في حكمهم الأول في اليمن كان عام ١٠٤٥ هـ ١٦٣٦ م ، كما مرّ بنا

(١) للإستاذ حمزة لقمان بعنوان (انفصال عدن ودول جنوب اليمن عن الدولة القاسمية) ص ١٥٦ .

في موضعه من هذا الكتاب) .

« واستمرّت منفصلة حتى اكتسحها عساكر الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم في سنة ١٠٦٥ هـ ١٦٥٤ م بقيادة ابن اخيه صفي الإسلام احمد بن الحسن بن القاسم الذي صار إماماً فيها بعد واتخذ لقب المهدي » (وكما سبق تفصيل ذلك عند التأريخ للإمام المتوكل المذكور) .

وفي عهد الإمام المهدي محمد بن احمد بن الحسن الشهير بصاحب المواهب ازداد التذمر في دول جنوب اليمن » (وأخذت تنفصل عن الدولة القاسمية الواحدة تلو الأخرى ، حتى لم يعد للإمام صاحب المواهب المذكور نفوذ إلا على لحج وعدن ، وبالتحديد فإنّ الجنوب بدأ ينفصل عن شماله في عهد الدولة القاسمية في انفصاله الثاني منذ عهد الإمام المؤيد الصغير محمد بن المتوكل اسماعيل كما سبق ، ولم يخضع للدولة القاسمية إلا في عهد الإمام المتوكل اسماعيل بن القاسم وهو ثلاثة وثلاثون عاماً ، وفي عهد خلفه الإمام المهدي احمد بن الحسن بن القاسم وهو خمسة أعوام فقط ، وخلفه الإمام المؤيد الصغير المذكور ، الذي بدأ الجنوب في العودة الى الإنفصال منذ عهده ، وانتهى انفصال الجنوب بانفصال عدن ولحج في عهد الإمام المنصور حسين كما مرّ بنا عند التأريخ له في هذا الكتاب) .

واستمرّ المصدر قائلاً : « ومن يافع بدأت الثورة على حكم الأئمة ، فبعد ان كان آل هرهرة يعتبرون مرشدين دينيين اجمع القوم على تنصيب الشيخ صالح بن أحمد بن علي هرهرة سلطاناً على يافع العليا ، حتى يمكن ان يجدوا فيه الزعيم السياسي ، والقائد الحربي الذي يأملون أن يخلصهم مما كانوا يقاسونه من متاعب » .

اتحاد السلاطين

وتحت هذا العنوان أضاف المصدر[٢] قائلاً : « وكان أول ما فعله

(٢) الإستاذ حمزة لقمان أيضاً في التاريخ المذكور (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٧ .

السلطان صالح بن احمد بن علي هرهرة انه عقد تحالفاً مع السلطان معوضة بن عفيف سلطان يافع السفلى ، ويسمى ايضاً يافع القارة ويافع الساحل ، ولمّا وجد بقية امراء وسلاطين الجنوب نجاح التحالف اليافعي عقدوا مع يافع اتحاداً ليكونوا صفاً واحداً ضد حكم الأئمة وكان الإتحاد يتكون من :

(١) سلطان يافع العليا صالح بن أحمد بن علي هرهرة .

(٢) سلطان يافع السفلى معوضة بن محمد بن عفيف .

(٣) سلطان العوالق صالح بن منصور .

(٤) امير خرفة حالمين قاسم بن شعفل الحالمي .

وأضاف المصدر قائلاً : « وفي سنة (١١١٢ هـ) (١٧٠١ م) وجد امير خرفة حالمين بلاده هدفاً لهجمات عنيفة قام بها جيش الإمام صاحب المواهب بقيادة الأمير عامر بن صالح ، ولكنه تقهقر أمام الدفاع القوي الذي اظهره رجال الأمير قاسم .

وازدادت نية الإمام صاحب المواهب (محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم) في القضاء على ثورة الجنوب بأي ثمن ، فأرسل بنجدات عسكرية الى الأمير عامر بن صالح ، فتمكن عندئذٍ من احتلال خرفة حالمين ، وانتشر فيها الجنود اليمنيون ينهبون ويحرقون .

وانسحب الأمير قاسم واستنجد بيافع السفلى ، فأسرع السلطان معوضة بجيش من يافع تدفق على خرفة ، وأخرج منها عسكر الإمام وطاردهم حتى أعادهم الى المنطقة التي جاؤوا منها ، وفي تلك المعركة قتل قائد جيش الإمام عامر بن صالح وعدد من ضباطه » .

واضاف ايضاً تحت عنوان « انشقاق الجنوب »[٣] قائلاً :

---

(٣) في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٧) .

« استمرت المناوشات بين الفريقين ، وحين رأى صاحب المواهب أن قتال أهل الجنوب لن يجديه نفعاً ازاء عزمهم واصرارهم على الخلاص قرر أن يستعمل طريقة أجدى لتمزيق الإتحاد ، فبدأ في مهادنة السلاطين وأحسن معاملتهم ، ثم خطب بنت السلطان قحطان بن معوضة بن محمد بن عفيف الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه في سنة (١١١٤ هـ) (١٧٠٣ م) ، وبهذا الزواج كسب الإمام سلطان يافع السفلى الى صفه .

وأرسل له الإمام حوالي عشرين جملاً من الذهب والفضة واللؤلؤ والمرجان والملابس والبنادق والخناجر المغلفة بالذهب ، ولمّا علم الأمير احمد بن قاسم شعفل الحالمي بهذه الحمولة هجم على القافلة مع ابنه الأمير حسين وثلاثمائة من رجاله فاستولى عليها .

وغضب السلطان قحطان بن معوضة وكادت العصي ان تنشق لولا ان سارع السلطان ناصر بن صالح هرهرة الى خرفة حالمين مع عدد كبير من رجال يافع العليا والسفلى ، وتدخل بعض العقلاء وعقدوا اجتماعاً بين المتخاصمين ، فأعاد الأمير أحمد القافلة الى السلطان قحطان » .

وتحت عنوان (تصميم السلاطين على الخلاص من الأئمة) واصل الأستاذ حمزة لقمان في (تأريخ[٤] عدن وجنوب الجزيرة العربية) قائلاً : « جاء في كتاب (مسيرة يافع) أنّ الإمام صاحب المواهب صاهر سلطان البيضاء احمد ابن علي الرصاص وسلطان العوالق صالح بن منصور وحاول ان يسترضيهما وبقية حكام الجنوب بالهدايا والأموال الجزيلة حتى يضمن هدوءهم لانشغاله بقتال اقاربه الذين نازعوه منصب الإمامة في اليمن ، ولكن صاحب المواهب لم يستطع أن يجتذب هؤلاء الحكام الى صفه .

وحاول صاحب المواهب ان يستميل اليه سلطان أبين (بلاد الفضلي) عبد الله بن احمد الفضلي ، وأمده بجنود ومدافع فحاصروا الطرية وقصفوها

---

(٤) ص ١٥٨ .

بالمدافع حتى استسلمت حاميتها ، ثم شعر السلطان عبد الله بأنّ معاملة نواب الإمام له ولمواطنيه كانت سيئة ، فاتصل بالسلطان احمد بن علي الرصاص وبالسلطان قحطان بن معوضة وعقد معهما تحالفاً ، وفي نفس السنة اجتمع السلطان احمد بن علي الرصاص والسلطان صالح بن منصر العولقي لإصلاح خلاف وقع بين السلطان قحطان والسلطان الرصاص يتعلق بالحدود الواقعة في أطراف أبين ، وبذلك الاجتماع تمّ الاتفاق بين السلاطين على وجوب الخلاص من الحكم الإمامي ومتاعب نواب الأئمة ».

«وفي نفس السنة تجهز السلطان قحطان على لحج وعدن واستولى عليهما ، ولكن عساكر الإمام انتزعتهما منه . وخلف السلطان صالح بن احمد بن علي هرهرة بعد وفاته ابنه ناصر الذي تجهز في سنة ١١١٧ هـ واستولى على الرعارع في لحج وحاصر قلعة حمادي وأخرج منها العساكر الزيود الذين رتبهم الإمام صاحب المواهب ، وحاصر السلطان قلعة الطرية في أبين وحال بين حاميتها وبين امدادات الإمام حتى جاع الجنود وأخلوا القلعة ليلاً ، فاستولى عليها رجال السلطان قحطان » .

وتحت عنوان (استقلال حضرموت) اضاف الأستاذ حمزة علي لقمان في تأريخه(٥) قائلاً : « لم يقتنع سلاطين يافع بمحاربة الإمام في حدود يافع ولحج وأبين والشعيب وجبن والنعوة والربيعيتين والظاهر وجبل حرير وحالمين ، بل ساروا لإنقاذ من بحضرموت من أهل السنة بعد ما استنفرهم السيد علي بن احمد بن علي بن سالم بن احمد بن حسين بن أبي بكر بن سالم مولى عينات في سنة (١١١٦ هـ (١٧٠٤ م) لمحاربة السلطان عمر بن جعفر الكثيري الذي انتحل مذهب الزيدية وتعصب لشعائره في حضرموت ، واستمرّ كتاب (مسيرة يافع) يذكر ان بدر بن طويرق الكثيري ارسل بعقائره الى يافع فتوجه معه السلطان عمر بن صالح هرهرة شقيق السلطان ناصر بستة آلاف مقاتل يافعي ، واستولى على جميع حضرموت وازال بدعة الكثيري ورجع الى يافع في

(٥) (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٩ .

سنة ١١١٩ هـ ١٧٠٧ م ، وما زال بحضرموت اقوام من يافع تحت حكم سلاطين حضرموت الساحل (آل القعيطي) الذين يرجع نسبهم الى يافع ، واستمرت الحرب سجالاً بين سلاطين يافع وعساكر أئمة اليمن حتى انتصرت يافع واستقلت عن حكم الأئمة » .

أمّا عن انفصال عدن ولحج ذاتهما عن الدولة القاسمية فقد ذكر المصدر[٦] تحت هذا العنوان ما سبق ذلك الإنفصال من محاولات قام بها شيخ لحج فضل بن علي بن صلاح بن سلام بن علي السلامي العبدلي عن طريق تحالفه مع سلطان يافع السفلى سيف بن قحطان بن معوضة بن محمد بن عفيف وهو التحالف الذي عقد بينهما في عام (١١٤١ هـ ـ ١٧٣١ م) لمساعدته في الإنفصال بلحج وعدن أسوة بجيرانه اهالي يافع العليا والسفلى والعوالق والضالع والبيضاء وأبين الذين تم لهم الانفصال عن نفوذ الإمام ، وقام العبدلي المذكور بمساعدة سلطان يافع المذكور بقتل عامل الإمام في كل من لحج وأبين ، الأمر الذي حمل الإمام المنصور حسين الذي خلف الإمام صاحب المواهب محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم في الحكم الى استعادة لحج وعدن في عام ١١٤٤ هـ ١٧٣١ م مستعيناً بأخيه أمير تعز احمد بن المتوكل ، وتمكن الشيخ فضل العبدلي أثناء ذلك من الفرار الى سلطان يافع السفلى سيف بن قحطان المذكور ، واتفق معه مرة أخرى على اخراج عسكر الإمام من لحج وعدن ، مقابل اعطائه نصف خراج عدن ، وتمّ للحليفين ذلك واستقلال الشيخ فضل العبدلي بلحج وعدن ، حيث استولى الشيخ فضل على عدن في شهر رمضان من عام ١١٤٥ هـ ـ ١٧٣٢ م وغادر عسكر الإمام عدن بحراً الى المخا بعد التسليم ، واستولى على لحج في العام الذي تلا عام استيلائه على عدن ، بعد معارك حامية قامت بين الحليفين وعسكرهما مع عسكر الإمام في شوارع مدينة الحوطة عاصمة لحج » وأضاف المصدر قائلاً : « شاهدت ازقة عدن عسكر الإمام حاملين بيارقهم وأسلحتهم عائدين الى اليمن ، وهكذا خرجت لحج عن

---

(٦) (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) المذكور ص ١٦٠ .

دائرة نفوذ دولة الإمامة القاسمية في لحج »بعدخروج عدن عن دائرة نفوذها قبل ذلك ، وكلاهما في عهد الإمام المنصور حسين المذكور ، وقد حاول الإمام المهدي العباس الذي خلف أباه الإمام المنصور حسين المذكور استعادتها ، ولكن قائد قواته عامل منطقة العدين الشيخ عبد الرب بن وهيب العلفي فشل عن استعادتها وعاد بقواته من الحواشب كما علمنا عند التأريخ للإمام المهدي العباس المذكور .

جنوب اليمن من الانفصال حتى الاستقلال
(١٠٣٨ - ١٣٨٧ م)
(١٦٢٩ - ١٩٦٧ م)

الإنفصال الأول

انفصل[١] جنوب اليمن عن اليمن الأم للمرة الأولى في بداية انسحاب الحكم العثماني من اليمن في حكمهم الأول فيه ، وذلك في عام (١٠٣٨ هـ (١٦٢٩ م) وصار أمر عدن ولحج وأبين الى الأمير حسين عبد القادر اليافعي ، كما صار امر المناطق الأخرى في الجنوب الى سلاطينها وامرائها .

وفي عام[٢] (١٠٥٤ هـ ـ ١٦٤٧ م) بدأت قوات الإمام المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم بن محمد بقيادة ابن أخيه الأمير احمد بن الحسن بن القاسم الذي صار إماماً فيما بعد ، تبسط نفوذ دولة المتوكل على لحج وعدن ، واضطرت الأمير حسين اليافعي الى الانسحاب منها الى بلاد يافع .

وكان الأمير احمدُ بن الحسن عند خروجه عن طاعة عمه الإمام المؤيد محمد بن القاسم قد لجأ الى الأمير الحسين بن عبد القادر اليافعي المذكور ، ووقف على احواله ومواطن الضعف في دولته ، مما ساعده على التغلب عليه في غزوه له من قبل الإمام المتوكل المذكور .

وفي[٣] عام ١٠٦٥ هـ استأنفت قوات المتوكل اسماعيل بن القاسم

---

(١) الإستاذ حمزة لقمان في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ١٥٦ . وأحمد بن فضل العبدلي في تأريخه (هدية الزمن في أخبار ملوك لحج وعدن) ص ١٠١ .

(٢) هدية الزمن ص ١٠١ .

(٣) هدية الزمن ص ١٠٤ .

غزوها لمناطق الجنوب والمناطق الشرقية بقيادة الأمير احمد بن الحسن نفسه بهدف استكمال بسط نفوذ الدولة القاسمية على جميع انحاء اليمن بما فيها المناطق الجنوبية والشرقية ، وتمكنت قوات المتوكل من ذلك بما فيها حضرموت بعد حروب مريرة وقاسية مع سلاطينها وامرائها ، ويذكر بعض المؤرخين أنّ الدافع للإمام المتوكل الى استئناف غزو مناطق الجنوب وبسط نفوذ دولته عليها هو افساح الطريق امام قواته لإنجاد الأمير بدر بن عمر الكثيري سلطان حضرموت الذي اغتصب سلطنته واعتقله ابن اخيه بدر بن عبد الله الكثيري ، بسبب انتماء الأول الى الإمام المتوكل والدعاء له في الخطبة .

وكان لا بد لوصول قوات المتوكل الى حضرموت من اخضاع المناطق التي ستسلكها قواته الى حضرموت ، ابتداء ببلاد البيضاء التي تحالف سلطانها الشيخ حسين الرصاص مع سلاطين يافع العليا والسفلى والعوالق والواحدي والفضلي وغيرها على منعها من المرور فيها الى حضرموت ، وعلى عدم الخضوع للإمام المتوكل .كما سبق عند التأريخ للإمام المتوكل المذكور .

والحقيقة أنّ نجدة الامام المتوكل للسلطان بدر بن عمر الكثيري ليست إلا إحدى الدوافع له لبسط نفوذ دولته على مختلف انحاء اليمن بعد خروج الأتراك كلية من اليمن ومد نفوذه الى المناطق التي كان لهم نفوذ مباشر عليها ، وقد استمرت مناطق الجنوب والمناطق الشرقية الجنوبية مرتبطة بدولة بيت القاسم طيلة عهد المتوكل اسماعيل بن القاسم وهو ثلاثة وثلاثون عاماً ، وطيلة فترة خلفه الإمام المهدي احمد بن الحسن بن القاسم وهي خمس سنوات كما سبق أيضاً .

الإنفصال الثاني

ولقد(٤) عاد الجنوب اليمني والمناطق الشرقية الى الإنفصال الذي عرف بالإنفصال الثاني بالتدريج منذ عهد الإمام المؤيد الصغير محمد بن المتوكل بن اسماعيل بن القاسم الذي خلف الإمام أحمد بن الحسن بعد موته في عام ١٠٩٢ هـ واستمرّ في الانفصال في عهد الإمام صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن

---

(٤) هدية الزمن أيضاً ص (١٠٨) .

القاسم الذي تولى الحكم بعد موت الإمام المؤيد الصغير المذكور عام ١٠٩٧ هـ ، وذلك[٥] بالرغم من تقرب صاحب المواهب الى سلاطين الجنوب والمشرق الجنوبي بمصاهرة السلطان احمد بن علي الرصاص سلطان البيضاء ولسلطان العوالق صالح بن منصور ولسلطان يافع السفلى قحطان بن معوضة بالتزوج ببناتهم ، وباسترضاء بقية السلاطين بالهدايا والأموال الجزيلة والأسلحة والعتاد ، حتى يضمن هدوءهم واجتذابهم اليه ، لاشتغاله بأقاربه الذين نازعوه الحكم ، ولكنه لم يوفق في استمالتهم اليه ، واستمرّ حكام الجنوب في الانفصال عن حكمه وحكم من خلفه من ائمة بيت القاسم .

وكان فضل بن علي العبدلي سلطان لحج وعدن هو آخر من انفصل من امراء الجنوب عن دولة بيت القاسم ، حيث انفصل في عهد الإمام المنصور حسين بن المتوكل قاسم بن حسين بن احمد بن الحسن بن القاسم في عام ١١٤٥ هـ ـ ١٧٣٢ م » (اي ان امارة عدن ولحج لأهميتها وقربها كانت أول امارات الجنوب التي امتدّ نفوذ بيت القاسم اليها ، وآخر الامارات التي انفصلت عنها) .

مراحل الانفصال الثاني

وكان انفصال إمارات الجنوب الثاني والأخير قد بدأ بخلاف يافع في عهد الإمام المؤيد الصغير آنف الذكر ووقعت حروب عظيمة بينه وبينهم لم يتمكن بها من اخضاعهم ، قال المؤرخ الكبسي في تأريخه[٦] : « وتغلق المشرق (أي الجنوب) من ذلك الوقت » .

واستمّر[٧] خلاف المناطق الشرقية الجنوبية بشكل جاد في عهد الإمام صاحب المواهب محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم ومن خلفه من ائمة بيت

---

(٥) هدية الزمن ص ١١٠ .

(٦) اللطائف السنية (مخطوط) وقد حكى ذلك عنه المؤرخ فضل العبدلي في (هدية الزمن) ص (١٠٨) .

(٧) هدية الزمن ص ١١٥ .

القاسم ، وذلك عقب قيام التحالف بين سلطان يافع العليا صالح بن احمد بن علي هرهرة وسلطان يافع السفلى معوضة بن محمد بن عفيف اليافعي ، وانتصار السلطانين على قوات الإمام المذكور ، والاستقلال عنه بإمارتيهما ، ترسيخاً لاستقلالهما عن سلفه الإمام المؤيد الصغير محمد بن المتوكل اسماعيل بن القاسم سالف الذكر .

الأمر الذي شجع سائر سلاطين الجنوب والبيضاء على الإنضمام الى التحالف القائم بينهما حيث انضم اليه كل من سلطان البيضاء احمد بن علي الرصاص ، وسلطان العوالق صالح بن منصور العولقي ، وامير خرفة حالمين قاسم بن شعفل الحالمي ، ثم ولده احمد بن قاسم الحالمي وغيرهم حتى تكونت جبهة مقاومة ضمت سلاطين يافع العليا والسفلى والعوالق العليا والسفلى وحالمين والفضلي وغيرهم قاومت جيوش الإمام صاحب المواهب[٨] المذكور ومن خلفه من الأئمة .

واستمرّت المقاومة الى عام ١١٤٥ هـ حيث كانت إمارة لحج وعدن هي آخر ما انفصل عن دولة بيت القاسم ، أو بالأصح عن اليمن الأم في عهد المنصور حسين بن قاسم بن حسين ، وذلك أيضاً بفضل التحالف الذي قام بين السلطان فضل العبدلي وسلطان يافع السفلى قحطان بن معوضة بن محمد ابن عفيف .

ويبدو[٩] أنّ السلطان فضل بن علي بن فضل بن صالح بن سالم العبدلي

---

(٨) المواهب من بلاد عنس شرقي مدينة ذمار بعدة كيلومترات وقد اتخذها محمد بن احمد بن الحسن مركزاً لإقامته وعاصمة لدولته بعد ان انتقل اليها من مركز اقامته الأول مدينة الخضراء في بلاد رداع .

(٩) هدية الزمن الصفحات ١٠٩ ، و١٢٤ ، و١١١ ، وقد حوصرت مدينة إب في تلك الحرب التي ما يزال الآباء والأجداد يعرّفونها بحرب يافع ، إذ يظهر أن اليافعيين مدوا حربهم للإمام محمد بن احمد بن الحسن الى منطقة اب وغيرها ، ليصرفوه عن الدفاع عن بلاد حضرموت بها ، وقد قال شاعر يافع البكري بالمناسبة :

تعز خذناها وخذنا قعطبة ... واب والراحة ونجد الجاح
ويوم خذناها وخذنا ما بها ... وأنتم بها وامسى السمر فيها متاح

المذكور هو أول امير وسلطان على لحج ، لذى استيلائه على السلطة في لحج واعمالها من القائمين بها للأئمة (وكان مجرد شيخ على قبيلة العبادلة في المنطقة) وبفضل التحالف المذكور مدّ نفوذه على عدن بعد ان طرد منها القائمين بها كذلك للأئمة ايضاً وصار سلطاناً على لحج وعدن » .

أمّا حضرموت[١٠] فإنّ سلطانها بدر بن طويرق الكثيري كان قد استنجد بسلطان يافع العليا عمر بن صالح بن هرهرة اثناء تحالف سلاطين الجنوب آنف الذكر ، وبالتحديد في عام (١١١٦ هـ - ١٧٠٤م) وفي اثناء حكم الإمام صاحب المواهب ايضاً محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم وانجده السلطان صالح بجيش قوامه ستة آلاف مقاتل يافعي قاده بنفسه ، واستطاع ان يعيد السلطان بدر بن طويرق الكثيري الى الحكم ، وان يزيح عمر بن جعفر الكثيري الذي انتمى الى الإمام المذكور ، وأغتصب السلطة من ابن عمه بدر ابن طويرق المذكور ، ورجع سلطان يافع من حضرموت الى يافع في عام ١١١٩ هـ - ١٧٠٧ م[١١]

وأضاف في (تأريخ[١٢] عدن وجنوب الجزيرة العربية) حول الموضوع قوله : « وما زال بحضرموت أقوام من يافع تحت حكم سلاطين حضرموت الساحل (آل القعيطي) الذين يرجع نسبهم الى يافع » .

استعمار عدن وحماية الامارات في الجنوب

وقد استمرّت عدن وامارات الجنوب اليمني منفصلة عن دولة بيت القاسم في الشمال يحكمها أمراؤ ها وسلاطينها حتى احتل[١٣] الانكليز عدن في شهر يناير من عام (١٨٣٩ م) (١٢٥٥ هـ) .

وساندتهم[١٤] الدولة العثمانية على احتلال عدن بناء على فرمان صادر من الآستانة يسمح لهم باستخدام الأسطول البريطاني لميناء عدن ، كنوع من

---

(١٠) و(١١) المصدر السابق .

(١٢) الإستاذ حمزة لقمان في تاريخه المذكور ص ١٥٩ .

(١٣) و(١٤) الدكتور عثمان فاروق اباظة في (الحكم العثماني في اليمن) من ص ٤٠ .

المكافأة لبريطانيا على معاونتها للدولة العثمانية في وقف اطماع والي مصر الثائر محمد علي باشا في تكوين امبراطورية خاصة به في البلاد العربية على حساب الدولة العثمانية .

وفعلاً[١٥] تمت المعاونة من قبل بريطانيا لتركيا في اجلاء محمد علي عن اليمن وغيره وذلك في مؤتمر لندن الدولي المنعقد في عام (١٨٤٠ م) (١٢٥٦ هـ) ، بل وأخذت بريطانيا على عاتقها تنفيذ قرارات المؤتمر بالقوة ، مما اضطر محمد علي إلى الجلاء عن اليمن ، بعد ان قضت قواته على فلول الوهابيين تنفيذاً للمهمة التي حددتها له الدولة العثمانية ، والتي كان قد تجاوزها الى تحقيق حلمه في تكوين امبراطورية عربية له على حسابها .

وكان بسط نفوذه في مصر والسودان والحجاز واليمن قد هدد مصالح بريطانيا في الهند ، وحال دون حريتها في البحر الأحمر (الطريق البحري لسفنها الى ممتلكاتها في الهند) ، مما دفعها الى التفاوض مع تركيا على الحد من اطماع محمد علي في سبيل تمكينها من احتلال عدن كما عرفنا ، وباحتلال بريطانيا لعدن سنحت لها الفرصة للسيطرة على الجنوب عن طريق الحماية التي فرضتها على سلاطينه وامرائه في ثلاث مراحل :

هي مرحلة معاهدات الصداقة تعزيزاً لمعاهدات[١٦] التجارة التي كانت قد عقدتها مع بعضهم في خطواتها الأولى لاستعمارها فمعاهدات الحماية ، فمعاهدات الاستشارية التي تمكنت بها من ارسال مستشاريها ومعتمديها بموجبها الى السلطنات والإمارات للسيطرة عليها .

المرحلة الأولى من مراحل الاستعمار البريطاني في الجنوب

ومن[١٧] معاهدات الصداقة والسلام التي نفذت فيها بريطانيا المرحلة

---

(١٥) نفس المصدر ص ٤١ .

(١٦)هدية الزمن ص ١٣٦ .

(١٧) حمزة لقمان في تاريخه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) آنف الذكر من ص ٢٠١ .

الأولى من المراحل الثلاث المذكورة معاهدة الصداقة والسلام التي عقدتها في (٣١ يناير) من نفس العام الذي احتلت فيه عدن ١٨٣٩ م) وذلك مع شيخ قبيلة العزيني العبدلية .

ثم تلتها معاهدات الصداقة والسلام في شهر فبراير من نفس العام مع سلطان لحج محسن فضل بن محسن فضل ومع سلاطين وامراء أبين والصبيحة والحواشب والعقارب ويافع السفلى وشيخ الوهط العبدلية السيد محمد العيدروس . وفي ١٨ يونيو من نفس العام ايضاً وقعت بريطانيا معاهدة مع سلطان لحج حددت ممتلكات بريطانيا في عدن ، وإنّ ما عداها من المجداد (خور مكسر) الى لحج تابعة للسلطان .

كما نصت تلك المعاهدة على المرتبات الشهرية التي تدفعها بريطانيا لسلطان لحج وغيره من السلاطين الذين وقعوا معها معاهدات الصداقة والسلام بمبلغ (٥٤١) ريال شهرياً (ماريا تيريزا) لسلطان لحج ، ولسائر السلاطين رواتب مختلفة ، وقد حدث ان هاجم سلطان لحج محسن فضل عدن في نوفمبر (١٨٣٩ م) بالتعاون مع سلطان أبين احمد بن عبد الله الفضلي بخمسة آلاف مقاتل بهدف استعادة عدن من الإنكليز ، ولكن السلطانين فشلا في الاستيلاء عليها بسبب النيران التي واجهتهم من مدفعية الانكليز المركزة على السور (خندق جبل حديد) وبعد اصابة مائتي مقاتل من جنودهما بين قتيل وجريح .

ثم قطعت الحكومة الانكليزية المرتب الذي قررته لسلطان لحج ، وفرضت حصاراً طويلاً على الساحل الممتد في بلاد أبين ومنعت السفن من الدخول الى ميناء شقرة التابع لبلاد الفضلي في أبين .

وقد اعتذر السلطان محسن فضل بأنّ الخطأ من قبيلته في رسالة بعث بها للمستر هينس حاكم بريطانيا في عدن ومما قال له فيها : « لقد قذفتم التراب في عيوننا ، وبكلماتكم المعسولة وهداياكم أعميتم بصائرنا في الوقت الذي كنتم

فيـه تشيدون الحصـون لتهديمنـا » ، وزاد في كتاب (ملوك[١٨] شبـه الجـزيـرة العربية) للضابط البريطاني هارولدوف يعقوب ترجمة الأستاذ احمد المضـواحي قـوله : « أيهـا القائـد اعطف عـليّ لأنها غلطة قبيلتي ، سـامحني ، وارجـع لي معاشي » .

كما أضاف المصدر المذكور أنّ هجوماً ثانياً من سلطان لحج على عدن في محاولة لاسترجاعها من الانكليز تم في الحادي والعشرين من شهر مايو من عام (١٨٤٠ م) وهجوماً ثالثاً حدث من قبله على عدن عن طريق البحر بمساعدة سلطان أبـين وذلك في (١٥ يـوليو من نفس العـام لم يحقق أي منهـما الهـدف المتوخى من القيام بها) .

وقد اتبع الانكليز سياسة (فرق تسد) في سيطرتهم على سلاطين وامراء المحميـات طيلة استعمـارهم واخضـاعهم للجنـوب اشـــار الى ذلـك المؤرخ البريطاني آنف الذكر في كتابه المذكور (ملوك شبه الجزيرة العربية)[١٩] بقوله : « لقد نوقشت كل الطرق الحكيمة والأساليب الممكن اتباعها ، وكـان اكثرهـا ملاءمة للظروف نظرية « فرق تسد » ، لأن الإمكانيات الحربية كانت محدودة ، وقد شعر هينس بأن ليس له الخيار ، فالإمكانيات والامدادات العسكرية التي طلبها لمعاقبة لحج كانت تتأخر أو ترفض ، ولم يكن بدّ من اثارة القبائل ليقتتلوا فيما بينهم ويضرب بعضهم البعض الآخر » وأضاف الى ذلك قوله : « وقددافع هينس (الحاكم البريطاني في عدن) عن سلوكه هذا بقوله : « انني انظم الأمور وأقوم باعداد الترتيبات واجعل القبائل المعادية والمتاغبة تقاتل ضد قطاع الطرق بدون استدعاء الحراب البريطانية » ، والمال دون شك عصب الحروب ، وقـد تأكـد هينس من جاذبيته وقوة فعاليته ، وبعد اتحاد السلطان العبدلي والسلطان الفضلي على اقلاق حامية عدن خسرا ما كان يتقاضيانه من مرتبات ، وكان ذلك سبباً جوهرياً لتلاشي أهميتها ، واستطاع هينس أن يجعل قبيلة الفضلي مشتغلة

(١٨) ص ٤٤ .

(١٩) ص ٤٧ .

(بالدس والتآمر) مع جيرانهم قبائل العولقي واليافعي » .

حتى لقد عمق الإنكليز الخلاف الذي حدث في عام (١٨٤٦ م) بين امارتي لحج وأبين أو على الأقل حافظا على استمراره لصالحهم ، اكد ذلك المؤرخ البريطاني المذكور في تأريخه (ملوك شيبه الجزيرة العربية)[٢٠] بقوله : « ففي عام (١٨٤٦ م) ومع مرور سبع سنين من الخبرة في عدن وبعد أن أُهدِرت معظم التدابير والخطط التي ناضل من اجلها هينس كانت تلك الحكومة بعد كل ذلك مستعدة لقبول الخصام والإنشقاق والتنازع بين العبدلي والفضلي ، معللة هذا الاستحسان والقبول بقولها : (ومع أن الخسارة في الأرواح والحياة امر يؤسف له ، فإنه يجب ان تبقى الأحداث مستمرة ، ففي ذلك أمل بأنّ مثل هذا سوف يبرهن على مزايا الوجود البريطاني في عدن وعلى حسناته ، ومثل هذا يحصل اذا اتسعت شقة الخلاف بين القبائل المختصمة » .

وقد[٢١] انتهت تلك الخلافات بين حكومات بريطانيا في عدن وبين سلطنة لحج بمعاهدة الصداقة والسلام الأخيرة التي وقعت بين الجانبين في (٣١ اكتوبر من عام ١٨٤٩ م) وكانت أوسع في بنودها من المعاهدات التي سقبتها بينهما .

وفي عام[٢٢] (١٨٦٧ م) وقع الإنكليز مع سلطان أبين احمد بن عبد الله الفضلي على معاهدة صداقة وسلام بعد هجوم الإنكليز على بلاد أبين ومحاصرة ميناء شقرة فيها ، وبالسفن الحربية البريطانية وقصف حصونها بمدافعها .

وفي[٢٣] شهر ابريل من عام (١٨٦٩ م) (٢١ الحجة من عام ١٢٨٥ هـ) اشترى الانكليز بالقوة بعض اراضي العقارب ووقعوا مع شيخ العقارب عبد الله بن حيدرة بن مهدي أول معاهدة حماية وذلك بمقابل ثلاثين ألف ريال ماريا

---

(٢٠) ص ٤٧ .
(٢١) الإستاذ حمزة لقمان في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ٢٠٦ .
(٢٢) نفس المصدر ص ٢٣٠ .
(٢٣) تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية ص ٢٣١ .

تريزا ، ثم اكـدتها معـاهدة عـام ١٨٨٨ م بين الجـانبين بـاع شيخ العقـارب لبـريطانيـا أيضاً بمـوجبها الأرض الكـائنة بـين قريـة الحـوة وعـدن الصغـرى (البريقة) .

وفي عام (١٢٩٩ هـ) (١٨٨٢ م) اشترت حكومة عـدن من سلطان لحج فضل بن علي بن محسن العبدلي الشيخ عثـمان بمبلغ خمسـة وعشرين ألف ريال وبمقرر شهري قدرة الف ومائة ريال ، ووقعت المعاهدة الخاصة بذلك .

المرحلة الثانية من مراحل الاستعمار البريطاني في الجنوب

أمّا المرحلة الثانية من مراحل الاستعمار البريـطاني في الجنوب فهي كـما أشرت مرحلة (الحماية) التي فرضتها على سلاطـين وامراء الجنـوب لتشديـد قبضتها على الجنوب ، أشار الى ذلك الاستاذ قحطان محمد الشعبي في تـأريخه (الاستعمار[٢٤] البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن عدن والامارات) تحت عنـوان (وضـع الامـارات والسلطنـات والمشيخـات تحت الحمـايـة الاستعمارية) فقال : لم يكتف الانكليز باتفاقيات الصداقة الساذجة التي غرّر بها على رؤ ساء الجنوب بل كعادتهم دوماً أرادوا إيجاد مبرر آخر أقوى من معاهدة الصداقة والمودة لترسيخ المزيد من نفوذهم وسيـطرتهم ، وحتى يضمنوا بصفـة نهائية عدم اعطاء اية فرصة لتوحيد اجزاء اقليم اليمن شماله وجنوبـه . ولهذا ادخلوا ما اسموه بمعاهدات الحماية التي تخـدم في نفس الوقت المحـافظة عـلى واقع التجزئة في هذه المحافظة نفسها والمحافظة على حالة البؤس المشين حتى لا يقوى الشعب ويحاول طرد الاستعمار من المنطقة جميعهـا بما فيهـا عدن ، وفي نفس الوقت تضمن هذه المعاهدات الجديدة عدم ارتباط أي منـطقة من هـذه المناطق بأي دولة اخرى عربية كانت أو اجنبية أو حتى مجرد الاتصال بأي دولة بما في ذلك حكومة شمال اقليم اليمن ، » ثم أضاف الى ذلـك قولـه : « وقد استطاعت بريطانيا ان تفرض كل المعاهدات الباطلة المذكورة ادناه غير المتكافئة اذا صح ان نقول عليها تجوزاً معاهدات بـالخديعـة والمكر والـرشوة ومـرتبات

---

(٢٤) ص ٣٦ .

ضئيلة لأشخاص السلاطين والأمراء والمشايخ والعقال :

١٨ يونيو ١٨٣٩ م فرضت أول معاهدة مع سلطان لحج

٤ فبراير ١٨٤٠ م	معاهدة مع	شيخ العقارب
مايو ١٨٧١ م	معاهدة مع	بعض مشايخ الصبيحة
٢٣ ابريل ١٨٨٦ م	معاهدة مع	سلطان سقطرة (المهرة)
١٣ ابريل ١٨٨٨ م	معاهدة مع	سلطان بير علي (الواحدي)
٢٨ ابريل ١٨٨٨ م	معاهدة مع	شيخ حورة
١ مايو ١٨٨٨ م	معاهدة مع	سلطان القعيطي (حضرموت)
٢ يونيو ١٨٨٨ م	معاهدة مع	سلطان العوالق السفلى
١٥ يوليو ١٨٨٨ م	ملحق معاهدة	مع شيخ العقارب
٤ أغسطس ١٨٨٨ م	معاهدة مع	سلطان الفضلي
١٧ سبتمبر ١٨٨٩ م	مع	شيخ العاطفي (من الصبيحة)
٢٦ سبتمبر ١٨٨٩ م	معاهدة مع	شيخ البرهمي (من الصبيحة)
١٦ يوليو ١٨٩٥ م	معاهدة مع	شيخ العلوي
٦ أغسطس ١٨٩٧ م	معاهدة مع	شيخ المخدومي (من الصبيحة)
٧ يناير ١٩٠٢ م	معاهدة مع	شيخ عرقة
٧ ابريل ١٩٠٢ م	ملحق معاهدة مع	شيخ حورة
١١ مايو ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ ضبي (يافع العليا)
٣ يوليو ١٩٠٣ م	معاهدة	نقيب الموسطة (يافع العليا)
٢٧ أغسطس ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ المفلحي (يافع العليا)
٢٦ سبتمبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ الحضرمي (يافع العليا)
٢١ أكتوبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	سلطان يافع العليا
٢٨ ديسمبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ العوالق العليا
١٤ ديسمبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شيخ الصقالدة
٢٩ ديسمبر ١٩٠٣ م	معاهدة مع	شريف بيحان
١٨ مارس ١٩٠٤ م	معاهدة مع	سلطان العوالق العليا

٢٨ نوفمبر	١٩٠٤ م معاهدة مع	امير الضالع
٢٣ نوفمبر	١٩٠٥ م معاهدة مع	سلطان بالحاف الواحدي
	١٩١٢ م معاهدة مع	سلطان العواذل
	١٩١٢ م معاهدة مع	شيخ دثينة (الصبيحة)
	١٩١٤ م معاهدة مع	شيخ العلوي
يوليو	١٩١٤ م معاهدة مع	سلطان الحواشب
سبتمبر	١٩١٤ م معاهدة مع	شيخ قطيب
يونيو	١٩١٥ م معاهدة مع	سلطان الكثيري

ووضع[٢٥] المصدر المذكور بعد ذلك جدولاً بالمرتبات التي منحها الانكليز لسلاطين وامراء ومشايخ الجنوب وهي بين حد اعلى وقدره سنوياً ألفا روبية ومائة روبية ، وهذا القدر منحوه لسلطان لحج وحده ، وحد متوسط وهو يتراوح بين الألف وخمسمائة روبية ، والألف وأربعمائة روبية ، وقد منح القدر الأول لكل من سلطان يافع العليا وسلطان الحواشب ، ومنح القدر الثاني لسلطان يافع السفلى ، وحد اقل من المتوسط وهو يتراوح بين الثمانمائة والمائتي روبية وعشر روبيات سنوياً وحد ادنى لما هو أقل من ذلك وأقل منحة سنوية قدرها تسع روبيات .

كما وضع في نفس الجدول مقادير المرتبات الشهرية للسلاطين والأمراء والمشايخ في الجنوب في عهد الاستعمار الإنكليزي وهي تتراوح بين الأربعمائة روبية والتسع روبيات ، إلا سلطان لحج فإنّ مرتبه بحسب الجدول المذكور هو الف روبية واثنان وثمانون روبية شهرياً ، وبشكل عام فإنّ سلاطين لحج ويافع العليا والسفلى والعوالق العليا والسفلى وسلطان ابين وسلطان الحواشب وسلطان الضالع هم الذين كانوا يمنحون المقادير الوفيرة نسبياً بالمرتبات السنوية والشهرية ، وذلك لأهمية مناطق بعضهم ، وأهمية قبائلهم بالذات كمقاتلين

---

(٢٥) قحطان محمد الشعبي في (الاستعمار ومعركتنا العربية) ص ٤١ .

متمرسين ، ولقرب مناطق البعض الآخر من الشمال مملكة الإمام يحيى حميد الدين وولده الإمام احمد ووالده الإمام المنصور آنذاك .

المرحلة الثالثة من مراحل السيطرة البريطانية في الجنوب

وتحت عنوان (وضع الامارات والسلطنات والمشيخات تحت سيطرة الاستعمارالصريحة)اضاف المصدر كتاب (الاستعمار[٢٦] البريطاني ومعركتنا العربية في جنوب اليمن) اسلوب الانكليز لتشديد قبضتهم على عدن والجنوب اسماه بمعاهدات الاستشارة فقال : « وبموجب هذه المعاهدات الساذجة المفروضة التي كا نت عبارة عن مواد جديدة اضيفت الى معاهدات الحماية السابقة ، استطاعت بريطانيا ان تثبت نفوذها في الإمارات بشكل اقوى من ذي قبل ، وألزم كل سلطان وأمير وشيخ أن يقبل نصيحة الحاكم البريطاني في عدن ، أو المستشار البريطاني في المنطقة الذي يعينه ذلك الحاكم ، أو المعتمد البريطاني لدى رئيس كل منطقة من المناطق ، كما الزمت هذه المعاهدات ان يضع السلطان أو الأمير أو الشيخ نصيحة الحكومة البريطانية موضع التنفيذ دائماً وأبداً ، ثم عمت المعاهدات كل المناطق الواحدة بعد الأخرى وكان آخرها تلك التي وقعها السلطان علي عبدالكريمفضل سلطان لحج في عام (١٩٥٢ م) .

هذا ومن الملاحظ ان سلطنة لحج وسلطنة القعُيطي في حضرموت هما من أولى السلطنات والمشيخات ارتباطاً مع الانكليز ، لقرب سلطنة لحج من عدن وتعرضها لعدوانهم ، ووقوع سلطنة القعيطي على الساحل المعرض لبوارج الانكليز الحربية .

الاتحاد الفيدرالي في الجنوب

ولمّا تمّ لبريطانيا فرض سيطرتها الكاملة على الجنوب عن طريق مستشارين ومعتمدين في جميع مناطق الجنوب .

ولمّا كانت لا تطمئن الى بقاء نفوذها في الجنوب بعد قيام الحركات

(٢٦) من ص ٤٢ .

التحــررية في الــوطن العربي ، والتي ادت الى جــلاء البــريــطانيــين من مصــر والسـودان والعراق ، وامكان امتداد التحرر العربي الى جنوب اليمن ، رأت أن تسبق الأحداث وأن تحول دون قيام أي حركة وطنية في الجنوب وذلك بتنفيـذ مخططها الحديث في قالب اتحاد فيدرالي مزيف لما يسمى بالمحميات ، وفي قالب تطورات دستورية صورية لعدن والمحميات ولو كتخدير لشعب اليمن الجنوبي الى حين .

وخشية ان يتطوّر شمال اليمن فينقضّ على الحكم الإمامي المتحجر فيه ، ويجد الجنوب في ذلك منقذاً له وسنداً في نضاله فإن بريطانيا اسرعت الى تنفيذ مخـططها الجـديد (الاتحـاد الفيدرالي) وقـام حاكم عـدن السـير هيكنبـو تـوم باستدعاء سلاطين وامراء الجنوب ومشايخه اليه في عـام ١٩٥٤ م والقى فيهم خطاباً شرح لهم فيه ضرورة قيام الإتحاد ، وأخبرهـم في خطابه بأنه ومستشاريه قد وضعوا مسودة اسس الاتحاد المقترح ودستوره ومما جاء في خطابه قوله[٢٧] : « أما الشكل العام لإدارة الإتحاد المقترح فهو كـما يلي : « منـدوب سام يتمتـع بنفس السلطات التي يتمتـع بها الحـاكم العام ، ومجلس رؤ سـاء يضـم رؤ ساء البلاد الداخلية في الاتحاد ، ومجلس تنفيذي يتألف من اثنين من اعضاء مجلس الـرؤ ساء ، وعضـوين من المجلس التشـريعي ، والمستشـار المـالي والمستشـار القانوني تحت رئاسة المستشار العام ، وسيكون المستشار العـام اللقب الجديـد للمعتمد البريطاني ومجلس تشريعي يتألف من اعضاء يمثلون البلاد الداخلية في الاتحاد واعضاء يمثلون الادارة .

لا أريـد ان أشغلكم اليوم بكثـير من التفصيـلات ، إلا انـه ينبغي ان تعلموا ما هي اختصاصات المندوب السامي والمجالس ، فبالاختصـار سيكون المندوب السامي رئيساً للإتحاد ، وفي خدمتكم في كل حين كما هو الآن ، يقدم المعـونة والارشـاد ويكون مسؤ ولاً عن عـلاقاتكم الخـارجية وشؤ ون أمنكم ، واتخاذ الاجراءات اللازمة المناسبة في الطوارىء الخطيرة ، وأمّا مجلس الرؤ ساء

(٢٧) الاستاذ قحطان محمد الشعبي في المصدر آنف الذكر ص ١٣٥ .

فيكون المجلس الأعلى للإتحاد ، وسيعالج سياسة الاتحاد والمشاريع العامة ، كما انه سيكون الهيئة التي تقرّ القوانين .

وأمّا المجلس التنفيذي فيعالج شؤون الادارة اليومية ، ويتخذ جميع الاجراءات لضمان سير الاتحاد كما ينبغي ، وسيضطلع المجلس التشريعي بالمهام التي يدل عليها اسمه ، اي انه سيكون الجهة التي تدرس فيها التشريعات التي يقدمها المجلس التنفيذي ويناقشها بحرية تامة قبل الموافقة عليها .

وأضاف الحاكم العام لعدن في خطابه لسلاطين وامراءومشايخ المحميات قوله : « وبالاختصار فإن الاقتراح الذي اطلب منكم موافقتكم عليه مبدئياً فقط لا تفصيلياً هو كالآتي » الى آخر ما سرده من بعض التفاصيل والوارد نصه في المصدر المذكور .

ثم ترك المشروع مجمداً لمدة سنتين على اعتبار ان الاستعمار يتشاور بخصوصه مع الرؤساء حتى لا يقال انه فرض عليهم فرضاً وطبق على الفور .

وفي عام (١٩٥٦ م) عاد الاستعمار مرة اخرى بتقديم المشروع بعد ان قام ببعض التعديلات الشكلية له إلا انه وضع على الرف مرة اخرى حيث وقف الإستعمار يترقب الأحداث العربية العامة في اجزاء الوطن العربي ، وما سينتج عن هذه الأحداث لا سيما بعد العدوان الثلاثي الغاشم على مصر .

وفي[٢٨] أوائل فبراير من عام (١٩٥٩ م) اعلن الاستعمار البريطاني في عدن اقامة (اتحاد امارات الجنوب الغربية) ، وقد بدأ الاتحاد بست امارات ، ثم انضمت اليه بقية الامارات الواحدة بعد الأخرى ، ثم ابتدأ أخيراً يمتد الى ما يسمى بمحميات عدن الشرقية مبتدئاً بضم سلطنة الواحدي الى الإتحاد .

وكان الانكليز قد فرضوا على رؤساء الإمارات توقيع المعاهدة بين المملكة المتحدة (بريطانيا) والإتحاد الفيدرالي قبل توقيع الاتحاد نفسه لضمان

(٢٨) الاستعمار العربي ومعركتنا العربيةفي جنوب اليمن . ص ١٤٠ .

سيطرتهم على الاتحاد .

ثم اتبعوا المعاهدة بملحق لها ، ذكرت المعاهدة وملحقها في المصدر المذكور .

والهدف من المعاهدة وملحقها لا يعدو ان يكون تثبيتاً للإستعمار في المنطقة ، وفرض سيطرته على سياسة الاتحاد الداخلية والخارجية ، واتخاذ الجنوب منطقة الاتحاد قاعدة عسكرية له للحيلولة دون امتداد الحركة العربية الثورية الى المنطقة ، واستخدام اراضي الاتحاد لصالحه وصالح حليفاته ولو كانت اسرائيل .

ربط عدن بالاتحاد وبالمعاهدة التي عقدت بين المملكة المتحدة والاتحاد

ولكي يتم الاستعمار البريطاني في عدن والجنوب اليمني مؤامرته في ضمان سيطرته على المنطقة بكاملها بما يشبه بدولة قائمة بذاتها ذات مقومات اساسية بدأ يعمل على تكوين مجلس تشريعي لعدن المحتلة .

ثم كوّن لها وزارة شكلية تمهيداً لربطها بالإتحاد الفيدرالي .

وتنفيذاً لمخططه(٢٩) الذي يرمي الى قيام (دولة الجنوب العربي) المكونة من الاتحاد الفيدرالي الذي يضم المحميات الغربية والمحميات الشرقية (القعيطي والكثيري في حضرموت والواحدي ومهرة) ومن مدينة عدن ، بحيث ترتبط الدولة الصورية ارتباطاً كلياً بعجلة الاستعمار البريطاني ، بواسطة المعاهدة التي فرضت على الاتحاد الفيدرالي ، فقد بدأ من بداية عام ١٩٦١ م بتنفيذ مخططه لتكوين دولة الجنوب العربي ، ومهد لها بمباحثات طويلة بين وزير المستعمرات البريطاني الذي زار عدن في شهر ابريل من العام المذكور ، وبين وزراء عدن ورؤساء الإتحاد مع الحاكم العام في عدن أو ما سمي اخيراً بالمندوب السامي .

---

(٢٩) نفس المصدر ص ١٥٥

ويبدو ان اعلان قيام دولة الجنوب العربي لم يتم بسبب قيام الثورة اليمنية في الشمال ، وانطلاق شرارة الثورة في الجنوب . وقام[٣٠] الاستعمار البريطاني بالمقابل كمحاولة اخيرة فاشلة لتثبيت سيطرته على المنطقة وذلك[٣١] باصدار قانون (التعدين والمواطنة العدنية) والذي تكمن فيه محاولة الاستعمار مسخ عروبة عدن ، وخلق قومية اندماجية لتحل محل قومية عدن العربية الأصيلة ، إذ أنّ القانون اعطى حق المواطنة الشرعية لكل اجنبي عاش عشر سنوات في عدن ، ولكل من ينتمي الى الكومنولث البريطاني ويعيش في عدن ولو لمدة قصيرة ، وللرعايا البريطانيين الذين ولد آباؤهم في عدن وحتى وان لم يولدوا هم فيها .

وباصدار قانون التحكيم بين العمال واصحاب العمل ، والذي يمنع العمال من اللجوء الى الطرق المشروعة في قانون العمل الدولي في نيل حقوقهم ومنع عليهم الاضراب وكل مظاهر الاحتجاج والمطالبة .

كما قام بقمع كل الحركات التحررية والانتفاضات القبلية في مهدها ، ولكنها جميعها باءت بالفشل وانتصر الحق واستقل جنوب اليمن الحبيب ، واقام دولته المستقلة على ارضه ، وإننا لننتظر اليوم الذي يتحد اليمن شماله وجنوبه بإذن الله ، وقد قامت الحركة الوطنية في الجنوب على النحو الآتي :

الحركة الوطنية في الجنوب

بدأت الحركة الوطنية في عدن وفي ظل الاستعمار البريطاني بتكوين عدة احزاب وهيئات سياسية مختلفة في الأسلوب والمنهج وان لم تختلف في الهدف وكان ينقصها مع ذلك التنسيق بينها والتخطيط السليم لعملها ، ولقد بلغت[٣١] الأحزاب والهيئات السياسية المعترف بها في عدن وحدها اكثر من خمسة عشر حزباً وهيئة سياسية ، تنافرت فيما بينها ، وكل حزب وهيئة منها يدعي انه وحده الممثل للشعب .

---

(٣٠) نفس المصدر ص ١٧٢ .
(٣١) نفس المصدر ص ٢١٧ .

ومن خلال[٣٢] التجربة الوطنية المتعثرة كان يظهر بين الحين والآخر انه لا يمكن لحزب او فئة من الأحزاب أو الفئات الـوطنية مهـا كا نت مخلصـة أن تـرتفع وحـدها بمستـوى الحركـة الوطنيـة الى مستوى المعـركة مـع الاستعمـار والرجعية ، ولذلك وتحت الحاح الجماهير قامت عدة محاولات لتكوين جميعات وتكتلات تضم الفئات الوطنية المخلصة في تجمع واحد ، فتكوّن في عام ١٩٥٦ م المؤتمر الوطني ، ثم تكوّن في عام ١٩٥٨ م الاتحاد الشعبي ، وفي عام ١٩٥٩ م تكون الاتحاد القومي ، ثم التجمع القـومي في عام ١٩٦٠ م ، وفي عـام ١٩٦١م تكوّن تجمـع الهيئـات الـوطنيـة الشعبيـة ، ولكنـه كـان مصـير تلك التجمعات الى الفشل ، بسبب تنافسها فيما بينها ، وعادت الحركة الوطنية الى الركود من جديد .

وكان الشعب[٣٣] في الجنوب اليمني يـأمل في (تجمـع الهيئات الـوطنية الشعبيـة) ان ينجـح في قيـادة النضـال الـوطني في الجنـوب ضـد الاستعمـار البريطاني ، ولكنه للأسف لم يستطع ان يوفر لنفسه عنصـر الاستمرار والـدفع الثوري .

محاولات اخرى للدفع بالنضال الثوري في المنطقة

وعقب[٣٤] قيام اتحاد الـدول العربيـة بين الجمهـورية العـربية المتحـدة (مصـر) والمملكة المتـوكليـة اليمنيـة في ١٧ ديسمبـر عـام ١٩٦١ م وجـدت الأطراف الوطنية في شمال وجنوب اليمن التي كانت متواجدة في عـدن نفسها وجهاً لوجه أمام هذه الخطوة التي لا بد ان تعكس نفسها على الأوضاع في اليمن شمالاً وجنوباً ، وربما تساعد على تطوير الحركة الوطنية في الشمال والجنوب ، فهبت هـذه الأطراف الـوطنية تحـاول مجدداً ان تـرتفع بمستـواهـا الى مستـوى الأحداث ، وبرز موضوع التكتل الوطني في المنطقة من جديد .

وتكوّنت في القاهرة لجنة يناير ١٩٦٢ م من احرار الشمال الذين يمثلهم

(٣٢) و(٣٣) نفس المصدر ص ٢٢٨ .
(٣٤) نفس المصدر أيضاً ص ٢٤٦ .

الاتحاد اليمني ، ومن عدد من احرار الجنوب لدراسة ما استجدّ في القضية اليمنية شمالاً وجنوباً ، وقررت ضرورة وحدة الصف الوطني في الشطرين ، والعمل على توجيه دعوة الفئات الوطنية في المنطقة لعقد مؤتمر وطني ينبثق عنه تجمع قومي يضع الأسس لنضال وطني فعال ضد الإمامة في الشمال والاستعمار في الجنوب .

ولكن توجيه الدعوة تأجل حتى يتم أولاً حل مشاكل الاتحاد الداخلية في القاهرة وعدن .

النضال المسلح في الجنوب

وازاء فشل كل المحاولات لطرد الاستعمار البريطاني من الجنوب خلال النضال السلمي ، أيقنت[٣٥] العناصر الوطنية فيه أنّ النضال المسلح الذي انتهجته حركة القوميين العرب في الوطن العربي هو السبيل الوحيد لاستقلال الجنوب ، ومع ذلك فلم يبدأ نضال مسلح فعال في الجنوب حتى وجد الدعم له من الشمال بعد ثورة السادس والعشرين من سبتمبر عا م ١٩٦٢ م .

وكانت أول شرارة للثورة في الجنوب من ردفان في بلاد الضالع في الرابع عشر من اكتوبر عام ١٩٦٣م .

وكان في مايو من نفس العام قد تمّ تشكيل الجبهة القومية في صنعاء لتحرير الجنوب اليمني ، وعلى أساس الأخذ بالكفاح المسلح أسلوباً لطرد المستعمرين الانكليز ، واعتبار الصدام المسلح الذي كان قد بدأ بين القبائل والانكليز في ردفان بداية انطلاق ثورة ١٤ أكتوبر .

وساند الرئيس جمال عبد الناصر النضال المسلح في الجنوب عن طريق قواته في الشمال ، وذلك بتقديم الأسلحة كما كان المجندون للعمل الفدائي والعسكري في الجنوب يرسلون للتدريب في معسكرات الجبهة في تعز وفي

---

(٣٥) الإستاذ سلطان عبد ناجي في (التأريخ العسكري لليمن) ص ٢٦٥ .

صنعاء ، على مختلف الأسلحة والعمل الفدائي .

ولعبت نقابات العمال في الجنوب ادواراً هامة في النضال الوطني .

كما اضطلعت منظمات جماهيرية اخرى في الجنوب ادواراً مختلفة في النضال الوطني يتناسب مع طبيعة كل فئة ، ومنها اتحاد الطلبة واتحاد المرأة ، اذ كانت المرأة تقوم بتوزيع المنشورات ونقل الرسائل والتعميمات في الداخل والاشتراك في المظاهرات وتزويد المقاتلين في الريف بالزاد ، وكذلك الحركة الرياضية ، وكان اتحاد الطلاب يقوم بالإضراب عن الدراسة ومناهضة السياسة التعليمية الاستعمارية .

وفي منتصف عام ١٩٦٤ م تم نقل العمل الفدائي الى عدن .

وأضاف المصدر[٣٦] الى ذلك قوله : « ويمكن القول ان الكفاح المسلح في هذه الفترة تميّز بظروف الغمل السري ، وكان نجاح وثبات العمل الفدائي وتطوره يمهد للانتقال الى المجابهة المباشرة لقوات الاحتلال ، لكن الظروف التي نجمت عن قيام جبهة التحرير في بداية ١٩٦٦ م اعاقت لفترة تحول العمل الفدائي الى مجابهة مباشرة مع العدو الاستعماري ، (وكان الغرض من تكوين جبهة تحرير الجنوب في التأريخ المذكور هو تكوين جبهة واحدة للجنوب ، تشمل كل العناصر الوطنية لمواجهة الاستعمار البريطاني ، ولكن الجبهة القومية فضلت عدم الانضمام الى جبهة التحرير الموحدة ، والانفراد بالعمل الفدائي وا لمقاومة ، وتمّ لها الانفراد باستلام الاستقلال كما سيأتي) .

ثم شرح المصدر[٣٧] المذكور سير الكفاح المسلح من أواخر عام ١٩٦٦ وبداية ١٩٦٧ م ، والذي تحوّل من العمل السري الى المباشر المكشوف فقال : « ومن أعنف المعارك العسكرية التي وقعت كانت المعركة المكشوفة والمباشرة في الشوارع بين فدائيينا والقوات الانكليزية خلال قدوم بعثة الأمم المتحدة لتقصي

---

(٣٦) التاريخ العسكري لليمن ص (٢٦٩) .

(٣٧) و(٣٨) و(٣٩) نفس المصدر الصفحات (٢٦٩) و(٢٧٠) و(٢٧٣) .

الـوضع في المنـطقة في ابـريل ١٩٦٧ م ، فقـد استمرت المعـارك في الشوارع والأحياء طوال الأيام التي بقيت فيها اللجنة في عدن ، وبشكل متواصل ، وكان سـلاحنا في هـذه المعارك السـلاح الخفيف من الرشـاشات والقنـابل ومـدافع البازوكا ، بينما استخدمت القـوات البريـطانية الـطائرات والـدبابـات وقوات المشاة ، فقد تحولت عدن بالفعل الى ساحة معركة دموية بـين الثوار والقـوات الاستعمارية .

تلك هي ابرز العمليات في حياة الثورة وتجربة المدن ، ويمكن القول أنّ هـذه التجربـة قد تـوجت باحتـلال كريـتر في ٢٠ يونيـو ١٩٦٧ م لأكـثر من اسبوعين ، وكان ذلك نقطة تحول في الكفاح المسلح وتعبئة الجماهير لإسقـاط المناطق الواحدة تلو الأخرى من أيدي السلاطين والمستعمرين .

وأضاف[٣٨] أيضاً قائلاً : « ولقد لجأت بريطانيا في الأخير الى استجلاب قوات الكرماندوز الخاصة لإستعادة السيطرة على المدينة ، ودخلت المدينـة من الطريق البحرية ، وحدثت معارك اثناء الدخول ، وقد كانت القوات البريطانية تضع العلم البريطاني في كل شارع تحتله ، طبيعي كانت قواته تفوق قواتنا ، ولم يكن في مخططنا الاستمرار في السيطرة على المدينة ، لأننا حققنا النصر السياسي الذي نريده » .

ولقـد استقل الجنـوب اليمني عن الاستعمار البـريطاني في الثـلاثين من نوفمبر من عام ١٩٦٧ م .

ثم وضع المصدر[٣٩] جدولاً يبين تـواريخ سقـوط الولايـات والامارات وهروب أسرها في الجنوب الحاكمة ، ونذكر أنّ معـظم الوزراء الاتحـاديين من سلاطين ومشايخ كانوا خارج عدن وقتذاك ، وأن بعض الأسر الحاكمة هربت من مناطقها قبل سقوطها بيد الجبهة القومية ، والجدول المذكور هو الآتي :

---

(٣٨) التأريخ العسكري لليمن ص ٢٧٠ .

(٣٩) التأريخ العسكري لليمن ص ٢٧٣ .

المنطقة	التاريخ	ملاحظات
الضالع	١٩٦٧/٧/٢٨ م	هرب الأمير شعفل
المفلحي	١٩٦٧/٨/١٢ م	اعتقل شيخها
لحج	١٩٦٧/٨/١٣ م	هربت الأسرة الحاكمة
دثينة	١٩٦٧/٨/١٣ م	هرب شيخها
العواذل	١٩٦٧/٨/٢٧ م	هربت الأسرة الحاكمة
الفضلي	١٩٦٧/٨/٢٨ م	هربت الأسرة الحاكمة
يافع العليا	١٩٦٧/٨/٢٨ م	اعتقل السلطان محمد بن عيدروس وعدد من الأسرة الحاكمة
يافع السفلى	١٩٦٧/٩/٢ م	اعتقل بعض مشايخها
العوالق السفلى	١٩٦٧/٩/٢ م	اعتقل الشيخ وأسرته
مشيخة العقربي	١٩٦٧/٩/٩ م	هرب النائب واعتقل آخرون
القعيطي	١٩٦٧/٩/١٦ م	منع السلطان من العودة
بيحان	١٩٦٧/٩/١٨ م	هرب الشريف حسين وأسرته
الكثيري	١٩٦٧/١٠/٢ م	هرب السلطان وأعوانه
المهري	١٩٦٧/١٠/١٤ م	اعتقل السلطان وأعوانه
مشيخة العوالق	١٩٦٧/١٠/٢٧ م	هربت الأسرة الحاكمة
العوالق العليا	١٩٦٧/١٠/٢٩ م	هربت الأسرة الحاكمة
سقطرة	١٩٦٧/١١/٣٠ م	سبق ان اعتقل سلطانها في المهرة .

هذا وقبل ان اختتم هذا البحث عن جنوب يمننا الحبيب يجدر ان اضع لمحة جغرافيـة واجتماعيـة وثقافيـة عنه ، مـع ذكر اهم معـالم عدن العـاصمة التأريخية للجنوب ، وعاصمة جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حالياً مستنداً الى احد ابناء الجنوب الأستاذ حمزة لقمان في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) .

التعـريف الجغـرافي والتقسيم الاداري والسيـاسي للجنـوب قبـل الإستقلال

يتكون(٤٠) الجنوب اليمني الـذي كان يـرزح تحت النفوذ البـريطاني من مساحة تقدر بحوالي مائة واثني عشر ألف ميل مـربع ، ويتكـون شاطئها حوالي ستمائة ميل ، من حدود سلطنة مسقط وعُمان حتى حصن مراد عند باب المندب .

وكان التقسيم السياسي لمناطق الجنوب هو كالآتي :

(١) مستعمرة عدن ، وتضم الشيخ عثمان والتواهي والمعلا وعدن الصغرى (البريقة) ومدينة عدن وعدداً من القرى .

(٢) محمية عدن الغربية ، وتشتمل على سلطنات وامارات ومشيخات يافع والعوالق والعبادل والصبيحة والعقارب والضالع والشعيب والحواشب والفضلي والعواذل وبيحان ودثينة ، وتقدر مساحة هذه المناطق بحوالي اربعين ألف ميل مربع .

(٣) محمية عدن الشرقية ، وتتكون من سلطنة حضرموت الساحل (القعيطي) ، وسلطنة حضرموت الداخل (الكثيري) وسلطنة بير علي (الواحدي) وسلطنة قشن وسقطرة (المهرة) ومشيخة عرقة وجورة ، وتقدر مساحة هذه المنطقة بحوالي اثنين وسبعين ألف ميل مربع .

وفيما يلي وصف للقبائل التي تعيش في هذه المناطق :

(يافع) : تقع في الشمال الشرقي لمدينة عدن ، وتمتدّ بين الضالع في الغرب والعواذل في الشرق والفضلي في الجنوب ، وقدر المصدر السكان في بلاد يافع العليا والسفلى بحوالي مائة واربعين ألف نفس .

وتنقسم يافع الى ناحيتين هما :

---

(٤٠) المصدر المذكور حمزة لقمان في (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ٣٠٧ .

(**يافع العليا**) : وتشتمل على قبائل الموسطة والظبي والمفلحي وفخائذهم ، وكانوا يدينون بالطاعة لآل هرهرة الذين يقيمون في المحجبة في الموسطة ، وأرضها زراعية تنتج الحبوب والفواكه والبن وغيرها .

(**يافع السفلى**) : وتشتمل قبائل آل سعد وآل كلد والناخبي واليزيدي وغيرهم ، وهي أرض جبلية ذات تربة خصبة تنمو فيها اشجار البن والفواكه والحبوب ، والأهالي كانوا يدينونبالطاعة لآل عفيف ، وعاصمتهم القارة التي تقع في قمة هضبة مرتفعة .

(**العوالق**) وتقع شرق الفضلي والعواذل ويحدها جنوباً بحر العرب وشمالاً بيحان ، وسلطنة الواحدي شرقاً ، وتنقسم أرض العوالق الى ناحيتين :

(**العوالق العليا**) وهي منطقة جبلية وسهول فسيحة ذات تربة خصبة ، وأهم قراها نصاب العاصمة ، ويشبم والصعيد والمصينعة وخدرة ، وأهم أوديتها وادي يشبم الذي يمر بمدينة حبان في سلطنة الواحدي .

(**العوالق السفلى**) : وتقع على مقربة من الساحل ، وعاصمتها احور التي ترسو السفن الشراعية على مرساها الصغير ، ومن قراها الهامة المحفد التي تعتبر السوق الرئيسية لقبائل آل باكلزم ، وأهم أوديتها وادي ضيقة الطويل ، ووادى المحفد ووادي المنقعة .

(**العبادل**) : تقع أرض العبادل أو سلطنة لحج في الشمال الغربي لمدينة الشيخ عثمان ، ويحدها غرباً منطقة الصبيحة وشرقاً منطقة الفضلي ، وعاصمتها الحوطة وهي تشمل حياة المدنية الحديثة وحياة البداوة التقليدية ، وأرض العبادل خصبة التربة تنتج انواعاً كثيرة من الفواكه والحبوب والقطن بفضل واديها المعروف (تبن) الذي ينحدر ماؤه من جبال الشمال في أواخر فصل الأمطار ، ويتفرع هذا الوادي الى فرعين : الوادي الكبير الذي يسير بمحاذاة بساتين الحسيني الخضراء ويتجه جنوباً ، والوادي الصغير الذي يتجه شرقاً ماراً بقرية الثعلب ، وأهم قرى العبادل : « المجحفة والحمراء والمقيبرة

والحداد وصبر وحلاحل والشقعة والرعارع ، أمّا قرية الوهط فتعتبر الثانية في الأهمية بعد الحوطة وقد اشتهرت بالعلماء والقضاة ، وأهم قبائل لحج العزيبة والأسلوم (اللتين منهما سلاطين لحج آنذاك) والبان والمناصرة والأصابح وغيرهم .

(**الصبيحة**) : وتقع بجوار ارض العبادل ، وتمتد على الساحل من باب المندب حتى رأس عمران ، وقدر المصدر سكانها بحوالي عشرين ألف نسمة ، وأهم قراها طور الباحة والرجاع ودار القديمي ، واشتهرت بالنخل والتربة الخصبة وغيول الماء ، وكانت قد انضمت الى سلطنة لحج ، والصبيحة ينتمون الى الحميريين .

(**العقارب**) : هم بنو عقارب بن ربيعة بن سعد بن خولان بن الحاف ابن قضاعة بن مالك بن حمير ، عدد السكان كان لا يتعدى ثلاثة آلاف نفس ، وتمتد ارض العقارب على بعد ستة أميال من الشيخ عثمان من البقعة التي تقع فيها قرية بير احمدحتى رأس عمران من ناحية البر ، ومن مقربة من قرية الحسوة الى مقربة من قرية فقم من ناحية الساحل ، وكانت أرض العقارب تشمل بير احمد العاصمة والحسوة و جبل احسان والبريقة والغدير وفقم ، وقد بنيت عاصمة (الاتحاد الفيدرالي) في ارض العقارب بالقرب من الطريق المؤدية الى عدن الصغرى ، وسميت بمدينة الإتحاد .

(**الضالع**) : امارة الضالع او المنطقة الأميرية تقع شمال عدن ، والعاصمة هي مدينة الضالع ، وعلى مقربة منها يربض جبل جحاف الذي يرتفع عن سطح البحر بثمانية آلاف قدم وبه نحو اربعين قرية صغيرة ، وأرض الأميري خصبة تنتج الذرة وبعض الفاكهة .

(**الحواشب**) : تقع شمال سلطنة لحج ، وعاصمتها المسيمير ، وقدر المصدر سكانها بحوالي عشرة آلاف نفس ، وتشرف العاصمة على الجانب الأيسر لوادي تبن ، وتزرع على حوافيه الذرة وبعض انواع الحبوب الأخرى .

(**الفضلي**) : تنقسم بلاد الفضلي الى ناحيتين : منطقة الساحل التي

تمتد حوالي مائة ميل من حدود العبادل حتى حدود العوالق السفلى ، والمنطقة الداخلية الجبلية وعرفت بلاد الفضلي بساحل أبين الشهير في تأريخ جنوب الجزيرة العربية ، وعاصمة الفضلي هي شقرة مقر سلاطين البلاد ، وهي تقع على الساحل ، ومن أهم قرى الفضلي زنجبار التي تطورت مع الزمن فصارت مركزاً للحكومة، فاقيمت فيها العمارات الحديثة وشقت اليها الطرق المعبدة وأنيرت بالكهرباء ، والأرض حول زنجبار حتى مسافات بعيدة خصبة تنتج كميات وافرة من الفواكه والخضروات والقطن والحبوب بفضل وادي بنا الذي يلتقي ماؤ ه من الجبال في الشمال .

(**العواذل**) : تقع بين سلطنة الفضلي جنوباً وسلطنة العوالق شرقاً ، وسلطنة يافع غرباً ، واشتهرت ارض العواذل بجبل الطاهر الذي يبلغ ارتفاعه ٨٠٠٠ قدم عن سطح البحر ، وتربض فوقه القرية الصيفية الجميلة (مكيراس) التي تقع على بعد يسير منها قرية العادية التي بنيت فوق اطلال مدينة قديمة ما زالت آثارها باقية الى اليوم ، ومن قراها : عريب ذات الجو المعتدل في الصيف ، وارض العواذل تنتج الفواكه والبطاطس والبصل والحبوب والخضروات ، وتعتمد كثيراً على وادي العجمة .

(**بيحان**) : تقع شمال العوالق وغرب حضرموت وشرق اليمن (الشمال) ؛ عاصمتها بيحان ، وفي الشمال الشرقي يمتد الربع الخالي برماله الكثيفة ، وفي الشمال الغربي تقع مدينة مأرب التي اشتهرت في التأريخ بسد مأرب الذي بناه السبئيون وقد كانت منطقة بيحان مهداً لحضارة زاهرة قامت جنباً الى جنب مع مدنيات سبأ وحمير وحضرموت ، واشتهرت بالدولة القتبانية ، وعاصمتها القديمة (تمنا) أو (تمنع) ، وما زالت تستخرج من جبل نقوب كثير من الآثار الدالة على ما كانت تتمتع به من حياة راقية وكان أهل بيحان يدينون بالطاعة للأشراف آل الهبيلي .

وقبائل بيحان هي : بالحارث ومصعبين والأخيرة تتكون من ثلاثة فروع هي : آل حميد وآل نعيم وآل العريف ، وأهم قرى ومناطق بيحان هي القصاب وعين والحجب وخر وموقس وا لنحر والحرجة وعسيلان .

(دثينة) : تقع بين العواذل والعوالق ، وتختلف عن بقية السلطنات والامارات والمشيخات في أنّ نظام الحكم فيها شبه جمهوري يتكون من مجموعة من الرجال ذوي الرأي الصائب ، وهي ارض زراعية ذات تربة خصبة ، وقبائلها : السعيدي والميسري والحسني ، وأهم قراها : الخديرة والجبلة والقليتة .

(الواحدي) : تقع على بعد مائتي ميل شرق وغرب حضرموت ، وعاصمتهاحبان التي تعتبر من المراكز التجارية الهامة وتقع بئر علي على الساحل وهي مرسى للسفن الشراعية ، والى غربها تقع بالحاف ، والى شرقها المجدحة . وأهم قبائل الواحدي : آل السود وآل باعوضة وآل العظم وآل باخرخور وآل سليمان وآل حبتور وآل عمر بن علي وآل باديان ، وأهم قراها : الروضة والحوطة ولهية وجول الشيخ ورضوم ويبعث وجردان ، والأرض زراعية تسقيها مياه الأمطار والعيون في أودية حبان وحردان ورضوم والحوري وعين بامعبد ، وتنتج التَّمْر والحبوب والعسل ، والى جانب اهتمامهم بالزراعة فإنّ أهل الواحدي يعملون بالتجارة وصناعة النسيج .

(المهرة): تقع على الساحل الشرقي ويحدها غرباً حضرموت وشرقاً سلطنة مسقط وعمان ، وجنوباً بحر العرب ، وشمالاً المناهيل التابعة لحضرموت ، وعاصمتها قشن الواقعة على الساحل ، ومن أهم مدنها سيحوت والغيضة ،

أمّا السلطان فيقيم في جزيرة سقطرة ، وينوب عنه في قشن احد اقاربه .

وقبائل المهرة يتفاهمون بلغة خاصة بهم يعتقد بأنّ لها علاقة باللغة الحميرية القديمة ، وهم يعتمدون على تربية الماشية .

(حضرموت) : تقع على ساحل البحر العربي شرقي عدن واليمن (الشمال) ودول الجنوب ، وعلى بعد ١٥ درجة عرضاً شمال خط الاستواء ، و٥٠ درجة طولاً شرقي غرينتش ، ويحدها شرقاً سيحوت وسلطنة قشن وغرباً بئر علي وبالحاف وشمالاً الربع الخالي وجنوباً بحر العرب .

وتنقسم حضرموت الى سلطنتين رئيسيتين هما : حضرموت الساحل وحضرموت الداخل .

حضرموت الساحل وتدين بالطاعة لسلاطين آل القعيطي وتتفرع الى ستة ألوية هي : لواء عرمة ولواء المكلا ولواء الشحر ولواء حجر ولواء دوعن ولواء شبام ، والعاصمة هي المكلا الواقعة على الساحل .

(**حضرموت الداخل**) : وكانت تدين بالطاعة لسلاطين آل الكثيري وتقع بين تريم شرقا الى الحزم شرقي شبام غربا ، وتمتد من تريم شمالاً الى حصن الضبيعة ، وأهم مدنها وقراها : سيئون العاصمة وتريم ومريمة وتريس والغرفة والحوطة وغيل عمر وغيل بن يمين ، والحضارمة أهل فكر وتدبير ومغامرة ، اشتهروا بالتجارة والهجرة الى خارج البلاد ، وكان لهم الفضل في نشر الإسلام في كثير من بلدان الشرق الأقصى حيث اسسوا جاليات كثيرة محترمة ، والحضرمي فخور ببلاده وبقومه ، ومهما غاب عن وطنه فإنه يحنّ الى بلاد الأجداد ويتمسك باللهجة الحضرمية في حديثه ، وليست الحضارة جديدة على الحضارمة ، فإن حضرموت كانت مهداً لحضارة مجيدة ما زالت آثارها تستكشف ، وتكشف عن مدنية عظيمة وفن معماري راقٍ .

ويتكون معظم القسم الداخلي لحضرموت من أودية فسيحة أهمها حضرموت حيث تقع المزارع الواسعة التي تنتج القمح في الشتاء والذرة في الصيف ، ومن أودية حضرموت : وادي دوعن ووادي هينن ووادي عمد ووادي دهر ووادي عرمة ووادي ابن علي ووادي العين ووادي حجر

وأهم ما يزرع في الساحل الحبوب على اختلاف أنواعها والخضراوات والفواكه ، وتحتل النخيل مساحات واسعة من هذه الأراضي كما يزرع التمباك في بعض المناطق وبالأخص في غيل باوزير .

معالم عدن

تقع[٤١] شبه جزيرة عدن في خط العرض (١٢ درجة و٤٧ بوصة

---

(٤١) المصدر آنف الذكر (حمزة لقمان) في كتابه (تأريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية) ص ٢٥٣ .

شمالاً ، وخط الطول ٤٥ درجة و١٠ بوصات شرقاً ، وتتألف من فوهة بركان خامد أعلى قمة فيه هي قمة جبل شمسان التي ترتفع ١٧٧٥ قدماً عن سطح البحر . وأنواع الصخور في جبال عدن متعددة ومتنوعة .

وجبال عدن هي : جبل الخضراء المعروف الآن باسم (جبل البنديرة) ،وجبل صيرة القائم في البحر ويتصل بالساحل بواسطة ممر طويل في وسطه جسر يمر منه ماء البحر ، جبل المنظر المواجه لجبل صيرة ، جبل ضراس المعروف الآن باسم جبل أبو الوادي ، جبل العز المعروف حالياً باسم جبل شمسان ، ويمتد من حقات حتى الخساف ، جبل التعكر الذي سمي بسلسلة المنصوري ثم سمي باسم جبل حديد حالياً ، جبل حقات ، وجبل احسان وجبل الفراشين ، وجبل فقم ، وجبل التوبة ، وجبل جزيرة العبيد ، والجبل الأحمر وجبل السائح وجبل العين ، وجبل الطويلة .

وجبال عدن هذه تتوجها قلاع منيعة ، وتمتد فيها اسوار حصينة يعود تأريخ بعضها الى أيام حمير .

وفي عهد بني ايوب أقام النائب عثمان بن علي الزنجبيلي أسواراً حول عدن ، فبدأ سوراً من جبل المنظر الى آخر جبل العز ، وركب عليه باب حقات ، وادار سوراً على جبل الخضراء وابتدأ به من حصن الخضراء الى حصن التعكر ، على رؤوس الجبال ، وأدار سوراً ثالثاً على الساحل من سفح جبل الخضراء الى جبل حقات وركب فيه ستة أبواب .

وبعد ان استتب الأمر للانكليز وجه الكابتن حاكم عدن هينس جهوده نحو مهادنة القبائل حتى يتم له تحصين جبال عدن وترميم القلاع المتهدمة ، فكلف احد ضباطه وهو المهندس جون وسترن بالقيام بالتحصينات اللازمة ، ونجح وسترن في ترميم وتدعيم السور الغربي المعروف باسم درب الحوش أو درب الحريبي الكائن فوق باب عدن الى يسار الداخل الى الباب ، ثم قام بتركيز طابية كبيرة فوق درب الحريبي موجهاً فوهاتها نحو البر ، وبعد الانتهاء من هذا الدرب رمم السور التركي القديم حيث يقع الخندق وحصن القلاع في

قمم الجبال ، والخندق الطويل يفصله جزء من جبل حديد الى قسمين يربطهما (نفق البغدة) .

(**نفق البغدة**) : وهذا النفق المحفور في بطن الجبل ينقسم الى قسمين وطوله حوالي (١٠٥٠ قدم) وكان الخندق محصناً باضخم المدافع المعروفة في تلك الأيام ، وفي بطنه سرداب طويل واسع وغرف عديدة يمكنها أن تضم آلاف الجنود ، وكميات وافرة من السلاح والذخيرة ، وفوق جبل التعكر ركزت المدافع الكبيرة المطلة على الخندق .

وفي سنة ١٨٦٧ م بنى الانكليز الفنار (منارة السراج) في الجانب المشرف على خليج عدن من جبل الخضراء ، وتسمى هذه الناحية من الجبل برأس معاشيق ، وكانت العادة قد جرت حتى الحرب العظمى الثانية على رفع راية كلما رأى الفنار سفينة مقبلة الى الميناء ، ولهذا السبب سمي جبل الخضراء جبل البنديرة .

وهذه الجبال تشرف على سواحل حقات وصيرة وأبين وجحيف وجولدمور وأبو الوادي وغيرها .

ولقد[٤٢] ذكر عدن المؤرخ الهمداني باب عدن وقال ان عدن أقدم أسواق العرب ، وهو ساحل محاط بسلسلة من الجبال لا يمكن لأحد ان يدخل المدينة إلا اذا تسلق جبل التعكر الذي يفصل المدينة عن البر ، فدعت الضرورة الى القيام بقطع الصخر الأصم في أوطأ جزء من الجبل وأحدثوا به ثقباً بالمطارق الحديدية والأزاميل ، وجعلوا فيه باباً اطلقت عليه عدة أسماء في عهود مختلفة منها : باب البر ، وباب اليمن ، وباب عدن » .

وحينما احتل العثمانيون اليمن وعدن وسعوا الثقب وأقاموا فيه ثلاثة أبواب ضخمة متتالية ، أولها مصنوع من الحديد ، وينزلق من أعلى الى أسفل ، وكان الحراس يحرسونها ليل نهار خوفاً من الهجوم المفاجىء من البر ، وكان

---

(٤٢) نفس المصدر ص ٣٠٣ ببعض تصرف .

المدخل ضيقاً وطريقه غير معبدة ، وبعد الاحتلال الانكليزي بست سنوات وسعه الانكليز فاستطاعت جواري الجمال والخيل أن تمر فيه ، وبعد اختراع السيارات زادوا في توسيعه وعبدواطريقه بالأسفلت ، وفي سنة ١٩٥٧ م زادوا في توسيع الباب حتى صار يتسع . لمرور سيارتين ضخمتين متقابلتين ، والأهالي يسمون الباب (باب عدن) . ويسمون الطريق الممتدة اليه (العقبة) ، وأمّا رسمياً فإنه يسمى (الممر الرئيسي) .

وقد وصف الرحالة ابن بطوطة عدن عند زيارته لها في عهد بني رسول فذكر بأنها مرسى بلاد اليمن ، وتقع على ساحل البحر الأعظم ، والجبال تحيط بها ، ولا مدخل اليها إلا من جانب واحد ، وانها مدينة كبيرة لا زرع بها ولا شجر ولا ماء ، وبها صهاريج يجتمع فيها الماء أيام المطر ، والماء على بعد منها ، فربما منعتهالعرب وحالوا بين أهل المدينة وبينه حتى يصانعوهم بالمال والثياب ، وهي شديدة الحر ، وعدن مرسى أهل الهند ، وللتجار منهم أموال عظيمة .

ميناء عدن القديم

كانت[٤٣] الحركة التجارية مركزة في جبل صيرة وساحل صيرة حيث كانت السفن تلقي مراسيها .

وكانت[٤٤] المناطق المتاخمة للميناء هي حافة القطيع وحافة العيدروس وهي اكثر ازدحاماً بالسكان من غيرها من مناطق عدن .

عدن مرة أخرى اثناء الحملة البرتغالية

وفي الصورة التي رسمها[٤٥] الفنان الفينيسي اثناء الحملة البرتغالية على عدن تظهر لنا مدينة عدن محاطة بسور عالٍ يمتد من جبل الخضراء حتى جبل المنظر ، ومن هناك على طول الساحل حتى جبل التعكر ، ووراء السور تقع

---

(٤٣) نفس المصدر ص ٢٩٢ .
(٤٤) نفس المصدر ص ٣١٩ .
(٤٥) نفس المصدر ص ٣١٩ .

مدينة عدن ، وقد امتلأت بالمنازل والمساجد والمنارات العاليةمن جبل حقات الى وادي الخساف ، ومن ساحل صيرة الى وادي الطويلة ، وأمام السور على طول الشاطىء ترى سفن الغزو البرتغالية وقوارب الصيد وقد انتشرت على طول الشاطىء .

وقد استوطنت عدن جاليات وجنود مع الدول التي تعاقبت على عدن ، وتُجّار حين ازدهرت عدن كمركز تجاري عظيم الأهمية في عهد نائب الدولة الأيوبية أبي عمر عثمان بن علي الزنجبيلي الذي دعا تجار مصر والهند الى القدوم الى عدن واستيطانها ، وحين غزا الأتراك العثمانيون عدن وصل اليها عدد من الأكراد والترك والمصريين وجعل بعضهم عدناً وطناً لهم ، وكانت هذه العناصر أيضاً قد استوطن كثير منها عدناً منذ حكم بني أيوب في اليمن ، كما كان سكان عدن قديماً خليطاً من العرب ويهود اليمن وقليل من التجار الهنود والمصريين .

ومن معالم عدن قصور عدن القديمة .

وقد(٤٦) ذكر ابن المجاور في تأريخ المستبصر انّ بني زريع أول من بنى الدور بالحجر والجص ، وكان الحجر يجلب الى عدن من أبين .

ومن قصور عدن الشهيرة والتي لم يبق لها وجود : قصر السعادة وقد بناه سيف الإسلام الطغتكين بن أيوب وكانت داراً مثلثة الشكل فريدة في نوعها ، وقد زاد فيها الملك المجاهد الرسولي علي بن داود بن يوسف بن عمر بن علي رسول كما زاد فيها الملك الظافر عامر بن الطاهر .

ودار البنديرة : وقد بناها الملك عبد الوهاب بن داود بن طاهر .

ودار الطويلة : وقد بناها ابن الحابي .

ودار المنظر : وقد بناها بنو زريع فوق جبل المنظر وكانت مقراً لملوكهم .

ودار صلاح : بناها صلاح بن علي الطائي من تجار عدن في عهد بني

(٤٦) نفس المصدر ص ٣٠٠ .

رسول وقد تحولت هذه الدار في عهد الملك المجاهد علي بن طاهر الى متجر كبير ، وزاد فيها زيادةكبيرة وأضاف اليها مخازن واسعة من جهة حقات .

ودار الخضراء : وقد بناها بنو زريع فوق جبل الخضراء وكانت تسكنها الحرة بهجة أم الملك علي بن أبي الغارات . ولمّا احتل عدن سبأ بن زريع صعد نائبه الشيخ بلال بن جرير المحمدي الى الدار وأنزل الحرة بهجة واستولى على الدار وما فيها من اموال كثيرة .

ومن معالم عدن صهاريج عدن القديمة .

وادى الطويلة من أشهر معالم عدن منذ زمن بعيد[٤٧] ، فهو يضم صهاريج عدن الأثرية ، والتي بنيت في الصخور الصلدّ لتتلقف الماء الذي يهبط من جبل العز (جبل التعكر) والتي تتسع لعشرة ملايين جالون . وذلك لحجز مياه الأمطار ، وعلى غرار السدود الكثيرة في مختلف انحاء اليمن ، أمّا عدد صهاريج عدن فاثنا عشر وجميعها بنيت بشكل هندسي رائع ومثل رائع لفن العمارة في العهد الذي بنيت فيه ، والذي لم يعرف بصورة قاطعة حتى الآن وذلك لعدم وجود كتابة اثرية فيها أو في غيرها تدل على تأريخ بنائها وعلى الدولة اليمنية القديمة التي قامت ببنائها ، (ومن المعلوم بصورة قاطعة أنّ بناته هم الأسلاف اليمنيون الحميريون أو الأوسانيون الذين عاصروا الدولة السبائية في حكمهم للمنطقة وهم جزء من حمير وبناة الحضارة اليمنية في اكسوم الحبشية كما هو معروف ودلت عليه الآثار) .

وقد اكتشفت هذه الصهاريج في عام ١٨٥٤ م .

وكلها اثرية قديمة إلا السد المبني في اعلى المضيق الجبلي والمرتفع بين الجانبين المنخفض في الوسط والمعروف باسم بركة عنبر فهو قريب عهد بني عند اكتشاف الصهاريج لمنع الطين والحصى وغيرهما من الإنجراف مع مياه السيول الى الصهريج الأول القابع في اسفل والمعروف محلياً باسم أبو سلسلة ، ويمكن

---

(٤٧) نفس المصدر ص ٢٥٧ .

اعتبار هذا السد جانباً من الصهريج .

أمّا الصهريج الثاني فهو الذي نصعد اليه بدرجات صخرية حديثة العهد نسبياً ، والذي يدهش الناظر ان تجصيص هذا الصهريج بالنورة من اسفله الى اعلاه ما زال هو التجصيص الأثري الأصيل لم تذهبه الأيام ولم تؤثر فيه السيول التي كثيراً ما ملأت الصهريج بمياه الأمطار التي تتدفق بقوة من بركة عنبر .

وبعد ان يمتلىء أبو سلسلة (الصهريج الأول) ينساب الماء الفائض الى الصهريج الثاني الذي يليه ، وبعد امتلائه يمر في قناة تبدأ بعقد ، الى الصهريج الثالث فالرابع فالثامن ، وهذا الصهريج الثامن يعرف باسم (أبو عجلة) ، ويتلقى الماء من اربعة منافذ هي القناة التي ينساب الماء اليها من الصهريج الرابع ، وقناة صغيرة في الجانب الأيمن من المضيق حيث يوجد المخزن الصخري الذي كانت تخزن فيه الأسلحة أيام الحرب ، وقناة صغيرة تمتد من الصهريج السابع ، وممرات منحدرة في الجانب الأيسر من المضيق .

ويمكن لهذا الصهريج الثامن ان يتسع لأربعة ملايين وستمائة وخمسة وأربعين الف ومائتين وثلاثة وسبعين جالوناً من الماء ، وبعد ان يمتلىء يفيض الى الصهريج التاسع الذي يليه ، ثم العاشر المواجه للمتحف .

وبعد امتلاء العاشر يفيض الماء فيمر في قناة اخرى تحت عقد وجسر ويصب في الصهريج الثاني عشر الكائن خارج حائط بستان الطويلة والمعروف باسم صهريج الفارسي .

وبقي أمامنا الآن الصهريج السادس والسابع والحادي عشر ، أما السادس والسابع فيقعان في شق الجبل من الأيمن ، للمضيق ، وهما يتلقيان الماء من شقوق وممرات في الجبل ، ويعرف الصهريج السابع باسم صهروج (كوجلان) ، وسبب هذه التسمية انه يعتقد انه حديث عهد لا ينتمي الى العصر الذي بنيت فيه بقية الصهاريج ، وان تشييده كان في عهد ثاني مقيم بريطاني في عدن وهو البريغادير كوجلان وذلك بين سنتي ١٨٥٩ و١٨٦٠ م .

والصهريج الحادي عشر يعرف باسم ابو قبة ، وله طابع اسلامي يدل

على أنّ بناءه تمّ في عهد احدى الدول الإسلامية من الصهاريج صورة رقم (٦٦)

وثمة عدة صهاريج اخرى تشاهد بقاياها في الجزء الشمالي الغربي لمدينة عدن بلغت جميعها مع صهاريج الطويلة الخمسين كانت اكثرها صالحة في بداية الاحتلال عام ١٨٣٩ م .

ولم يقتصر الهدف من بناء سدود جبل شمسان المعروفة بسدود أو صهاريج الطويلة على خزن الماء للري ، وانما كان هناك هدف آخر هو تجنيب مدينة عدن الخطر الذي كان يتهددها وقت تدفق الماء من الجانب الغربي في الجبل المذكور شديد الإنحدار حينما تهطل الأمطار فبنيت سلسلة الصهاريج الممتدة من الطويلة حتى شواطىء صيرة .

ومن معالم عدن مساجدها . وأهمها[٤٨] المسجد الجامع في عدن والتي تزينه المنارة العالية ، وذكر كثير من المؤرخين أنّ بناءه من عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز ثم جدد بناءه ووسعه الحسين بن سلامة الأمير النوبي في آخر عهد بني زياد ، وجدده مرة اخرى الملك الظافر عامر عبد الوهاب ، أمّا المنبر بديع الشكل فيه فمن بناء الملك عمران بن محمد بن سبأ (آل زريع): واسمه مكتوب فيه ، ومسجد ابان وقد بناه ابان بن عفان بن الحكم بن عثمان بن عفان ، المتوفي في المدينة المنورة عام ١٠٥ هـ .

وقد ولي ابنه الحكم القضاء في عدن ، وقد توفي هذا في عام (١٥٤ هـ) في عهد الخليفة العباسي ابي جعفراً المنصور ، وثمة مساجد في عدن اخرى قديمة وكثيرة لا مجال هنا لحصرها .

النشاط الأدبي في عدن

ازدهر[٤٩] الأدب في عدن عبر التأريخ الإسلامي وبالذات في عهد بني زريع الذين عاصروا الصليحيين ، وممن برز في عهد آل زريع الأديب أبو بكر ابن احمد العندي وقد قال غرر قصائده في الملك عمران بن محمد بن سبأ آل

---

(٤٨) و(٤٩) نفس المصدر الصفحات ٤٦٤ و٤٧١ .

زريع كما مدح أباه قبله ومدح جرير بن بلال المحمدي نائب محمد بن سبأ على عدن ثم مدح توران شاه الأيوبي بعد استيلائه على عدن في بداية حكم بني أيوب في عدن ، ومن قصائده في عمران بن محمد قصيدة مطلعها :

حياك يا عدن الحيا حياك ... وجرت رضاب لماه فوق لماك
وافترّ ثغر الروض منك مضاحكاً ... بالبشر رونق ثغرك الضحاك
وعلام استسقي الحيا لك بعدما ... ضمن المكرم بالندى سقياك
وهمت مكارمه عليك فصافحت ... عن كفه معنى الغنى مغناك

ومنهم الشاعر التكريتي الذي مدح المنجوي امير المرباط احدى مدن الشحر في بلاد حضرموت الساحلية بقصيدته التي كافأه عليها بسفينة محملة بالهدايا والأموال والتحف ، وبسفينة اخرى ارسلها المنجوي للإنفاق عليه منها لوسجن حينما علم أنّ الطغتكين استدعاه اليه ليعاتبه على قوله في القصيدة المذكورة (هو تاج والملوك حذاء) ولم يسجنه لأنه تخلص بأن قال له : (إنما قلت والملوك حذا) بفتح الحاء وقد قبل الطغتكين تخلصه بالرغم من قول المنجوي بعد الشطر المذكور : (بل حضيض وهو كالقلل) وقال الطغتكين حين علم بأنّ المنجوي شحن له الباخرة الثانية (يحق لمادح هذا ان يقول فيه ما شاء » أمّا القصيدة فهي في (هدية الزمن)[٥٠]

عج برسم الدار فالطلل ... فالكثيب الفرد فالإثل
فبمأوى الشادن الغزل ... بين ظل الضال والجبل
فاذا ما بان بان قبا ... وبلغت الرمل والكثبا
ناد أهل الربع واحربا ... واسبل العبرات ثم سل
وابك في أثر الدموع دماً ... هب كأن الدمع قد عدما
واندب الغيد الدما ندما ... واقف اثر الظعن والإبل
آه لو ادركت بينهمو ... كنت يوم البين بينهمو

---

(٥٠) طبعة دار العودة عام (١٩٨٠) ص ٢٤ .

ليت شعري الآن أين همو   رب سار ظل في السبل
كيف اثني عنهمو طمعي   وهمو في خاطري ومعي
كفَّ عني اللوم لست أعي   ففؤادي عنك في شغل
ها أنا في الربع بَعدهمو   اشتكي وجدي وبُعدهمو
أسأل الأيام وعدهمو   وأقضي الدهر بالأمل
فدموع العين تنجدني   وحمام الأيك تسعدني
فهي تدنيني وتبعدني   بالبكا طوراً وبالجذل
خلفوني في الرسوم ضحى   أتحسى الدمع مصطبحا
كل سكران وعى وصحى   وأنا كالشارب الثمل
رقّ رسم الدار لي ورثا   وسقامي للضنا ورثا
ليس سقمي بعدهم عبثا   كل من رام الحسان بلي
آه لو جاد الهوى وسخى   اذهب الأكدار والوسخا
فالجوى والصب قد نسخا   وقعتي صفين والجمل
ما لهذا الدهر يطمعنا   وأكف البين تقمعُنا
أترى الأيام تجمعنا   بمنى والخيف والجبل
أترى بالمشعرين نرى   عيسهم والركب قد نفرا
ونزور الحِجْر والحَجَرا   ونضم الركن للقبل
كم لنا بالمروتين اسى   ما له غير الخضوع أسى
ينجلي عن ربما وعسى   والورى في غاية الوجل
يا أصيحابي ويا لزمي   غير خاف عنكمو المي
ان أمت لا تأخذوا بدمي   غير ذات الدل والكسل
غادة في خصرها هيف   دنف كل بها دنف
فهيام القلب والشغف   بين ذاك الخصر والكفل
فبياض الصبح غرتها   وسواد الليل طرتها
دمية كالشمس بهجتها   وهي في خمس من الحمل
أصل دائي غنج مقلتها   ودوائي لثم وجنتها

أترى عُمَراً بنظرتها | أو أمير المؤمنين علي
ريقها والميسم الشنب | خندريس فوقها حبب
لؤلؤ رطب هنا العجب | بحره أحلى من العسل
وصفوا هنداً وما وصفوا | عكسوا المعنى وما عرفوا
قلت هذا منكمو سرف | أيُقاس الكحل بالكحل
فعلت بي غير ما وجبا | عاقبت ما راقبت رُقبا
صححت في الأحياءِ واحربا | أيحلّ القتل بالخجل
كم كسرى من مقلتي منعت | حبذا لو انها قنعت
مذ بدت صنعا وما صنعت | جمع ذاك اللحظ بالمقل
ان يكن في الحب هان دمي | ها صباباتي وها ندمي
فدمي في ثابت القدم | ورشادي ضلّ في الأزل
بدرت من بدر جارية | ودموع العين جارية
ثم قالت وهي جارية | أرفقي يا هند بالرجل
فأجابت وهي معرضة | ومراض اللحظ ممرضة
أنت لي يا سعد مبغضة | قد سقيت النفس بالعلل
قالت البدرية اتّئدي | وعدي ذا المبتلي وعدي
ما الذي ينجي من القود | خلق الإنسان من عجل
طالما فيك الهوى عبدا | ما عدا مما لديك بدا
ليس يخفي قتله أبدا | من مروي البيض والأسل
الإمام الطاهر النسب | الزكي الطيب والحسب
السحاب الساكب اللجب | الهتون العارض الهطل
الهزبر المنجوي اذا | ألقت الحرب العوان اذا
هو تاج والملوك جذا | بل حضيض وهو كالقلل
طالما قد ضنت السحب | واشرأبّ المحل والسغب
وغوادي كفه السهب | بالضحى تهمي وبالأصل
لو همت يوماً غمائمه | بلظى ناحت حمائمه

فهو مذ نيطت تمائمه	مولع بالخيل والخول
يمنح السائل قبل متى	سئل المضطر أو سكتا
لو اتى بعد الرسول فتى	كان حقاً خاتم الرسل
وعذول بات يعذله	ولديه المال يبذله
قصده عن ذاك يعدله	وهو لا يصغي الى العذل
حكت الأنوى أنامله	وهي تخشى أن تقابله
فاذا ما هزَّ ذابله	قرن الأرواح بالأجل
ما له مثل يماثله	لا ولا شكل يشاكله
وله فيما يحاوله	همة تعلو على زحل
كفّ كف الدهر حين سطا	ونداه نحونا بسطا
فغدونا أمة وسطا	بعد ذاك الخوف والوجل
كيف تخشى بعده الزمنا	وأبو عبد الإله لنا
ارتدى مجداً وألبسنا	حللاً ناهيك من حلل
هو قيس في فصاحته	ولؤيْ في صباحته
وهو معن في سماحته	وابن عباس لدى الجدل
ان يكن في نظمه خلل	يُعذَرُ الجاني ويُحتمَل
خاطر المملوك مشتغل	عن كتاب العين والجمل

الحكم العثماني الثاني في اليمن ومعاصره من الأئمة
(١٢٤٩ - ١٣٣٨ هـ)
(١٨٣٣ - ١٩١٩ م)

ذكر المؤرخ الكبسي[١] في تأريخه احداثاً سبقت مجيء قوات والي مصر محمد علي باشا الى اليمن في عام (١٢٤٩ هـ) وكانت سبباً في مجيئها .

النفوذ المصري في اليمن تحت الراية التركية

وقد لخص المؤرخ المذكور تلك الأحداث بقيام المدعـو (تركي بيلمـز) بالزحف الى اليمن بألف مقاتل بعُددهم وذلك في عام (١٢٤٦ هـ) (١٨٣٠ م) دون امر السلطان في تركيا ، وأن تركي بيلمز استطاع ان يستولي على تهامة حتى المخا ، بعد قتله لولاة الإمام المهدي عبد الله فيها كالسيد عبد الله بن عبد الله دريب والسيد احمد بن لطف الباري طامش وغيرهما ، وان تركي بيلمز أقام في المخا يعوث ويفسد .

حتى تحرك امير عسير علي بن مجثل من آل معيظ بقواته وتمّ له طرده من اليمن بعد حروب مريرة معه ، واستيلائه هو أي أمير عسير على تهامة لنفسه .

حتى جاءته قوات محمد عـلي والي مصر لـلأتراك بقيـادة ابراهيم بـاشا ، وأضاف المصدر[٢] المذكور قائلاً : « فخرج الباشا ابراهيم ولعله من قرابة محمد علي كما ذكر بجند وافر ومجد قاهر ، واستولى الباشا ابراهيم على البنادر ، وثبتت

(١) في تأريخه اللطائف السنية مخطوط .
(٢) الكبسي أيضاً .

الدولة المصرية فيها في تلك المدة وتجاوزوا عنها الى اليمن الأسفل واستولوا على تعز ومخاليفها » .

وقد أوردالدكتور فاروق عثمان اباضة في كتابه (الحكم[3] العثماني في اليمن بين عا مي (١٨٧٢ - ١٩١٨ م) الموضوع بشكل مغاير بعض الشيء وبتحليل أوسع فذكر انه لمّا كان محمد علي باشا والي مصر يطمح في انشاء امبراطورية عربية مستقلة عن تركيا ، وقامت مع ذلك الحرب بينه وبين تركيا في سوريا أرسل الباب العالي فرماناً الى تركي بيلمز المذكور يقره على ولاية الحجاز نكاية بمحمد علي الذي خرج عن طاعته في سنة (١٨٣٢ م) وكان الضبّاط الأتراك غير النظاميين قد ثاروا في جدة عقب عودتهم من اليمن بعد انتزاع تهامة من الشريف احمد بن حمود وإعادتها الى الإمام المهدي عبد الله ، وكانت ثورتهم تلك بسبب تأخر رواتبهم ، ونصبوا (تركي بيلمز) احد كبارهم والياً على جدة .

ولكن محمد علي بطبيعة الحال لم يرض عن حركة التمرد التي قام بها الضباط ، ولم يعترف بفرمان السلطان ، فقام بتوطيد نفوذه على الحجاز واليمن لما للحرمين الشريفين من اهمية دينية ، ولأنَّ الحجاز واليمن كانا بمثابة العُقَد الوثيقة في خيط الاتصال بين مصر والهند .

ولذلك فإنه أي محمد علي ارسل حملة مصرية بقيادة احمد باشا يكن قوامها أربعة آلاف مقاتل الى ينبع ، وسارت منها الى جدة واحتلتها بعد ان انسحب منها تركي بيلمز المذكور نحو القنفذة ، ولّمالم يتمكن من احتلالها لقوة حامية محمد علي باشا فيها واصل انسحابه الى الحديدة ومنها الى المخا واستقر فيها ، ولم يقو إمام صنعاء على مقاومته .

وأخيراً عهد محمد علي باشا الى والي الحجاز (احمد يكن باشا بمطاردة تركي بيلمز ، فسار اليه على رأس قوة قوامها خمسة عشر الف مقاتل وذلك في

---

(٣) من ص ٣٥ .

عام (١٨٣١ م (ـ ١٢٤٧ هـ) ، وان حاكم عسير اشترك مع الجيش المصري في محاصرة المخا حتى سقطت في أيديهم وهرب تركي بيلمز والتجأ الى احدى السفن البريطانية ، وبذلك انتهت الفتنة في الحجاز واليمن ، وبدأ الحكم المصري لليمن تحت الراية التركية .

وقد عزز محمد علي باشا نفوذه في اليمن في عام (١٨٣٦ م ـ ١٢٥٠ هـ) بأن أرسل قوة جديدة تضم ثلاثة آلاف من المشاة والفين من الفرسان بقيادة ابراهيم يكن باشا وعيّنه سر عسكر اليمن ، ووقعت بين القوة المذكورة وبين اليمنيين مصادمات عنيفة الحقت خسائر بالمصريين وأجبرتهم على التقهقر الى الحجاز بعض الوقت .

ثم استجمعوا قواهم واستأنفوا زحفهم نحو اليمن من جديد ، واستطاعوا ان يتمركزوا في بعض الموانىء اليمنية ومنها ميناء الحديدة التي عيّن محمدعلي باشا ابراهيم يكن باشا واليا على اليمن فيها ، واستمرت حالة من الهدوء النسبي في تهامة بين عامي ١٨٣٦ ـ ١٨٤٠ م ـ ١٢٥٣ ـ ١٢٥٦ هـ ، وقبل الإمام الناصر عبد الله بن الحسن بالأمر الواقع ، بل[٤] واعلن ولاءه لإبراهيم باشا يكن ليتقي بذلك بطش الانكليز الذين احتلوا عدن في عا م ١٨٣٩ م ـ (١٢٥٥ هـ) .

انسحاب المصريين من اليمن

ولكنه[٥] طرأت احداث خارج اليمن حملت الوالي المصري محمد علي باشا على اصدار اوامره الى الوالي التركي المطيع له في اليمن (ابراهيم باشا يكن) المقيم في مدينة الحديدة بانسحابه مع قواته منها ومن اليمن بشكل عام ، وتسليم ميناء الحديدة الى الشريف حسين بن علي بن حيدر حاكم المخلاف السليماني ، وجاء الشريف حسين الى الحديدة ووسع نفوذه في تهامة حتى زبيد والمخا وباسم الدولة العثمانية ، واعترفت به تركيا كحاكم على اليمن ، لتضمن

(٤) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ٣٨ .

(٥) نفس المصدر ص ٤٢ .

سيادتها على اليمن ، وتبسط نفوذها الفعلي فيه ، وقد تمّ لها ذلك في عام ١٨٧٢ م (١٢٨٩ هـ) وكان تسليم محمد علي باشا لما بسط نفوذه عليه في اليمن الى الشريف حسين بن علي بن حيدر المذكور وسحب قواته منه بناء على ضغط الحكومة التركية في سبيل الحد من مطامعه ، وبناء على قرارات مؤتمر لندن المنعقد في (١٨٤٠ م - ١٢٥٦ هـ) والقاضية بوجوب سحب قواته من الجزيرة العربية ، وساعدتها بريطانيا في انجاح مؤتمر لندن لصالحها أي تركيا ضد محمد علي المذكور وفرض جلائه من اليمن ، مقابل مباركة تركيا لاحتلال الانكليز لعدن واعترافها بسيادة الانكليز عليها كما علمنا في بداية الفصل .

الإمام المنصور علي بن المهدي عبد الله

وكان الإمام المهدي عبد الله قد توفي في عام ١٢٥١ هـ - ١٨٣٤ م ، وبويع ولده علي ولقب بالمنصور ، وعارضه بالدعوة في نفس العام المذكور السيد حسين بن علي المؤيدي الذي دعا في بلاد صعدة ، ولكنه توفي في حيدان منها في العام الذي تلا عام دعوته .

الإمام الناصر عبد الله بن الحسن

ولقد اضعف الإمام المنصور علي من كيان دولته ونال من هيبتها اسرافه في انفاق الأموال للجنود والقبائل استرضاء لهم حتى قاموا بالقبض عليه واعتقاله ،وتنصيب عبد الله بن الحسن بن احمد بن المهدي العباس مكانه ولقبوه بالناصر وذلك في عام (١٢٥٢ هـ) وقد لخص المؤرخ الكبسي هذه الأحداث في تأريخه[٦] فقال : « وتوفي المهدي عبد الله في شهر رجب من سنة ١٢٥١ هـ وهو آخر الملوك أهل الصولة والإقدام والحل والإبرام ، ودعي بعده ولده علي ابن المهدي ، وقد تضعضعت المملكة ولم يبق إلا المدخر في خزائن بيوت الأموال من آلة الحرب والذخائر ، وكان ينفق منها ويعول عليها ، ومواد البلاد انقطعت ، فكان الجند يهجمون عليه ويبالغون في المطالب ولم يكن له يد

---

(٦) اللطائف السنية (مخطوط) .

عليهم ، ومن لوائح الإدبار عزله لأمير الأجناد الذي كانت له اليد القوية عليهم (العنبر يسر) فبقي الأجناد على طريقة الفساد ، حتى كان في شهر القعدة من سنة (١٢٥٢ هـ) فثار عليه العسكر وفعلوا عظيم المنكرات ، ودخلوا الى داره بستان المتوكل وهو غافل عن أمرهم ، فقبضوه ونصبوا في مقامه الإمام الناصر عبد الله بن الحسن بن احمد بن المهدي العباس ، وهو من أعلام السادة قد احرز العلوم وجميع منطوقها والمفهوم » .

وأضاف[٧] قائلاً : « فدعي في شهر القعدة من سنة ١٢٥٢ هـ وأودع علي ابن المهدي وعمه محمد بن المتوكل الترسيم » .

ثم ذكر حركته في سبيل اعادة الأمن والاستقرار في اليمن ، ومن أولى اعماله قبضه على نحو ثلاثمائة من قبيلة (ذو محمد) الذين بادروا اليه عقب دعوته من اليمن الأسفل ، ثم خروجه من صنعاء وتجوله في بلاد ذمار ويريم واب وغيرها ، وقبضه على الكثير من المتمردين من القبائل ، ولكنه واجهته احداث تغلب قوات محمد علي باشا على بلاد تعز ، وتغلبهم مع ذلك على القوات التي جهزها لحربهم في بلاد اب في معارك الهشمة من بلاد تعز وبلاد العدين ، الأمر الذي جزأ قبيلة (ذو محمد) المقيمين في اليمن الأسفل والموتورين بسبب قبض الإمام الناصر على المجموعةالتي وصلت الى صنعاءعقب دعوته فقاموا بمحاولة محاصرة مدينة اب التي كان يقيم فيها ، ولما لم يجد الإمام الناصر القوة الكافية لدعم موقفه في المنطقة ضد المتمردين من ذو محمد وضد الغزاة المصريين المتمركزين في بلاد تعز عاد الى صنعاء وقد وهن امره على حد ما جاء في تأريخ الكبسي ، وإن كان الإستاذ حمزة لقمان ذكر في (معارك[٨] حاسمة في التأريخ) أنّ الإمام الناصر كان قد استعاد تعز قبل مقتله .

وفي[٩] صنعاء ثارت عليه قبيلة همدان واعلنوا خلافهم عليه ، وتجمعوا

---

(٧) في المصدر آنف الذكر (اللطائف السنية) مخطوط .
(٨) ص (١٤٣) .
(٩) السيد محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) آنف الذكر مخطوط .

في قرية المعمر احدى القرى القريبة من صنعاء ، فتقدم الإمام لحربهم مستعيناً بقبيلة ارحب وتغلب عليهم وهزمهم ، ثم غزاهم الى وادي ظهر ولكنه تصالح معهم ، وعاد مع مشايخهم الى صنعاء ، واستقرت الأحوال حتى شهر صفر من عام (١٢٥٦ هـ) .

وفيه خرج الإمام الناصر من صنعاء الى وادي ظهر للنزهة غير آخذ أهبته للحرب بعد اظهار همدان طاعتها له ، وبينما هو يغادر دار الحجر في وادي ظهر عائداً الى صنعاء اذ غدرت به همدان وهجمت عليه وقتلته ، وقتلت معه القاضي اسماعيل بن حسين جغمان والأمير عنبر يسر أمير الأجناد ، والأمير محمد طاشخان امير بير العزب والسيد صلاح الدين بن محمد بن عبد الله بن المنصور .

الإمام الهادي محمد بن المتوكل

وقد قامت جماعة من كبار رجال دولة الإمام الناصر باخراج محمد بن المتوكل احمد بن المهدي عبد الله من سجن الناصر وبايعته خلفاً للناصر وتلقب بالمتوكل ثم بالهادي ، قال المؤرخ الكبسي : « وقامت دولته ونفذت أوامره على البلاد (العليا) من يريم الى صنعاء وبلاد عمار في النادرة وقعطبة والعود وغيرها » .

كما أخذت قبيلة ارحب (وكانت من ابرز القبائل الموالية للناصر) بالثأر له من قبيلة همدان وأوقعت بها في المنقب بين حاشد وثلا .

ثورة الإمام الفقيه سعيد بن صالح بن يسين الهتار : (١٢٥٦ - ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٠ - ١٨٤٣ م) .

وفي عهد الإمام الهادي المذكور ثار في اليمن الأسفل على الحكم الإمامي الفقيه سعيد بن صالح بن يسين الهتار في قرية الدنوة من مخلاف[١٠]

(١٠) مخلاف الشوافي أحد مخاليف مديرية اب ويشمل سبع عزل عزلة الروس ومنها قرية الدنوة وقد صارت اليوم من عزلة جبل خضراء من مديرية حبيش لواء اب ، وعزلة بني محرم وعزلة =

الشـوافي في بلاد اب وتحصن بحصن الـدنوة وذلـك في عـام (١٢٥٦ هـ) ، والتف حـوله الكثـير جداً من ألـوية اب وتعـز وتهـامـة ومن الجنـوب والمنـاطق الشرقية ، ويبدو انه ركّز في بداية حركته على هدف واحد هو ازالة الظلم عن كواهل الفلاحين ، ورفع عنت قبائل القسم الأعلى المقيمـين في اليمن الأسفل وجلهم من بكيل ، وممن كان الحكم الإمامي يستخدمهم كجنـود له في اليمن الأسفل وتهامة وطردهم جميعاً من هذه المناطق ، وكان قبائل بكيل قد استوطنوا اليمن الأسفل منذ عهد الإمام المهدي عبدالله وقبله منذ عهد الإمام المنصور حسين ابن المتوكل قاسم بن حسين كما مر بنا عند التأريخ لهما ، وكان هدفه ذلك قـد جمع الناس حوله وساندوه في حركته الأوسع هدفاً وهو الاستقلال بحكم المنطقة الوسطى وتهامة عن الحكم الإمامي ، يشجعه انفصال الجنوب عنه ، وانفصال المخلاف السليماني وتهامة ايضاً عن حكم الإمامة منذ بسط اشـراف المخلاف السليماني أيديهم عليها ، وعلى المخلاف واستقلوا عن الدولة القاسمية ، وعدم استقرار الحكم الإمامي نفسه في صنعاء وغيرها من القسم الأعلى من اليمن ، حيث صار الأئمة من آل القاسم يتنافسون على الحكم والسلطة فيه ، وصارت قبائل القسم الأعلى تختلف مع هذا وذاك ، وصار الأئمة يقتل ويحارب بعضهم بعضاً في سبيل ذلك ، ولقد عبر الزامل الشعبي الذي منه ما يأتي أصدق تعبير عن مشاعر ابناء المناطق التي قام الفقيه سعيد بحركته فيها لرفع الظلم والعبث عنها وهو :

يا با سعيد يا باه
كل القبل جابه

=البحرين ، وعزلة جبل معوذ وعزلة شعب يافع وعزلة نُوَب أعلى وعزلة نُوَب أسفل ، وفي قرية الدنوة جامع كبير بناه الفقيه سعيد في عام ١٢٥٣ هـ حسب ما هو منقوش عـلى العتبة الخشبية الموضوعة فوق الباب الشرقي للجامع المذكور ، ووضعها مقلوب لعلها أُزيلت يـوم القبض على الفقيه سعيد بعد انهزامه ، وحرص انصاره بعـد تفرق الجنـود من الدنـوة على إعـادتها بصـورة مستعجلة ولم ينتبهوا إلا بعد البناء عليها ، وفي الجامع المذكور صـومعة عـالية ويليـه في القريـة مسجد صغير للحسام الزاهر حسبما هو منقوش في عتبة الباب الحجرية .

اسلمتنا المحنة
والعسكر الزوبة
يا با سعيد يا باه

وقد امتدّ نفوذه خلال السنوات الثلاث التي حكم فيها الى يريم شمالاً وعدن وبلاد يافع جنوباً ، وحتى تهامة غرباً ، وضرب السكة باسمه من الفضة الخالصة ، ونصب ولاته في عموم المناطق التي بسط نفوذه عليها ، وخطب له على المنابر باسم عالم الشريعة المطهرة المهدي ، وساد في عهده الأمن والاستقرار بين الناس في مناطق نفوذه .

وقامت حرب بينه وبين الإمام المتوكل محمد بن احمد بن المهدي عبد الله والذي حوّل لقبه منذ قام بحرب الفقيه سعيد الى الهادي ليغاير لقب (الفقيه سعيد المهدي) فيما يبدو ، أو تيمناً بالإمام الهادي يحيى بن الحسين كما جاء في تأريخ حوليات يمانية كما سيأتي، وحالف النصر فيها الإمام الفقيه سعيد في معظمها. إلا أنَّ الغدر الذي قام به بعض مشايخ بكيل ممن أطمأن اليهم لقادة جيشه الى جانب طرده لجمهرة قبائل بكيل من اليمن الأسفل وتهامة وألبها عليه وحملها على الانضمام الى الإمام الهادي المذكور ، والصمود له في حرب استماتة رجحت كفته أي الإمام الهادي ، ومع ذلك فقد استطاع الإمام الفقيه سعيد أن ينسحب بثبات من بلاد يريم ويعود الى اليمن الأسفل ، وكانت معنويته ومعنوية أتباعه قد ضعفت ، ثم تمكنت قوات الإمام من القبض عليه في حصن الدنوة بعد حرب مريرة بين الجانبين وضربت عنقه في مدينة اب وذلك في عام (١٢٥٧ هـ) وقضي على ثورته ولم يتجاوز عمرها الثلاث سنوات .

ولقد تحدث الأخ القاضي عبد الله عبد الوهاب الشماحي المجاهد في كتابه : (اليمن[١١] الإنسان والحضارة) عن ذلك وقال : « وقد هزّت هذه الثورة عرش الإمام القاسمي بصنعاء ، وأثارت القبائل التي اجلاها الإمام

(١١) من ص ١٥٨ .

سعيد فقاد الإمام القاسمي تلك القبائل بنفسه الى يريم ، وفي يريم جرت معركة حامية استبسلت فيها القبائل انتهت بهزيمة الإمام سعيد وفراره الى اب ، وهناك قتل وأخمدت ثورته ، لأنها سبقت أوانها ولم يمهد لها ولا لإعلان نفسه إماماً مما أثار عليه انكار فقهاء الجنوب الشافعي المتمسك بنظرية الإمامة في قريش ، وبالطبع الشمال الذي ما يزال متمسكاً بالإمامة الزيدية » .

وأضاف قائلاً : « كما انها افزعت الإمام القاسمي وأسرته ودعاتهم ، ورأوا انها فاتحة للعودة باليمن الى العهد الرسولي والطاهري ، ونلمس هذا في الدعاية التي نشرت ضد الإمام سعيد فقد رموه بالسحر » وأضاف قائلاً : « كل ذلك ليسدوا الطريق الذي بدأ الوعي يسير فيه ، وهذه الدعاية وان أثرت إلا انها لم تسد الطريق ، فقد بدأت القافلة تسير وما الإمام سعيد إلا احد اعلام القافلة الذين سقطوا في اثناء الطريق ، تاركين آثارهم مصابيح يهتدي بها السائرون بعدهم » .

كما تحدث عن ذلك المؤرخ السيد محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه[١٢] اثناء تأريخه للإمام الهادي محمد بن أحمد بن المهدي عبد الله فقال : « وصادف في ابتداء دولته ظهور الفقيه سعيد بن صالح بن يسين العنسي من متصوفة اليمن ، فانتشر امره وبعد صوته وقويت صولته ، لأنه استولى على المفسدين من ذي محمد وأخرجهم من حصون شوامخ وجبال بواذخ ، وتكنى بإمام الشرع المطهر المهدي المنتظر وضرب ضريبة من الفضة الخالصة وأحفل اليه أهل اليمن من نقيل صيد (نقيل سمارة) الى عدن ، وأتوه بالنذور والزكوات ، وكان يطعم الطعام لمن وفد اليه ، وارتعب المشرق والمغرب حين رأوا رجال بكيل قد فارقوا تلك الحصون وخرجوا عنها ، وارتحلوا من اليمن مرعوبين مرهوبين ، فخرج من صنعاء (أي الإمام الهادي) وصام شهر رمضان سنة (١٢٥٦ هـ) في مدينة ذمار ، ثم نزل الى مدينة يريم وكاتب الى الفقيه سعيد ، وأرسل بعض العلماء ليخبروا بأحواله ويميزوا أقواله ، فكان منه بعد

(١٢) اللطائف السنية آنف الذكر (مخطوط) .

شهر رمضان ان بعث أهل اليمن على الهادي المذكور ، فأنثالوا من جميع الأقطار ، وتابعهم الشيخ حسين يحيى عباد من رؤساء بلاد خبان والشيخ عبد الله مثني فاضل وكان رئيساً كبيراً متبوعاً (في بلاد العود والنادرة) ، وأحاطت الأجناد بمدينة يريم من كل جهة ، وضاقت الأحوال بالهادي وأصحابه ، وكان من جملة المحاصرين لمحاصرة يريم طائفة من ذي محمد والنقيب حسين بن سعيد أبي حليقة والنقيب علي بن سهيل الهيّال ، وكان الفقيه سعيد قد قبض هؤلاء المذكورين وسجنهم وحد من مطامعهم في اليمن ثم أطلقهم ووجههم مع اجناده من أهل اليمن وفي قلوبهم غاية الوجل ، فأجمعوا شورهم على مظاهرة الهادي ، وخدعوا المقادمة الموجهين من عنده (أي الفقيه سعيد) ، حتى حضروا لديهم فقبضوهم في الأسر وهم في المطرح على حدتهم وقد كتبوا الى الهادي بخروج اصحابه للحرب ذلك اليوم ، وهم أثاروا الحرب من جهتهم بعد قبض الرؤساء ، فخرج الرؤساء على وجل وخوف ، فلمّا عرف أهل اليمن قبض رؤسائهم وتوهموا وصول عسكر آخرين ، وأن الحرب منهم ، وشاع عندهم وصول قوم من المشرق اجفلوا هاربين لا يلوون على شيء ، ووقع فيهم القتل والسلب » .

وأضاف قائلاً : « وبعد هذه الوقعة وصلت الهادي اجناد واسعة من خولان ونهم وهمدان والحدأ وتوجهوا على ذلك الفقيه وحصلت حروب عظيمة آلت الى اسره وأخذ محلته المسماة الدنوة وغنم عسكر الهادي جميع ما في هذه البلدة وهو شيء خطير ومغنم كبير يجل عن الوصف ، وبعد توجه الهادي الى مدينة اب وصلوا بالفقيه سعيد اليه فضرب عنقه » وبذلك أوضح المؤرخ الكبسي اسباب بداية انتصار عسكر الهادي ، ومنها ركون الإمام سعيد الى بعض رؤساء بكيل وتجنيدهم للحرب في صفوف قواته بعد طردهم وذويهم من حصونهم ومساكنهم وممتلكاتهم في اليمن الأسفل ، ثم عدم حزم رؤساء قواته من غير بكيل كالشيخ حسين عباد والشيخ عبد الله فاضل وعدم احتراسهم من رؤساء بكيل الموتورين ، بل وعدم أخذ حذرهم منهم حتى مكنوهم اثناء اجتماعهم بهم من القبض عليهم ، وتحريك الحرب من قبلهم أي رؤساء بكيل

وقيامهم مع رجالهم بمحاصرة المحاصرين للإمام الهادي في مدينة يريم واعلامه بذلك ورفع معنويته ، وحثه على الخروج للقتال ، وأشاعوا مع ذلك بوصول رجال غير جيش الإمام لمساندته الأمر الذي فلّ من عزيمة جيش الإمام سعيد ، بعض الشيء وبدأ انسحابه من يريم ، ومع ذلك فما زالت الحرب قائمة بين الجانبين على اشدها كما اوضح المصدر وبالرغم من وصول امدادات واسعة للإمام الهادي من خولان ونهم وهمدان وربما ومن غيرها وفي مقدمتهم بكيل مساندة لإخوانهم الذين اخرجهم الإمام الفقيه سعيد من اليمن الأسفل وحسمت الحرب بالطبع لصالح الإمام الهادي .

كما تحدث عن حركة الفقيه سعيد في كتاب (حوليات يمانية)[١٣] وأطنب في مدحه قبل حركته كما أسهب في ذمه بعدها ومما قاله : « وفي شهر رجب (من العام المذكور (١٢٥٦ هـ) امر الهادي بالتجهيز اقرب من لمح البصر ، وتيقن انه لا حذر من قدر ، ولا يطفي هذه الفتنة إلا ضرب السيوف ، ولا يسكن ثورة العامة غير حز الأنوف ، ثم انه مال عن الإقامة والدعة ، وأعرض عن لذات الملوك والسعة وأنّ ما لمهمات الأمور إلا نفسه ، وترك سعد الطالع ونحسه ، ونهض من صنعاء متمثلاًبقول الشاعر :

وما جلت رقاب الأسد حتى ... بأنفسها تولت ما عناها

وذلك يوم الاثنين ثامن شهر شعبان في السنة المذكورة عقب الدعوة له (أي الإمام الهادي) بثلاثة أشهر ، وتلقب حال خروجه بالهادي تبركاً بمن قهر الأعادي واباد فرق الباطنية (يعني به الإمام الهادي يحيى بن الحسين) وأبدل الدعوة السابقة المتوكل ، ولمّا خرج سكن ما بالناس من الرهج وبات في سيان ، وأفاض على اجناده وأصحابه كل الإحسان .

ويوم ثاني بات في زراجه وعرف الداء وعلاجه وخولان والحدا جعلهم

(١٣) من ص ٩١ .

من اجناده وأجرى لهم من ارزاقه وارفاده ، وتوقع بقطاع الطرق وفتك بهم ، ووصل ذمار وبقي فيها أياماً يرتجي أو عسى يرجع عقل الفقيه سعيد وأقام الى شهر رمضان وكتب الى القاضي العماد يحيى بن علي الردمي يستدعيه الى حضرته ، وثاني شهر رمضان عقد له الوزارة وهو نعم الكفوء الكريم ، وأضاف : « فأمر الإمام في نصف رمضان بالخروج الى يريم » . وأضاف قائلاً أيضاً : «ولمّا وصلوا يريم طمع الباغي اللئيم فيهم حين علم بقلة عددهم وتفرقهم من ذمار لما هالهم من الأرجاف والإعلام ، ولمشاهدتهم القبائل يفرون بكيل من اليمن كالأنعام ، وسلبهم الفقيه لباسهم وأسلحتهم وا متعتهم ، وأخرجهم من المقاسم ، وضرب عليهم الأوفاق والطلاسم ، وأخافهم من معاقلهم وقهر كل أسد باسل ، وكان هذا الفقيه في بدء امره طاهر الصلاح ودعا الناس الى الخير والفلاح ، وبعد استحوذ عليه الشيطان وأوقعه في الطغيان واسمه سعيد بن صالح بن يسين العنسي من بلد شار (من قرية ديلات بلد شار) قرية مولده) من أعمال جبلة (في ذلك العهد أما اليوم فهي من اعمال اب) كان على قدم راسخ من التدين والتصوف والتعفف والتقشف ، اعتزل قومه وسكن في محلة اسمها الدنوة بين حبيش ونعمان ، كانت آثار قرية خالية ، واختطها هو وبناها ، ودعا الناس الى الهجرة اليها ، فأجابه ارذاذ الناس ، والتجأ اليه كل غريب ولاذ ، فما زال مشتغلاً بتقواه ، موافقاً في سره ونجواه ، وكان له في الزهد الحظ الوافر ، عرضت عليه الدنيا بأسرها فما تأثلها ، وتزينت بين يديه ما تمثلها ، حتى صارت حضرته محلاً لأهل الدين ومحط رحى المهاجرين ، وكان فيهم للصغير أباً وللكبير أخاً ، بسجية تنجلي عنها الظلماء ، وخلق مزاجه عسل وماء ، فأقام على هذا اربعين عاماً معتكفاً على الدراسة معتزلاً لأهل النفاسة والرياسة ، مقبلاً عليهم بموعظة وخشوع ، وكثرة سجود وركوع ، فسمع به القاصي والداني ، وزاره كل ملهوف وعاني ، حتى اعتقدوا انه لو عصته الطير ما أوتها وكورها ، ولو أومىء الى الليالي المظلمة لاستقرّ ديجورها ، وكان اليمن قد اشتعل بنار بكيل وتغلبوا عليها جيلاً بعد جيل (حمله على هذا الزعم السجع الذي التزمه وإلا فإنّ بكيل إنما استوطنت اليمن الأسفل

من عـام (١٢٣٢ هـ) من عهد الإمـام عبد الله كـما مرّ بنـا) ، وتـرفعـوا في الحصون والمعاقل ، وضربوا الخراج على الجاهل والعاقـل ، وكان هـذا الفقيه يواعد الرعية الى جمعـة رجب بالفرج ونفي بكيل من اليمن بـلا مشقة ، ولا حرج ، فلما كانت أول جمعة في رجب ترك ما يعنيه واشتغل بما يتعبه ، وأختطب خطبة رغب فيها ورهب ، وزعم انه مدعي للمهدي المنتظر ، وانه بين أيديهم سيظهر ، ثم كتب الى كافة اليمن وبعث مسائله الى شرقـه وغربـه ، فأجـاب الداني والشاسع مناديه ، وانحشر الى ناديه ، واطـاعه اليمن بـأنجاده وأبـطاله وأمجاده ، وقضاته ووزرائه وحجابه ، وليس لهم باعث على ارتكاب هذا الخطر إلا اخراج بكيل وهو أجل أرب لهم ووطر ، وكان تحريك هذه الأسباب من رب الأرباب ، فإن القصة لها اعجب بكثرة العدة والعدد والمدة والمدد ، ودعا في اليمن الى طاعته والمسارعة الى اجابة دعوته ، فما اتقوا سلطانه ، ولكن خشيو برهانه ، فنزلوا على حكمه وهو الذل والمهانـة ، وفرغـوا المعاقـل فأخـربت ، وبذلوا ما أخذوه ظلماً على الرعية فانتهبت، وفي قريب شهر هدم نحو ثلاثمائة حصن من حصونهم ، وغنم ما فيها من نفيس أموالهم ، وأمرهم بالإرتحال على الفور فارتحلوا بالرغم من الكور والجور ، وحينئذٍ ملأها خيلاً ورجـلا ، ونفر بهم خفافاً وثقالا » .

ثم تحدث عن مراحل القتال بين الإمام الهادي والإمام الفقيه سعيد بن صالح بن يسـين العنسي الثائـر على الـظلم وتخلل تفصيل الأحـداث اقذاعـه بالسب على الفقيه سعيد ننزه كتابنا عنه ونكتفي بفقرات مما يعنيه البحث ، ومن ذلك قوله : « وكان الإمام قد زحف من ذمار الى يريم ، كان ذلك بشور الوزير الكريم ، فأحاطت جيوش المدعي بالمـدينة احـاطة الأطـواق بالأعنـاق ، وقام الحرب على ساق ، وثارت العامة من بلاد يريم الى هذه الهيعة ، ونكثـوا على الإمام البيعة ، والإمام مع ذلك ذا ركن منيع وصدر رحيب وسيع » .

وقوله : « ولّما اشتدّ الحصار وكاد يقـول من في قلبه مـرض كان الإمـام وصار ، وكان وزير الإمام القاضي يحيى الردمي ذا جنان جريء ، فدخل على

الإمام وشاوره في الخروج على هؤلاء الطغام ، فأمر الإمام من كان في المدينة من جنود الحق وخطب فيهم الوزير الماجد ، وقال لهم ان الجنة تحت ظلال السيوف فلا تفشلوا من كثرة العدد ، وان كثير الحطب يكفيه قليل النار ، وأنتم بحمد الله المحقون وهم المبطلون المنهزمون ، فخرجت التوابع وا صحاب الإمام من الأبواب كالليوث العابسة ، وتوجه كل فريق الى مطرح من مطارح اصحاب الفقيه وهم آمنون غير مظنون الخروج عليهم لاعتقادهم وهن اصحاب الإمام ، وكان خروجهم وقت الصباح يوم الربوع » .

وقوله : « فما لبثوا هوينا حتى قلعوا المطارح بأسرها ، وقتلوا الطيب الكثير وتنحوا من الأبواب الى قاع المريمة وما والاها ، وغنموا من اسلحتهم وامتعتهم واحتزوا من رؤوسهم ، وطمع جند الإمام في الخارجين وعلموا السلامة والنجاة قتلوا وغنموا وأسروا ولم يهراق فيهم دم ، وقد كان في خلال ذلك كتب الوزير بالبشائر الى البلدان ، واستدعى من تثاقل من قبائل همدان ولمّا علموا بهزيمة الفقيه اقبلوا الى حضرة الإمام كالنسور المفترسة والليوث العابسة يريدون الغنيمة ويكشفون هذه المفسدة العظيمة ، ولمّا علم من في مطرح سعيد بوصول القبائل ، وظنوا انه ليس لكثرتهم طائل ، وكان منهم النقيب حسين بن سعيد أبو حليقة ، فكتب الى الإمام سراً ، ودخل هجيع من الليل وأبرم الرأي على القدوم على اصحاب الفقيه في اليوم الثاني ، وألزم نفسه واصحابه القبض على المقادمة والفتك بمن حولهم من الخواص حين يسمعون الوقعة ، فلما علم الإمام صدقه وتيقن عدم مكره وخدعه عبأ الإمام جنوده وحشد حشوده ، وأفاض الى رؤساء القوم بما وقع عليه الإبرام بينه وبين أبو حليقة ، فخرجت الجنود من باب اليمن مما يلي المريمة وقاع الحقل ، فلما نظر اصحاب الفقيه سعيد الى اصحاب الإمام قد خرجوا تحزبوا للقتال ، ولم يشعروا إلا بالهيعة من وسط المطرح ، وقد مكر حسين أبو حليقة ومن تابعه ، وقبضوا على الرؤساء مثل سعيد بن احمد علي سعد المقدمي الأكبر ، وعبادي صاحب الحجرية وقائد الحارثي وغيره ، فوقعت الهزيمة في اصحاب سعيد » .

وقوله : وكان هذا في شهر شوال من السنة المذكورة (١٢٥٦ هـ) وعند

وصولهم الى الفقيه سعيد اصحابه منهزمين وعليه معولين وقادمين ، قال لهم تسلية لهم : « انتم الكرارون لا الفرارون » ثم صوب رأي فكره ودبر ما يعتمده من أمره »

وذكر انه اعاد التجهيز لعشرين الف مقاتل لحرب الإمام الهادي .

وان الإمام الهادي كان قد عقد الوزارة للقاضي يحيى بن علي الأرياني لأنه بجمع المال أخبر ، وأنه التقى الجمعان في قاع الحقل من بلاد يريم ، وانهزم جمع الفقيه سعيد مرة اخرى وذلك في الثامن عشر من شهر شوال من العام المذكور .

وأضاف : انه وقعت مقتلة عظيمة بين الجانبين في الدنوة نفسها وذلك في السابع والعشرين من شهر شوال من نفس العام ، انجلت عن هزيمة جموع الفقيه سعيد أيضاً ثم وقوعه في الأسر وجيء به الى الإمام الهادي الذي كان قد وصل الى مدينة اب ، وإن الإمام جمع العلماء وحكموا باعدامه واعدم بضرب عنقه في مدينة اب .

ثم قضى الإمام الهادي خلال ذلك على ثورة مارش المحمدي التي قام بها في باب ميثم ، ثم عاد الإمام الهادي الى صنعاء بعد ان ابقى في اب الوزير والأمير فتح محمد ليعملوا على توطين قبيلة (ذو محمد) في اليمن وهم الذين طردهم منه الفقيه سعيد بعد ان يستدعوا قبائلهم ويفتحوا لهم ، وان الإمام قد وصل الى ضوران آنس وهو في طريقه الى صنعاء وكافأ الشيخ حسين بن سعيد أبو حليقة بضرب عنقه فيها جزاء امتنانه على الإمام وطلبه المستحيل منه لقاء مساندته له وغدره برؤساء جيش الفقيه سعيد » وقد أطلت التأريخ لحادث ثورة الإمام الفقيه سعيد بن صالح العنسي لأهميته ، وعظم الأحداث التي جرّت اليه ثورته في تأريخها ، وربما كان لها اثرها على ما تلاها من أحداث .

ثم ذكر في (حوليات يمانية) إيقاع الإمام بسعد يسر احد كبار رجال دولته ونائبه على الحديدة قبل خروجها على الدولة القاسمية واستيلاء المصريين عليها ثم تسليمها للشريف حسين بن علي حيدر شريف المخلاف السليماني كما

عرفنا .

وإيقاعه ايضاً بعامل تعز والحجرية النقيب ماس ومصادرته ، بعد وصول الإمام الى تعز ، وقيام وزيره القاضي يحيى بن علي الأرياني بمصادرة بيت نجم في يريم (لعلهم بيت نجيم) ثم عاد الإمام من اليمن الأسفل وقد ضعفت شوكة الدولة واستشرى الفساد في مختلف مناطق نفوذه ، بسبب تسليط الإمام اعوانه على الناس بما فيهم العبد فيروز الذي استطاع ان يتقرب الى الإمام ويفعل المنكرات بالناس ، وقال في المصدر : « ولا زال[14] الوزير والعبد يعذبوا عباد الله بأنواع العذاب من التخليص في أخذ اموالهم ، فمنهم من ربط ، ومنهم من ضرب ومنهم من هرب ومنهم من افتجع وغير ذلك وما لهم عليهم من ذنب إلا انهم اغنياء وزد وقع فرقة على جميع من في البلد حتى انها وصلت الفرقة عند الغزالات والطحانات واللواتي يبعن البيض والمشاقر ، وأمّا من يبعن الكبا (الضمح) من ضفع البقر للإيقاد بعد تجفيفه فبالأولى ، وبقيوا يتخلصوا الناس الى شهر رمضان ، ومن يقدر يخالف أو يمتنع من التسليم ينهبوه وبيته » .

وذكر ايقاع الإمام الهادي بالوزير الأرياني المذكور ومصادرته وإبداله بالسيد حسين بن محمد الشامي بعد ان سلط عليه العبد فيروزآنف الذكر وأضاف المصدر قوله : (وما ظالم إلا سيبلى بظالم) .

الإمام المنصور علي بن المهدي عبد الله للمرة الثانية

ولما[15] توفي الإمام الهادي محمد بن المتوكل احمد بن المهدي عبد الله في الثامن عشر من شهر ذي الحجة من عام (١٢٥٩ هـ) اخرج الإمام المخلوع المنصور علي بن المهدي عبد الله من سجنه وبويع للمرة الثانية إماماً ، قال المؤرخ الكبسي : « فرجع الى ما كان عليه من اخراج الذخائر واتلاف بيوت

---

(١٤) حوليات يمانية ص (١٠٢) .

(١٥) الكبسي في (اللطائف السنية) آنف الذكر مخطوط .

الأموال فيما لا ينفع ، فضعفت دولته » .

وقد تلقب هذه المرة بالمهدي وتحدث عنه في (حوليات[١٦] يمانية) بقوله : « وضربت البشائر وبلغ القصر ، وكتب الى الأقطار ، واجابته الأمصار ، وسكن أهل البغي والعناد ، وعفا عن الخاطئين ، وتجاوز عن المسيئين ، وهي عادته السلامة على جميع الناس ، ونصب الحكام وأطلق قياد من مستهم الضراء ، أو المحبوسين الذين تعدوا عليه في خلافته السابقة ، وذلك من سلامة صدره وواسع بره » .

واستوزر القاضي يحيى بن علي الأرياني وزير سلفه الإمام الهادي ، كما اوقع بالعبد فيروز وقتله وصلبه ، وهو الذي عظم شأنه في عهد سلفه ، واستغلَّ نفوذه وعبث بالناس ، وتجوّل الإمام في بلاد يريم وبلاد قعطبة وأصلح امورها ، ثم عاد الى صنعاء ، وممن صادرهم وأذبهم في جولته بيت الفرح أهل الأجلوب من بلاد يريم وغيرهم .

الإمام المتوكل محمد بن يحيى

وفي[١٧] شهر ذي القعدة من عام (١٢٦٠ هـ) وهو العام الذي تلا عام إعادة الإمام المنصور علي الثاني الى الحكم تحرك الشريف حسين بن علي بن حيدر شريف أبي عريش الى المنطقة الوسطى فاستولى على بلاد ريمة ، ومنها جهز قواته الى المناطق المجاورة لها والى اليمن الأسفل بقيادة الأمير محمد بن يحيى بن المنصور علي الأول بن المهدي العباس ، وكان لقواته الغلبة على قوات الإمام المنصور علي الثاني التي جهزها بقيادة الشيخ علي مثنى الجرادي صاحب عنس وغيره ، كما تحرك الشريف حسين على رأس بقية قواته الى اليمن الأسفل لتعزيز قواته وذلك في بداية عام (١٢٦١ هـ) واستولى على مدينة تعز ، وعلى بلاد ذي سفال بعد وصوله اليها .

---

(١٦) ص ١١٥ .

(١٧) حوليات يمانية من ص ١١٩ .

كما استولى على جبل صبر وعلى قاهرة تعز واضطربت الأمور في اليمن الأسفل على الإمام المنصور علي الثاني ، وتجاوز الى القسم الأعلى .

وجدد الإمام المنصور علي الثاني الوزارة للقاضي يحيى بن علي الردمي بعد عزل القاضي يحيى بن علي الأرياني تلافياً للأمور دون جدوى .

في حين شدد الشريف حسين بن علي حيدر وطأته على المنطقة الوسطى واليمن الأسفل وتهامة تنفيذاً لأوامر الحكومة التركية ، وتمهيداً لتسليم جميع ما استولى عليه الى الأمير محمد بن يحيى بن المنصور علي الأول المذكور وبحسب أوامر الحكومة التركية ايضاً فيما يبدو .

وكان هذا قبل دعوته قد سيطر على بلاد ريمة ووصابين وعتمة وذمار وآنس وبلاد يريم بمساندة الشريف حسين بن علي حيدر كما علمنا وبمساندة أهل هذه المناطق كما سنعلم .

ومع ذلك فقد تحرك الإمام المنصور علي الثاني من صنعاء على رأس قواته لحرب محمد بن يحيى المذكور الذي قد دعا في مدينة ضوران آنس في بداية عام ١٢٦١ هـ ، وعسكر المهدي (المنصور علي الثاني) في رأس نقيل يسلح ، بينما عسكر الإمام المتوكل في قرية ضاف اعلى بلاد جهران ، وقامت حرب بين الإمامين لم تحقق للمهدي النصر الذي كان يرجوه ، بل أنّ الكثير من عسكره خرجوا عليه وانضموا الى معسكر الإمام المتوكل ، وبذلك ايقن الإمام المهدي انحلال امر بقية عسكره وا نهيار معنوياتهم ، وقبل الصلح الذي عرضه عليه منافسه المتوكل ، تنازل للمتوكل بموجبه ، ووصل الى مخيم الإمام المتوكل في بلاد جهران وبايعه لتأكيد ولائه ، وعادا معاً الى صنعاء ، وذلك في السابع من شهر جمادي الأولى من العام المذكور (١٢٦١ هـ) .

وأطلق الشريف حسين بن علي حيدر للمتوكل ما كان قد استولى عليه من المصريين في بلاد تعز وغيرها مما كان المصريون قد استولوا عليه باسم الحكومة التركية ، وتبادل الجانبان الهدايا ، وكان اشراف المخلاف السليماني هم ركائز الأتراك في اليمن ، كما كان اسلافهم هم ركائز الأيوبيين ، وكان

المخلاف السليماني هو الباب المفتوح إلى اليمن للغزاة .

هذا[١٨] وكان الإمام المتوكل المذكور قبل بروزه قد وصل الى مصر وطلب من محمد علي باشا توليته اليمن ، فرفض ذلك لما حدث بينه وبين سلطان تركيا ، فعاد الى شريف ابي عريش حسين بن علي بن حيدر المذكور والذي كان يرتبط رأساً بتركيا ، وتقدم اليه بنفس الطلب ، فوعده بذلك ، وصادف وصول مشايخ ريمة الى الشريف حسين يطلبون منه وصوله لحكم بلادهم خروجاً من حكم الإمام المنصور علي ، فجهز محمد بن يحيى بقوة استطاع أن يبسط نفوذه فيها وفي غيرها في المنطقة الوسطى كما سلف ، وذلك بمساندة أهلها ، وبموافقة الحكومة التركية كما يبدو للمزيد من سلخها عن نفوذ والي مصر محمد علي الذي كان يطمع كما أشرنا أن ينشيء له دولة في مصر والسودان واليمن والحجاز منفصلة عن تركيا .

وصول الأتراك الى صنعاء للمرة الأولى في حكمهم الثاني لليمن وخروجهم منها

بدأ هذا الحدث بأحداث الحرب التي شنها الإمام المتوكل محمد بن يحيى ابن المنصور علي الأول بن المهدي العباس على الشريف حسين بن علي ابن حيدر شريف المخلاف السليماني في سبيل انتزاع تهامة من يده ، وإخراجه من الحديدة ومن سائر موانيء مدن تهامة ، وكان الشريف حسين قد ضعف جانبه منذ[١٩] تغلب عليه شيخ باجل علي حميدة في الحرب التي قامت بينهما في عام (١٢٦٢ هـ) .

وكان[٢٠] الإمام المتوكل قد قاد جيشه لحرب الشريف حسين بنفسه في نهاية عام (١٢٦٢ هـ) المذكور ، بعد ان حشد جموعه من مختلف القبائل

---

(١٨) اللطائف السنية (مخطوط) .

(١٩) حوليات يمانية من ص ١٣٦ .

(٢٠) الكبسي في (اللطائف السنية) مخطوط وحوليات يمانية من ص ١٤٩ .

اليمنية ، ووصل بها تهامة في بداية عام (١٢٦٣ هـ) حيث انضمت اليه قبيلة الجرابح وقبيلة القحري وعلى رأسهم شيخهم علي حميدة الذي سبق له ان حارب الشريف حسين بن علي بن حيدر وهزمه ووصل الشريف حسين الى القطيع ومعه جموعه والمدفع الذي أهداه له سلطان عمان (سعيد بن سلطان بن أحمد آل بو سعيدي) صاحب مسكات (مسقط) ، وقد داخل الرعب جيش الإمام لما يعرفونه من جرأة وشجاعة الشريف حسين وتفوقه بالمدفع المذكور ، ولكن الإمام المتوكل المذكور قوى من عزائم جنده وعبأهم كما عبأ الشريف حسين اصحابه وقامت معركة اسفرت عن اصابة الشريف حسين بثلاث رصاصات وانهزام جيشه ووقوع المدفع في ايدي جيش الإمام بعد مقتل طبشيته ولجوء الشريف بالقطيع ، تحت حماية خاصته ، فحاصره الإمام فيها حتى سلم نفسه اليه ، وضرب له الإمام خيمة بجانب خيمته ، وتم عقد صلح بينه وبين الإمام على ان يتسلم الإمام المتوكل جميع تهامة باستثناء ميناء الحديدة فيكو ن للشريف حسين ، وأنفذ الإمام عماله الى مختلف مدن تهامة ، ثم سار بنفسه وبصحبته الشريف حسين لتسلم زبيد فالمخا ، وحينما غادر زبيد الى المخا وضع الشريف حسين عند خولان في زبيد لحفظه والمحافظة عليه وكرهينة لديهم بما يطلبون من الإمام من الأموال مقابل مناصرتهم له في حربه مع الشريف حسين ، وقد تمكنت قبيلة يام المناصرة للشريف حسين من شرائه من قبيلة ذي حسين وكان عامل الحديدة للشريف حسين وهو ابن عمه الشريف الحسن بن محمد قد أعطى تلك الأموال لاستنقاذ الشريف حسين ، ثم استعادت يام مدينة زبيد للشريف حسين ، وقد تحرك الإمام من المخا حتى وصل حيس في طريقه الى زبيد لاستعادتها من ايدي يام والأشراف اصحاب المخلاف السليماني .

ولكنه أدرك في حيس أنّ جنده قد تناقص ولم يبق بجانبه إلا ذو محمد برئاسة النقيب أحمد بن صالح ثوابة الذي بدت المراسلات بينه وبين الشريف حسين ابن علي بن حيدر على ان يسلم اليه الإمام المتوكل مقابل اموال وافرة يسلمها اليه ، وكاد النقيب ثوابة ينفذ مؤامرته مع الشريف حسين لولا أنّ الإمام ادرك الأمر فأقطع النقيب ثوابة بلاد يريم مقابل وقوفه الى جانبه ، وقبل ثوابة عرض

الإمام واستطاع الإمام ان ينسحب من حيس وعاد الى يريم ، وفيها قبض على النقيب احمد صالح ثوابة المذكور بعد ان حشد القبائل اليه من الرياشية وصباح في بلاد رداع ومن الأعماس وعمار في بلاد النادرة وخبان ومن بلاد عنس وغيرهم ثم عاد الى صنعاء .

كما تقدم الشريف حسين بن محمد نائب الشريف حسين بن علي حيدر بن علي من الحديدة نحو المخا بغية استعادتها للشريف الحسين ، ولكن عاملها للإمام المتوكل الأمير فتح محمد صرفه عنها بالأموال وعاد الى زبيد .

وفي اثناء ذلك دعا السيد احمد بن هاشم الويسي الكوكباني الإمامة لنفسه في صعدة وتلقب بالمنصور .

كما دعا الإمامة لنفسه في بلاد ذمار السيد حسين بن المتوكل احمد بن المنصور علي الأول وكان عامل الإمام المتوكل محمد بن يحيى على بلاد يريم وساندته قبيلة ذو محمد اتباع احمد بن صالح ثوابة الذي قبض الإمام المتوكل عليه واعتقله ، ولم يهتم الإمام المتوكل بدعوة الويسي لبعد بلاد صعدة عن مناطق نفوذه ، ولكنه خرج من صنعاء على رأس جيشه لحرب حسين بن المتوكل في بلاد ذمار واضطره الى الفرار ، ثم امر باخراج احمد بن صالح ثوابة من الحبس وأمر بقتله ردعاً لقبيلته التي ناصرت وساندت السيد حسين بن المتوكل ، ثم اقطعهم قرية بضعة في بلاد البخاري ارضاء لنفوسهم وتطييباً لخاطرهم بعد قتل شيخهم المذكور وبعد توسطهم في تنازل حسين بن المتوكل الذي عفا عنه الإمام المتوكل واسكنه دار الحجر في وادي ظهر وأجرى له النفقات اللازمة ، ولم يلبث الإمام ان قبض عليه في نفس العام وأودعه السجن في صنعاء ، وقد انتهت هذه الأحداث في عام ١٢٦٥ هـ .

وفي العام المذكور وصل الى الحديدة توفيق باشا (نائب الدولة العثمانية في الحجاز) على رأس جيش كبير مجهز من السلطان في تركيا ، وبمعيته شريف مكة (محمد بن عون) ، وخيّم الأتراك خارجها ، ولم يدخلوها ولم يسيئوا الى احد من اهلها تمهيداً لإعادة نفوذ الدولة العثمانية في اليمن .

ومن الحديدة راسل توفيق باشا الإمام ، أو أنّ الإمام المتوكل محمـد بن يحيى راسله (على اختلاف في آراء المؤرخين) ، وتمت المراسلات على اعلان الإمام رغبته في الالتقاء به وتحددت مدينة باجل مكاناً لالتقائهما ، وبعد مشاورة الإمام لوزرائه تحرك من صنعاء بجمع كبير نحو باجل مشعراً رجالـه أنّ توفيق باشا انما قدم الى اليمن لمساندته ضد القبائل اليمنية الخارجة عليه والتي يتكرر خروجها عن طاعته ، وهذا يؤيد الـرأي القائـل بأن الإمـام هو الـذي طلب وصول الباشا الى صنعاء ، كما تحرك الباشا بدوره من الحديدة الى باجل عـلى رأس قوة كبيرة من قواته ، قدرت بألفين من المشاة وخمسمائة فارس ومدفعيـين واثقال ومؤن وعتاد تحملها سبعمائة جمل .

وبعد اجتماع الإمـام والباشـا توفيق في بـاجل تحـرك الجميع منهـا نحو صنعاء ، وقد تقدم الإمام المتوكل اليها بأيام لوضع الترتيبات لاستقباله وقواته فيها ، في حين لحق بـه الباشـا مع ولـده سيف الخلافـة (غالب بن محمـد بن يحيى) والإمام المخلوع المنصور الثاني علي بن المهدي عبد الله ، كما في بعض المصادر التأريخية ، وكان المتوكل على هذا القول قد أخرجه من السجن وأرفقه معه الى باجل للمزيد من تأييد موقفه في استدعـاء الأتراك الى صنعـاء ، وهنا اختلفت آراء المؤرخين عن الأسباب التي حملت سلطان تركيا على ارسال نائب الحجاز توفيق باشا الى اليمن وإعادة بسط نفوذ تركيا فيه .

فالمؤرخ الكبسي ذهب في[٢١] تأريخه الى أنّ ذلك كان عن شكوى حاكم المخلاف السليماني الشريف حسين بن علي حيدر وهو نائب الحكـومة التـركية على تهامة منذ خروج قوات والي مصـر محمد عـلي باشـا الى اليمن والاستيلاء عليها وتسليمها اليه وذلك بسبب تقلص نفوذه في الكثير من المنـاطق التهاميـة واستيلاء الإمام المتوكل عليها ، بينما ذهب المؤرخ صاحب (حوليات يمانيـة) أنّ تجهيز السلطان العثماني لتوفيق باشا الى اليمن انما كان بسبب شكوى أهل تهامة من جـور الشريف حسين[٢٢] بن علي بن حيـدر في تهامـة خلال نفـوذه

(٢١) اللطائف السنية (مخطوط) .
(٢٢) ص ١٦٨ .

عليها ، والأول أقرب لاعتبارات كثيرة ومنهـا : أنّ الأتراك انمـا ارسلوا توفيق باشا الى اليمن لتقلص نفوذ الشريف حسين بن علي بن حيـدر في تهامـة بعد حرب الإمام المتوكل له ونقضه العهد الذي بينهما منذ سـانده الشـريف حسين له ضد الإمام المنصور الثاني المذكور وأوصله الى الحكم كما عرفنا .

ولأن الأتراك شعروا بأن الفرصة مواتية لهم لبسط نفوذهم على اليمن بعد بسط نفوذهم على الحجاز للسيطرة عـلى موانىء البحـر الأحمر وإعـادة حكمهم للجزيرة العربية ، سيما والحاكم في اليمن هو الإمام المتوكل المذكور ، صنيعـة نائبهم الشريف حسين بن علي المذكور ، وأصحبوا توفيق بـاشا بشـريف مكة محمد بن عون المذكور لتأكيد عزمهم على بسط نفوذهم على جميع اجزاء الجزيرة العربية .

أمّا الإتفاق الذي عقده الإمام المتوكل مع توفيق باشـا في باجـل والذي كان على اساسه تحرك الباشا الى صنعاء فهو[٢٣] كالآتي :

أولاً ـ انّ البلاد الواقعة تحت نفوذ الإمام يمكنها أن تستمرّ كذلك على ان يكون ممثلاً للباب العالي العثماني .

ثانياً ـ ان يقسم مدخول البلاد الى جزئـين ، واحد يـذهب الى خزينـة الباب العالي ، والثاني يبقى في حوزة الإمام ليصرف في مصالح البلاد .

ثالثاً ـ ان تبقى في صنعاء قوة تركية من ألف جندي .

رابعـاً ـ أن يحصل الإمـام على سبعـة وثلاثـين ألف ريال راتبـاً شهريـاً لمصروفاته ، وتخصم قبل تقسيم المحصول الى جزئين .

أمّا عن دخول توفيق باشـا الى صنعاء ومـا سبقه من تمهيـد لذلـك فقد تحدث عن ذلك في (حوليات يمانية)[٢٤] فقال : « ووصل صنعاء يوم عشرين

---

(٢٣) حمزة لقمان في (معارك حاسمة) ص ١٤٥ .

(٢٤) ص ١٧١ .

في شهر شعبان من السنة المذكورة (١٢٦٥ هـ) فرمان عن تشاور بين الشريف (يعني الشريف محمد بن عون) والباشا توفيق والمتوكل محمد بن يحيى توطئة منهم وتمهيداً وتغريراً وتلبيساً، وأمروا الشيخ أبا زيد يأمر الخطيب بقراءته يوم الجمعة على الناس ، تضمن أنّ السلطان أمر الشريف محمد بن عون والباشا بنصر المتوكل ، وان محكم البلاد الى الإمام والولاية للسلطان ، بواسطة الشريف محمد بن عون ، ففطن بذلك أولوا الألباب ، وبعد ذلك وصلت كتب من المتوكل الى الوزير والأمراء يأمرهم بتفريغ القصر ، قصر صنعاء المحمية للأتراك ، وأوهمهم أنه يريد حفظهم عن مخالطة الناس ، فترددوا في ذلك ، وأرسل لعقال الجُنْد ومن يرجع القول اليهم بنزر من الدراهم المقبوضة من العجم ، وأمر بحفظ نقيل عصر من القبائل خوفاً من هجومهم على العجم ، وحفظ ذلك همدان وجماعة من حاشد . وفي يوم تاسع وعشرين من شعبان وصل سيدي الإمام صنعاء وبسط للناس شباك الحيل ، وأوهم كل احد بإيهام على قدر عقله ، ويقرب في ذهنه ، وكل ذلك ترغيب للناس وتحسين لفعله القبيح بوصول الأتراك ، وكثرت أموالهم وأنهم من أعوانه على البغاة بالأموال والأنفس ، والناس في وجل عظيم ،ولكنهم يظنون صدق المتوكل بوفائه لهم فيما مضى في مدة خلافته ، وفيما يزعم لهم ، فأول مصيبة اخراج من سكن جوار القصر من بيوتهم والتزم التعويض لهم في بيوت صنعاء ، وتسليم الأثمان لهم وهو مضمر المطل ، وخرجوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ، وفي شهر رمضان والناس في هرج ومرج متوقعون ما ينزل بهم ، ولكنهم ظانين أنّ الإمام لا يخدعهم ويخون أمانته » . وأضاف قائلاً :

« وفي خامس شهر رمضان تواترت الأخبار بوصول الأتراك في اليوم الثاني ، وأمر المتوكل الناس بلقائهم الى عصر .

وفي يوم الخميس اشرقت راية الأتراك على صنعاء من نقيل عصر ، وكثّر المتوكل سوادهم بقبيلة همدان والبستان وأهل الحيمة ، ولقيهم من صنعاء بالأجناد الى وسط القاع الغربي ، وعجب الناس من كثرة الأثقال وكثرة الجمال والخيل ، واستبشعوا خلقهم ولبسهم حيث لم يعرفوهم ، وبعد اختلاط العرب

والعجم نظر المتوكل في الأصلح لكمال الخديعة ، فأمر العرب جميعاً بدخولهم من باب قاع اليهود ، وأمر بتغليق بئر العزب وصنعاء ، ولما دخلت المدينة بأجمعهم يظنون أنّ الإمام ورائهم ،وغلقت الأبواب،وأمر العجم بدخولهم من عدني صنعاء باب اليمن في الماضي باب الحرية حالياً ، حتى يدخلوا القصر ، وتقدمهم الإمام بمن معه يقودهم الى القصر وهم يتبعون بعده ، ويهولون على الناس بكثرة الأسلحة ورمي البنادق واظهار الزينة والقوة ، وتوفيق باشا متوسط بين الحمولة والرجال وقد نصبت له مظلة مذهبة وغزلوا بها على رأسه كما يصنع أهل اليمن للخلفاء ، وقد لبس من الثياب الفاخرة ما لا يسع بسطه ، ونصب العمامة على رأسه والخدم محيطون به ، والخيل الكثيرة تقاد بين يديه ، وقادهم المتوكل ، وأمر الوزير بتأهيب الأطعمة والعلف وجميع ما يحتاجون ، وقبل وصولهم أمر المتوكل بجر المدافع التي بصنعاء تقاد الى القصر الكبير والصغار ، وقبض ذلك الأتراك حتى لا يبقى لأهل صنعاء عليهم سلطان والله غالب على أمره . وضربت الخيام من باب البكيرية الى قرب باب اليمن لأجل التطويل والتهويل وفيهن قليل ترك والكثير تفرقوا في القصر ، وقد داخلهم العجب والفرح ، لأنهم ظانين ان ما يملكون القصر (هكذا) ، والناس لا يعلمون أنّ الإمام سلم لهم المملكة وباع الدور ، وأضمر للرعية الخدع ، وباع دينه بدنياه وظن السلامة وأمن مكر الله » .

ثم ذكر نزول توفيق باشا في صباح اليوم التالي ليوم دخوله صنعاء الى بستان السلطان لمباشرة أمور الدولة فيه ، وأن المتوكل اعلم الناس بأن أمورهم صارت الى الباشا ، وخطب للسلطان على منبر جامع صنعاء ، وذكر ثورة أهل صنعاء على الأتراك في شوارع صنعاء ، ونحرهم نحر الجزور وأنهم ضربوهم بالفؤوس والخشب وطعنوهم بالجنابي ورموهم بالبنادق ، وغنموا اموالهم وقطعوا خيامهم التي نصبت في البكيرية ولم يفلت إلا من فر الى القصر ، وامتلأت الشوارع من قتلاهم وانزل الله عليهم الذلة والمسكنة ، وانه لم تمض ساعة من نهار حتى اتوا على آخر من في صنعاء من العجم (الأتراك) (اي من كان خارج القصر) ، وانه اغلقت ابواب صنعاء وتحصن الإمام المتوكل في

بستان المتوكل ، وكانت ثورة الناس على الأتراك يوم الجمعة السابع من شهر رمضان من نفس العام (١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) .

وفي اليوم التالي السبت الثامن من شهر رمضان من العام المذكور قام الأمير يسر (أمير الجند) وأجمع رأي أهل الحل والعقد على مبايعة علي بن المهدي عبد الله للمرة الثالثة وتلقب بالمهدي وهو لقبه في بيعته الثانية وأودع الإمام المتوكل محمد بن يحيى حبس دار الجنات في صنعاء وقيدوه بالحديد ، وأغلقت أبواب صنعاء دون القبائل خشية قيامهم بنهبها كعادتهم في مثل تلك الأحوال .

كما استجمع الأتراك الذين في قصر صنعاء قواهم واستعادوا أنفاسهم خلال هدوء العاصفة بعد حبس المتوكل محمد بن يحيى وتنصيب الإمام المهدي (المنصور علي الثاني سابقاً) وأصلحوا متاريسهم وهيّئوا مدافعهم وبدأوا يضربون بها تارة الى الهواء وتارة الى خارج صنعاء ، بغية تفريق القبائل الذين يتجمعون حولها ، كما قام أهل صنعاء من ناحيتهم أيضاً بدفع القبائل ورميهم حتى صرفوهم عنها .

وقد انتهى امر الأتراك الى خروجهم من القصر وانسحابهم الى تهامة بموجب إتفاق عقده معهم الوزير محمد بن احمد الغفاري ، بعد ان شدد أهل صنعاء الضغط عليهم برميهم من أعلى الدور والصوامع إلى القصر ، وأخذ من وجد منهم في شوارع صنعا أسرى ، وبعد أن أمّن أهل صنعاء لهم المرافقين للحيلولة دون الغدر بهم اثناء سفرهم من صنعاء إلى تهامة .

قال مؤلف (حوليات يمانية)[٢٥] : « ولقد شاهدت باشتهم عند دخوله بما ذكرت لك مما عليه من الملبوس والخدم بين يديه والمظلة تغزل على رأسه والعمامة ولباسه الفاخرة ونظرته عند خروجه هو وحفدته ، وعليهم الذلة والقلة وقد وضع على رأسه قلنسوة خلقة ما تساوي درهم ، ولبس اداة رثة الثياب ،

---

(٢٥) ص ١٨٢

وخرج خائفاً يترقب ، وصار يرمق أهل صنعاء شزراً ، وهم فوق السور سور على السور » .

وأضاف قائلاً : « وتوجه الترك نحو تهامة وصحبهم مشايخ الحيمة والوزير احمد محسن الآنسي الى صيحان في بلاد حراز ، واكتفل بتأمينهم المكرمي وأهل حراز وصحبوهم الى تهامة وذلك مأمنهم ومظلة سلامتهم من العرب » .

وأضاف أيضاً : « ولم يزل النهب والاختلاس والتلصص من العرب لأموالهم وأمتعتهم وخيلهم حتى دخلوا تهامة ، ودخل الشريف محمد بن عون مكة المشرفة ، وبقي توفيق في الحديدة يعالج جراحه » .

كما ذكر الحادث في (صفحات مجهولة من تأريخ اليمن)[٢٦] ومما ذكره قوله : « وانحاز محمد بن يحيى (يعني الإمام المتوكل) في بستان السلطان ، ورتب على نفسه الى اثناء ليلة السبت ، وكتب الى السيد علي بن المهدي (المنصور علي الثاني) يحثه ويحرضه على القيام بالأمر وتسكين الدهماء ، فاستعدّ بعد اللتيا والتي ، وتكنى بالمهدي وصاح الصائح بالأمان ، ولكن العامة والأجناد لم يستقر حالهم يريدون محمد بن يحيى ، فقصدوه مراراً لضبطه أو قتله ، فدفعتهم الرتبة فاضطرّ المهدي الى حبسه في بيت السيد اسماعيل الأمير احد الوزراء السابقين ، ورتب عليه نحو خمسين نفراً من التوابع » .

وأضاف قائلاً : « وأيس الناس عن ذلك (أي عن خروج الأتراك من صنعاء) الى صبح العيد الأثنين (عيد الفطر) ، وبقيت الأبواب مغلقة ووقع الشداد وقت الظهر ، وقبضوا الرهائن وخرجوا من باب ستران الوقت الذي دخلوا فيه ، وعزم الواسطة والأمير سعد يسر والتوابع والخيالة وعقال القبائل صحبتهم ، وهم أي الترك على وجل عظيم وخوف شديد ، وقلت في الحال :

الحمد لله زال البؤس والضجر   والترك ولوا فولى الغم والسهر

الى آخر ثمانية أبيات أوردها في مؤلفه المذكور كشاهد عيان ، هذا ولم

---

(٢٦) ص ٢٤ .

يعـد الأتـراك الى صنعـاء في حكمهم الثـاني في اليمن إلا في عــام ١٢٨٩ هـ ١٨٧٢م . أي بعد نحو أربعة وعشرين عاماً من وصول توفيق باشا إلى اليمن وإرغامه على الخروج من صنعاء .

أمّا الإمام[٢٧] محمد بن يحيى فإنه قُتل في السجن عقب حادث الضغط على الأتراك بالخروج من صنعـاء وذلك في عـام ١٢٦٦ هـ حيث أمر المهـدي المنصور علي الثاني بقتله بعد رجوعه الى صنعاء من حروبه مع الإمـام المنصور أحمد بن هاشم الويسي كما سيأتي .

من صور فوضى الإمامة

تنـازع الأشراف السلطة بعد خروج الأتراك من صنعاء واعتقـال الإمام المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي الأول بن المهدي العباس ، فأعيـد الى الحكم المنصور علي الثاني بن المهدي عبد الله ، وكان إعادة أهل صنعاء له اثناء ثورتهم على الأتراك في شهر رمضان من عام (١٢٦٥ هـ) ، وبناء على طلب الإمام المتوكل السجين لتسكـين الناس وتهدئتهم ، وكان احمـد بن هاشم بن محسن بن قاسم الويسي من أولاد الإمام الهادي قد دعا الإمامة في مدينة صعدة في عام (١٢٦٤ هـ) وتلقب بالمنصور .

وقد أنبرى بعد ذلك العديد من الأشراف يدعو كل لنفسه الإمامة بمجرد احساسه بمن التف حوله من القبائل بأنه قادر على تحمل أعبائها وانه أقوى من غيره ، مستغلين الصراع القائم بين (المهـدي) المنصور عـلي الثاني والمنصـور احمد بن هاشم الويسي .

فدعا عباس بن عبد الرحمن بن محمد بن الحسين بن القاسم بن احمد بن المتوكل على الله اسماعيل بن القاسم في صنعاء بشهر رجب من العام المذكـور (١٢٦٦ هـ)وتلقب[٢٨] بالمؤيد ولكنه تنازل للمنصور الويسي في شهر الحجة من

---

(٢٧) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) (مخطوط) .
(٢٨) السيد محمد محمد زبارة في إتحاف المسترشدين ص ٩٤ .

نفس العام بعد استيلاء المنصور على صنعاء إثـر تغلبه في حـرب عمران عـلى الإمام المهدي وزحفه نحو صنعاء والاستيلاء عليها في العام المذكور .

أمّا(٢٩) المهدي فإنه غادر صنعاء بعد خلعه إثر استيلاء المنصور الويسي على صنعاء واستقر فترة في وادي ظهر ، ولّما ساندته قبائل همدان وسنحان اعاد الدعوة لنفسه وتلقب بالمتوكل ، كما ساندته رتبة القصر من داخل صنعاء وتقدم لمحـاصرة صنعـاء واستطاع ان يستـولي عليها واعلن أهـل صنعاء طـاعته من جديد ، وخرج المنصور الويسي منها الى بلاد ارحب ، ومع ذلك فإنّ المتـوكل علي بن المهدي لم يستقر في صنعاء ، وغادرها الى بـلاد يريم حيث تلقـاه فيها الشيخ عبد الله مثنى فاضل وسانده وأقام في يريم فترة عاد بعدها الى منتزه وادي ظهر دون ان يستعيد نفوذه أو يتمكن من دخول صنعاء .

وفي(٣٠) اثناء إقامة المتوكل المذكور في يريم وبالتحديد في عام (١٢٦٧ هـ) دعا (غالب بن محمد بن يحيى) آنف الذكر وذلك في منتزه الروضة ، وتلقب بالهادي ، ولم يحاول الاستيلاء على صنعاء ، ولكنه انتقل الى حراز بغية الحصول على مساندة أهلها ، فلم يساندوه واضطروه الى مغادرة حراز ، حيث قصد بلاد حفاش وملحان لنفس الغاية ، وكان قد والاه بعض أهل صنعاء وتمـركزوا في الجانب الشرقي من صنعاء .

ودعا بعده عباس بن المتوكل احمد بن المهدي عبد الله وتلقب بالمهدي ، واستطاع ان يدخل صنعاء بمساندة البعض الآخر من أهلها وهم الذين لم يوالوا الهادي غالب بن محمد .

وبذلك يكون أهل صنعاء قد افترقوا فرقتين ، فرقة أقـامت على بيعتهـا للإمام الهادي غالب بن محمد بن يحيى ، وفرقة والت الإمام المهدي عباس بن المتوكل احمد المذكور ، واحتلّ الموالون للهادي الجانب الشرقي من صنعاء ، كما احتل الموالون للمهدي الجانب الغربي منها ، وقامت حرب بينهما اضطرت أهل

---

(٢٩) الكبسي في (اللطائف السنية) .

(٣٠) الاتحاف ص ٩٤ واللطائف السنية (مخطوط) .

صنعاء الى إغلاق أبواب بيوتهم ومتاجرهم ، وحتى المساجد والجامع الكبير وظلت مغلقة قرابة شهرين .

ولمّا عاد الهادي غالب بن محمد من بلاد حفاش وتمكن من دخول صنعاء انحصر نفوذه في الجانب الشرقي منها ، بينما خرج منها المهدي عباس بن المتوكل .

ولم يلبث مع ذلك ان خرج من صنعاء ايضاً الهادي غالب حيث انتقل الى بلاد برط للإستعانة بأهلها لحسم الأمور لصالحه في صنعاء وعاد بجمع منهم الى وادي ظهر ولم يدخل صنعاء وعاد الى بلاد حفاش مرة أخرى .

ويبدو أنّ انصاره المتمركزين في الجانب الشرقي بايعوا نائبه احمد بن عبد الله أبو طالب الملقب بشوع الليل وخلعوا الهادي غالب ، الأمر الذي حال دون استيلائه على صنعاء إثر قدومه من برط وانصرف الى حفاش ، ومع ذلك فلم تستتب الأمور لنائبه احمد بن عبد الله أبو طالب المذكور . الأمر الذي حمل جماعة من أهل صنعاء على خروجهم الى السر من بني حشيش وطلبوا من السيد محمد بن عبد الله الوزير من أولاد الإمام يحيى بن الحسين القيام بالدعوة ، ففعل[٣١] ذلك في سلخ شعبان من عام ١٢٦٩ هـ ، وتلقب بالمنصور واستوزر السيد محمد بن علي الشامي ،ودخل المنصور[٣٢] المذكور صنعاء وأقام في الحكم عاماً لم يتمكن من اقرار الأمور ومنع الاضطرابات ، وأحاطت القبائل من أرحب وهمدان وبني الحارث ، وسنحان بصنعاء ، وأضطرته الى الخروج منها وعودته الى السر معتزلاً للحكم ، أو أنّ أهل صنعاء خلعوه وخلعوا الإمام الآخر المهدي (المنصور علي الثاني سابقاً) وأقاموا السيد محسن بن احمد الشهاري من أولاد المطهر بن يحيى المظلل بالغمام ، وتلقب بالمتوكل ، وقد كان السيد محمد ابن يحيى حميد الدين (الإمام المنصور والد الإمام يحيى) من أعوانه وقادة جيشه ، وكانت[٣٣] دعوته في شهر شعبان من عام (١٢٧١ هـ) واتخذ المتوكل

(٣١) زبارة في (إتحاف المسترشدين) ص ٩٤ .
(٣٢) الكبسى في (اللطائف السنية) (مخطوط) .
(٣٣) (إتحاف المسترشدين) ص ٩٥ .

منتزه حدة مركزاً لإقامته .

ومع[٣٤] ذلك فلم يستمر أهل صنعاء على الولاء له وصاروا يوالُونه تارة ويعرضون عنه تارة أخرى .

ثم[٣٥] اجتمع الأئمة المخلوعون وهم : غالب بن محمد بن يحيى والعباس بن المتوكل واحمد بن عبد الله أبو طالب وأجمعوا رأيهم على تنصيب غالب بن محمد مرة أخرى ، وتعهدوا بمؤازرته ، وانتقل هو الى حضور في بلاد البستان احدى النواحي التابعة لصنعاء ، وعهد بإدارة شؤون صنعاء إلى وزيره الشيخ احمد بن احمد الحيمي ، وقامت حرب بين الوزير الحيمي المذكور والشامي وزير المتوكل محسن بن احمد الشهاري دامت شهرين ، وحوصر الشامي في منتزه سناع ، آل الأمر بعد ذلك الى التصالح .

ثم حدث اختلاف الإمام الهادي غالب بن محمد مع وزيره الحيمي ، مما حمل هذا على مراسلة الإمام المخلوع علي بن المهدي الى دار سلم من بلاد سنحان إحدى نواحي صنعاء وطلب وصوله الى صنعاء ، ولبى المهدي طلبه ، ولّما عرف الإمام الهادي غالب بن محمد بن يحيى ذلك زحف بقبائله نحو صنعاء ، فأغلق الحيمي أبوابها ، وتعذر على الهادي دخولها أو الاستيلاء عليها ، ولكنه فرض حصاراً عليها وسار هو الى خولان لجمع المزيد من قبائلها ، ثم خرج المهدي من صنعاء ، واجتمعت القبائل على خلعه مرة أخرى ، وحسمت الخلاف بين الإمام الهادي غالب بن محمد ونائبه الحيمي ، ودخل الهادي صنعاء .

كما[٣٦] دعا في هذا التأريخ السيد حسين بن محمد الهادوي في بلاد كوكبان،وتلقب بالهادي أيضاً،ودخل صنعاء في عام ١٢٧٦هـ، ولكن أهل صنعاء ومن ساندهم من القبائل حاصروه في قصر الإمارة فيها حتى أخرجوه مع سيف خلافته السيد يحيى الأبيض من صنعاء ، ونصبوا الشيخ محسن بن علي معيض

(٣٤) اللطائف السنية آنف الذكر .

(٣٥) و(٣٦) نفس المصدر اللطائف السنية و(صفحات مجهولة من التأريخ) ص ٧٢ .

شيخاً على صنعاء ، بدلاً من الحيمي فيما يبدو بعد اعتقال الإمام حسين بن محمد الهادوي للحيمي في صنعاء .

وأعلن معيض ولاءه للمتوكل محسن بن احمد الشهاري الذي كان ما يزال مقيماً في إحدى المنتزهات خارج صنعاء ، وبايعه ووصل اليه ، وانتقل معه الى حصن ذي مرمر في بني حشيش ، وأناب المتوكل عنه في صنعاء سيف خلافته السيد محمد بن قاسم الحوثي .

ثم لم يلبث الشيخ محسن معيض ان خرج عن طاعة الإمام المتوكل الشهاري ،واستدعى إلى صنعاء الهادي غالب بن محمد ،في حين تقدم الإمام المتوكل بقواته من القبائل وحاصر صنعاء ، واضطر الهادي غالب بن محمد الى الخروج منها ، ثم تصالح مع محسن معيض وكان من بين بنود الصلح ان يكتفي المتوكل بالخطبة وشيخ صنعاء وقاضيهم منهم ، وصار الإمام المتوكل يتنقل بين سناع وحزيز وهما لا يبعدان عن صنعاء إلا ببضع كيلومترات دون أن يدخلها . واستمرّ الأمر كذلك حتى وصلت الأتراك إلى صنعاء للمرة الثانية في حكمهم الثاني في اليمن ، وكان وصولهم صنعاء هذه المرة في عام (١٢٨٩ هـ) وانتقل الإمام المتوكل بعد ذلك الى بلاد حاشد ، وأقام فيها الى وفاته في مدينة حوث عام (١٢٩٥ هـ) هذا وقد تناول كل من صاحب (حوليات يمانية) وكتاب (صفحات مجهولة من تأريخ اليمن) باسهاب هذه الأحداث والإضطرابات من جراء فوضى الإمامة وتلاعب من بأيديهم النفوذ من أهل صنعاء وذلك بين مقتل رجل الدولة القاسمية في آخر عهدها المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي الأول بن المهدي العباس وبين وصول الأتراك المشار اليه .

وكان آخر من دعا في[٣٧] فترة الإضطرابات هذه السيد حسين بن المتوكل احمد الملقب الذعرور والذي دعا في عام ١٢٨٢ هـ في الروضة وتلقب بالهادي ودخل صنعاء بمساندة الشيخ محسن معيض في عام (١٢٨٤ هـ) ولم تطل مدة نفوذه .

---

(٣٧) اللطائف السنية أيضاً و(صفحات مجهولة أيضاً من ص ٩٦،) .

حركة امير عسير محمد بن عايض ودخول الأتراك صنعاء
(١٢٨٧ - ١٢٨٩ هـ - ١٨٧٠ - ١٨٧٢ م)

كان الأتراك بقيادة توفيق باشا قد انسحبوا من صنعاء الى الحديدة في عام (١٢٦٥ هـ) عقب دخولهم صنعاء عند ثورة اليمنيين فيها عليهم ، واعتقال الإمام المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور علي الأول بن المهدي عبد الله الذي ادخلهم الى صنعاء ، لوضع حد لتعنت القبائل بالرغم من أنه كان قوياً في نفوذه بل ويعتبر رجل بيت القاسم في آخر عهدها كما عرفنا كل ذلك .

وفي الحديدة وفي بعض مدن تهامة تجمع الأتراك يرقبون الأحداث في صنعاء وفي غيرها من المناطق الخارجة عن نفوذهم ، ويتحينون الفرصة للعودة الى صنعاء ، وبسط نفوذهم فيها وفي غيرها في حكمهم الثاني في اليمن ، وقد أتاح الفرصة لهم للعودة الى صنعاء قيام(٣٨) أمير عسير الجبال (محمد بن عايض بن مرعي) بثورته ضدهم والزحف بقوات كبيرة في شهر رمضان من عام (١٢٨٧ هـ) الى المخلاف السليماني والاستيلاء على مدنه بما فيها القنفذة وصبيا وأبي عريش وغيرها ، ثم مواصلة زحفه الى تهامة وبسط نفوذه عليها حتى زبيد والمخا ، باستثناء الحديدة التي كان فيها قوة كبيرة من الأتراك تحت إمارة (علي باشا الحلبي) ، الذي استطاع ان يرد أمير عسير عنها ، واضطره الى التراجع عن تهامة الى عسير مرتكباً في تهامة ومدينة الزيدية بالذات فظائع من النهب والسلب والقتل تنفس فيها عن صدمته بانهزامه وعبّر بها عن خيبة أمله في حركته التي هدف منها في الظاهر الى طرد الأتراك من اليمن ، والاستيلاء على منطقة تهامة ومخلاف عسير وضمها الى نفوذه في بلاد عسير في حقيقة الأمر .

ومع انهزامه من تهامة وفشله في حركته العدوانية على المناطق الآمنة في مخلاف عسير وتهامة ، فقد قامت الحكومة التركية في عام (١٢٨٨ هـ) بارسال

---

(٣٨) محمد بن اسماعيل الكبسي في (اللطائف السنية) آنف الذكر (مخطوط ، واسماعيل بن محمد الوشلي في (ذيل الثناء الحسن) ص ٢٢ . والدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ٧٧ .

حملة عسكرية قوامها ستة آلاف مقاتل ، بمعداتهم ومدافعهم لتأديب أمير عسير محمد بن عايض المذكور ، ولدعم نفوذهم في مخلاف عسير وتهامة وبسط نفوذها في صنعاء وغيرها من مناطق اليمن التي ما زالت خارجة عن نفوذها ، ووصلت القوات التركية بقيادة رديف باشا الى ميناء القنفذة في المخلاف السليماني ، ومنها أرسل رسائله إلى امير عسير يدعوه الى اعلان ولائه للدولة التركية وتبعيته لها ، وكإنذار رأى ضرورة أن يسبق حركته العسكرية ضده ، ولما لم يجد رديف باشا الإستجابة والخضوع من أمير عسير المذكور زحف بقواته من ميناء القنفذة نحو عسير في الشمال من المخلاف السليماني واحتل مدينة (حلي بن يعقوب) التي تعتبر آخر مدينة في المخلاف المذكور على حدود منطقة عسير التي يسيطر محمد بن عايض مباشرة عليها ، وربما كانت حلي بن يعقوب آنذاك تقع تحت النفوذ المباشر لأمير عسير المذكور .

وقد فصّل الدكتور (فاروق عثمان اباظة) في كتابه (الحكم العثماني في اليمن)[٣٩] آنف الذكر الدور الذي قامت به الحملة العثمانية بقيادة رديف باشا لإخماد ثورة (محمد بن عايض) المذكور مستنداً الى المؤرخ (محمد أحمد العقيلي) في كتابه (تأريخ المخلاف السليماني والجنوب العربي) فقال : « على أنّ رديف باشا بعد ان انتصر على رجال قبائل المع في (حلي بن يعقوب) اليمنية الموالية لأمير عسير واصل زحفه حتى وصل الى (وادي العوص) وتسلقت قواته (العقبة الصعبة) ونصبت خيامها في سطح (تهلل) ، وقد ارتبكت خطة دفاع محمد بن عايض ، فاضطر إلى الإنسحاب محاولاً القيام بحركة خاطفة لمفاجئة العثمانيين بالهجوم ، غير انه مني بالفشل واضطر إلى الإنسحاب تجاه (الحفير) ، بينما تقدم القائد العثماني واحتلّ (السقا) وضيّق الخناق على أمير عسير الذي التجأ الى قرية (ريدة) (في بلاد عسير) وتحصن بها ، ونظراً لما امتازت به قرية ريدة من حصانة طبيعية ،وما أعده ابن عايض فيها من وسائل الدفاع فإنّ الأتراك لم يظفروا من هجماتهم المتتالية عليها بطائل ، فأصدر القائد

(٣٩) ص ٧٨ .

العثماني رديف باشا أوامره الى قسم من الجيش الاحتياطي المرابط في ميناء (القنفدة) بأن يبحر الى (الشقيق) بقيادة (احمد مختار باشا) ثم يزحف بقواته العثمانية الى قرية (ريدة) من جهة الغرب ، وقد نجحت هذه الخطة لأنها جعلت القرية محصورة بين قسمي الجيش العثماني .

وهكذا شدد العثمانيون الهجوم على قرية ريدة ، من الشرق بقيادة (محمد رديف) ومن الغرب بقيادة احمد مختار باشا ، واستمرّ القتال خمسة أيام متوالية ، ضعفت بعدها مقاومة العسيريين ، ودبّ اليأس في قلوبهم ، كما أنّ الخيانة لعبت دورها في هزيمة أمير عسير حتى استسلم من اتباعه كل من كان في قصر (شهدان) كما استسلم (آل مفرح) . ولم يَجِدِ ابن عايض لدى حرسه الخاص ورجاله المقربين الرغبة في المثابرة على المقاومة والدفاع ، وأخيراً استسلم العسيريون للأتراك الذين حاصروا قصر أميرهم محمد بن عايض ، مما أضطرّه أخيراً إلى طلب الأمان من الترك ، ثم سلم نفسه اليهم بعد أن تعهد قائدهم احمد مختار باشا بتأمينه » .

وأضاف المصدر(٤٠) المذكور قائلاً : « بل أنّ القائد العثماني رديف باشا عندما عاد من (السقا) ودخل قرية ريدة في اليوم نفسه الذي دخلها فيه زميله احمد مختار باشا شاهد محمد بن عايض جالساً بجوار مختار باشا ، فأصدر أوامره بالقبض عليه وايداعه السجن غير مراعٍ لما قطع له من العهود من قبل زميله ، ولِماجَاء بالفرمان من قبل السلطان العثماني نفسه (والذي حصل عليه لتأمينه محمد بن عون أمير مكة) ، بل أنّ رديف باشا في مساء تلك الليلة أمر بقتل محمد بن عايض مع خمسة وثلاثين شخصاً من رؤساء رجال العسيريين وكان ذلك في شهر ابريل سنة ١٨٧٢ م صفر سنة ١٢٨٩ هـ » .

وقد ساعد وصول القوات العسكرية بحراً إلى ميناء القنفدة آنذاك إفتتاح قناة السويس للملاحة بعد اكمال حفرها ، والتى واصلت بين البحر الأحمر فى

---

(٤٠) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ٧٨ .

الجنوب والبحر الأبيض المتوسط في الشمال ، وكـان افتتاحهـا رسمياً في عـام ١٢٨٩ هـ .

ولّما انهى القائد التركي (رديف باشا) مهمته ضد حركة أمير عسير محمد بن عايض بن مرعي المذكور وقضى عليه ، وضمن بسط نفوذ حكومته في بلاد عسير الجبال مباشرة الى جانب نفوذها في مخلاف عسير تهامة عاد الى تركيا .

وصدرت الأوامر التركية لزميله (مختار بـاشا) بـالاضطلاع بـالأمور في المنطقة ، ومواصلة مهمة بسط نفوذ تركيا على صنعاء وسائر الأجزاء اليمانية التي ما زالت خارجة عن نفوذها في حكمهم الثاني والأخير في اليمن .

وقد تزاملت رغبة تركيا الجامحة لإعادة احتلال صنعاء وبقية مناطق اليمن مع رغبة بعض الأئمة وكبار رجالات اليمن ورجالات صنعاء بالذات ، بعودة الحكم العثماني في اليمن ، لوضع حد للإضطرابات القائمـة في اليمن بسبب المنازعات بين الأئمة وأدعيائهم ، وكان قـد بلغ عدد الأئمـة بين مقتـل الإمام المتوكل محمد بن يحيى إثر خروج توفيق باشا والأتراك من صنعاء عام ١٢٦٥ هـ وبين عودتهم هـذه في عام ١٢٨٩ هـ أحـد عشر إمـاماً سبق ذكـرهم وتفصيل الأحـداث المريـرة في الفترة المـذكورة ، والتي لعبت القبـائل أدواراً إيجـابية في زيادتها .

ذلك[٤١] ان الشيخ احمـد الحيمي كبير عقـال صنعاء يـومها وغيـره من الأعيان بعثوا رسائلهم الى السلطان عبد العزيز بواسطة شريف مكة محمـد بن عون المذكور ، يدعونه ويحثونه على سرعة اصدار اوامره الى القوات العثمانية المرابطة في اليمن والتي كانت قد تزايدت بعد القضاء على حركة أمير عسير الجبال محمد بن عايض بالتقدم الى صنعاء وغيرها لوضع حد للفوضى والاضطرابات .

ولبى السلطان العثماني طلب اليمنيين ، وأصدر أمره الى مختار باشا قائد القوات التركية في عسير والمخلاف السليماني وتهامة بالتحرك الى صنعاء .

---

(٤١) نفس المصدر ص ٨٤ .

وتحركت القوات التركية بقيادة احمد مختار فعلاً نحو صنعاء ، ولمّا كانت في منطقة حراز قامت بإخضاع زعيم الطائفة الإسماعيلية فيها ، وبسط نفوذ الدولة العثمانية عليها تأميناً للطريق البري بين الحديدة وصنعاء لقواتها ، وألقت[٤٢] القبض على زعيمها احمد بن اسماعيل وأرسلته مع ولده الى سجن الحديدة وتوفي فيها إثر وصوله اليها .

ولمّا[٤٣] كان احمد مختار في مناخة مركز بلاد حراز بعث الإمام المخلوع علي بن المهدي ومن سانده من أهل صنعاء ومنهم الشيخ محسن معيض كبير عقال صنعاء والذي كان قد خلف الشيخ احمد الحيمي وفداً اليه من بينهم رئيس العلماء أحمد بن محمد الكبسي وزيد بن احمد الكبسي وحسين بن علي غمضان يطلبون وصوله الى صنعاء لتأديب المفسدين ثم الرجوع من حيث أتى ، قال المؤرخ الواسعي في تأريخه[٤٤] :« فهزّ لهم احمد مختار رأسه وهمهم بكلمات تركية لا يفهمونها ، فظنوا أنّ الأمر كما يريدون » .

وأضاف قائلاً : « ولمّا وصلوا الى نقيل عصر غربي صنعاء خرج الإمام علي بن المهدي والإمام غالب بن محمد والإمام حسين بن المتوكل وغيرهم من الأشراف والعلماء لاستقباله ، ودخلوا معه صنعاء ، ثم طلب احمد مختار من الإمام علي بن المهدي وسائر الأشراف بواسطة رئيس صنعاء الشيخ محسن معيض تسليم المعاقل المحيطة بصنعاء وخصوصاً القصر المسمى غمدان فسلموا له المعاقل وغفلوا عن حفظها » وكان وصول احمد مختار الى صنعاء في اليوم السادس عشر من شهر صفر من العام المذكور (١٢٨٩ هـ) ، ولم يدخلها حتى وزّع بعض قواته على المعاقل والحصون داخل صنعاء وخارجها وقريباً منها تأميناً وحماية لقواته من اليمنيين (مستفيداً من الدرس الذي وقع لتوفيق باشا في عام ١٢٦٥ هـ) .

---

(٤٢) نفس المصدر أيضاً ص ٨٩ .

(٤٣) الكبسي في (اللطائف السنية) (مخطوط) .

(٤٤) فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ص ٢٥٤ الطبعة الثانية .

وكانت الحكومة التركية قد جهزته بجيش كامل يعرف بالفيلق السابع لإعادة سيطرتها على اليمن .

ولمّا اطمئنّ احمد مختار الى سلامة وضع قواته طلب من الإمام علي بن المهدي تقديم سجلات حكومته الحسابية اليه ليتعرف من خلالها على الأوضاع المالية لحكومته ، وعلى مصادر مواردها ، فاعتذر الإمام عن تقديم ذلك بعد استشارة كبار رجال دولته (التي لا وجود لها) ، ثم تدخل الشيخ محسن معيض ونصح الوالي بأن يقوم أولاً بضرب المفسد الدفعي الذي كان قد أخاف السبيل في شعوب خارج صنعاء على حد زعم معيض (وكان بينهما منافسة) حتى يستميل احمد مختار العامة ويرهب الخاصة ، ففعل احمد مختار ذلك وسقط الدفعي قتيلاً ، وكان الشيخ علي الدفعي قد تمرد على الإمام وعلى الأتراك معاً ، وواصل نضاله لتحرير صنعاء ، ولكن الدعاية التي أشاعوها ضده ووصمه بالفساد ، ثم تجنيد الأتراك واليمنيين لحربه وعدم مساندة القبائل له أدى كل ذلك الى سقوطه شهيداً كما علمنا . وسلم الإمام علي بن المهدي السجلات بعد مقتل الدفعي ، وتمّ لأحمد مختار السيطرة الفعلية على اموال الدولة وشؤونها ، وأشرف بنفسه على استحصالها ، وضيق نطاق المصروفات على الإمام وغيره وعزل كثيراً من كبار موظفيه ، وأسند إلى الأتراك كثيراً من مهام الدولة ، ثم جهز قواته لإخضاع مختلف القبائل اليمنية وحارب كل قبيلة على حدة وكان وصول الأتراك صنعاء هذه المرة هو للمرة الثانية في فترة حكمهم الثاني في اليمن ، أمّا المرة الأولى في الفترة المذكورة فكان في عام (١٢٦٥ هـ) والذي أعقبه ثورة اليمنيين في صنعاء عليهم وإخراجهم منها كما مرّ بنا .

هذا وقبل ان نسترسل في بحث أهم احداث الحكم التركي العثماني الثاني في اليمن بعد استقرار احمد مختار باشا أول ولاة الأتراك في صنعاء في الحكم المذكور يجدر بنا أن نسجل بعض الفقرات ذات الدلالة في الموضوع مما ورد في كتاب (حوليات يمانية)[٤٥] ومنها قوله : « والذين أرسلهم الشيخ

---

(٤٥) من ص ٣٢٠ .

محسن (معيض) الى حراز هم القاضي حسين جغمان وعلي هاشم صاحب سيّان وجماعة منهم الذين على امره وإرادته ووصلوا حراز وتلقاهم الباشا احمد مختار احسن تلقي » إلى آخره وقوله : « وأمّا خبر سيدي غالب (الإمام الهادي غالب بن محمد بن يحيى) فلمّا وصلت كتب الباشا احمد مختار المنصورة من سلطان الإسلام اليه والى الشيخ دخل من الروضة صنعاء وتأهب للخلافة » إلى آخره .

وقوله : « وفي صبح يوم الخميس ثامن عشر شهر صفر سنة ١٢٨٩ هـ وصل الشيخ الحسام (محسن معيض) الى حضرة الإمام وجاءت التوابع والخيالة وجميع الأعيان وخرجوا للقاء الأتراك بعد خروج الذين لقيوا الى حراز ، ووقعت في صنعاء التنصيرة وأشعلوا النيران في جميع المدينة وصاحوا باسم السلطان وعلقت الرايات في الدوائر والنوب حق السور » .

وقوله : « ولمّا وصل الإمام الهادي الى عصر والمظلة تغزل على رأسه والمرافع والدواشين حوله ، والسادات آل الإمام سادتي حافين به وهو متبختر في دسته ، وصلت الأجناد السلطانية بخيلهم وطبولهم الغسانية والبوش الخاقانية ، وامزوا من لقيهم بالمسير ، وحثوا السير حتى وصلوا ماجل الدمة (جنوبي صنعاء) وأناخوا هناك حتى رتب القصر وغيره » .

وقوله : « وفي صبح الجمعة خرجت جميع الناس للسلام على الباشا والاستئذان لصلاة الجمعة فاعتذر احمد مختار من الدخول خشية الفتنة وكان المعقول ، ووقت الصلاة خرج الهادي بالعذبتين وعمامة بأهبة الأئمة السابقين ، واجتمع لرؤيته المتفرجون ، وخطب للجمعة الخطيب ، وذكر السلطان على عادتهم (أي الأتراك) والدعاء له ، وذكر الباشا ، وذكر الإمام الهادي » .

وقوله : « ويوم السبت قطعت الأهبة عن الإمام وقفعت العذبة (أي رفعت) ونسخت الكنية (أي لقب الإمام) ونزل من أعلى إلى أدنى ، ورفعت منزلة الشيخ (معيض) من أدنى إلى أعلى ، واستيقظ سيدي غالب من الرؤيا وعبرّ

له الشيخ محسن بخير رأيت وعامل تكون ، وجلس مدة يسيرة ورفع (الإمام الهادي غالب) عامل في عمران ، والجمعة الثانية حزب الباشاللصلاة وطمس اسمه واسم الإمام من الخطبة ، وخطب القاضي حسين جغمان ، ويوم السبت عاشر وصولهم ، ثامن وعشرين من صفر خرجوا قادمين على عبد الله بن حسين الدفعي الى شعوب وكان الباشا متضيفاً في بيت سيدي غالب (الإمام الهادي) ذلك اليوم وقد سنمعه الأعيان يقسم لا يتغدى إلا وقد أخذ الدفعي ، واستعظم الناس ذلك لما يعلموه من شدة بناء نوبة الدفعي » .

ثم ذكر قيام الباشا احمد مختار بقذف نوبة الدفعي بالمدفع حتى شقها نصفين ثم قال : « ولم تمض اربع ساعات إلا والدفعي ومن عنده يسحبوه الترك » إلى آخره .

ثم ذكر تجهيز احمد مختار الى بلاد أرحب لإخضاعهم ، وكان رؤساؤهم آل العذري قد أعلنوا خلافهم لأحمد مختار .

وذكر هذا الحادث المؤرخ محمد بن اسماعيل الكبسي في تأريخه[٤٦] ، وأضاف : بأن قوات احمد مختار بقيادة الباشا ولي الدين اخضعت القبيلة وعادت الى صنعاء بالأسرى .

كما ذكر المصدر الكبسي المذكور تجهيز احمد مختار باشا بعد ذلك على بلاد كوكبان ، وأنّ قواته حاصرت كوكبان سبعة أشهر حتى سلم أميرها احمد بن محمد بن شرف الدين بن احمد بن الحسين آل شرف الدين نفسه وأوصل الى أحمد مختار بأمان .

وتجهيز آخر من احمد مختار على قبيلة الحدأ بقيادة الباشا فضلي ، وانه استولى عليها بعد انهزام مقاتليهم ومقتل احد كبرائهم القوسي .

تتابع ولاة الأتراك على اليمن

وقد[٤٧] تتابع ولاة الأتراك على اليمن بعد الوالي احمد مختار على النحو

---

(٤٦) و(٤٧) اللطائف السنية (مخطوط) .

الآتي :

أحمد أيوب باشا (١٢٩٠ - ١٢٩٣ هـ) .

وفي عهده وبالتحديد في عام (١٢٩٠ هـ) ربط خيط[٤٨] السلك بين الحديدة وصنعاء لأول مرة في تأريخ اليمن قال المصدر . وفي سنة (١٢٩٠ هـ وقع سبار السلك خيط حديد وخشب يجنب الخيط فيه من صنعاء إلى الحديدة يسير الخبر ويرجع في مقدار ربع يوم وما ذلك إلا من عمل الشيطان ، لأنّ ما وجد في تأريخ السابقين أجمعين أو من عمل اليونان لأن قد صارت الغلبة لهم في جميع الأقطار ، نسأل الله أن يمد الإسلام بالأمصار » .

وفي عهده[٤٩] اعلنت بعض بلاد آنس خلافها فجهز قوة تمكنت من اخضاعها ، كما خالفت خولان فتقدم بنفسه الى جحانة مركز خولان واضطرهم الى الإذعان وعاد الى صنعاء مع عدد من رؤسائهم ، ثم اعلنت أرحب ثم حاشد خلافهما ولكنه أبدل بالمصطفى عاصم قبل أن يقوم بعمل عسكري ضدهما » .

المشير مصطفى عاصم (١٢٩٣ - ١٢٩٥ هـ)

ومن أولى أعمال المشير عاصم تجهيزه لحرب أرحب وقامت حرب كبيرة بين الجانبين في موضع بالقرب من بيت مران أجبرت أرحب على الإذعان ، ثم تحولت قوة الأتراك الى بلاد حاشد وجبل عيال يزيد لحرب الإمام المتوكل محسن ابن احمد الشهاري ، واضطرت كثيراً من قبائل بني صريم ووادعة الظاهر ومرهبة وسفيان وغيرها من قبائل حاشد وقبائل بكيل المجاورة لها الى اعلان ولائها للحكومة التركية في اليمن ، ثم تقدمت القوة التركية بقيادة اسماعيل حافظ الى بلاد السودة وظليمة والأهنوم وبسطت نفوذ الدولة التركية فيها ، وعادت الى صنعاء ومعها المدفع الذي كانت قبيلة حاشد قد استولت عليه اثناء ولاية احمد أيوب باشا .

---

(٤٨) و(٤٩) حوليات يمانية من ص ٣٣٧ .

وقام في نفس الفترة أهل بلاد البخاري من أعمال المخادر قضاء اب آنذاك باعلان خلافهم فتقدم لإخضاعهم قائمقام اب وأخضعهم وقطع اشجار القات من أراضيهم .

كما قام المشير مصطفى عاصم باشا المذكور باعتقال عدد(٥٠) من علماء وأعيان صنعاء ومنهم السيد محمد بن قاسم الحوثي الذي دعا الإمامة بعد خروجه من السجن وذلك في برط عام ١٢٩٧ هـ وأقام على دعوته الى موته عام (١٣١٩ هـ) ومنهم السيد محمد بن يحيى حميد الدين الذي دعاالإمامةفي عام (١٣٠٧ هـ) والد الإمام يحيى حميد الدين ، وكان اعتقال عاصم باشا لهم بحجة منافستهم لنائب المحكمة التركية في صنعاء عبد الله الصباغ في الظاهر ولولائهم للإمام المتوكل محسن بن أحمد الشهاري المقيم في حاشد في حقيقة الأمر، وأقاموا في معتقلهم شهرين في صنعاء وسنتين في الحديدة ولم يطلقهم إلا خلفه حافظ اسماعيل حقي .

وقام الوالي عاصم المذكور بسجن الشيخ محسن معيض وتهديده بالقتل حتى كفل عليه احد تجار صنعاء بتسليم ما يطلبه منه من المال ، ثم استدعاه ذات ليلة من السجن الى بيت الطرابلسي ، وقد نصب الخانوق فسلم معيض له أربعين ألف ريال حملها الجنود الأتراك من منزل معيض ليلاً ثم أُفرج عنه ، وقد ألم به المرض الذي توفي فيه عام (١٢٩٧ هـ) .

حافظ اسماعيل حقي ١٢٩٥ - ١٢٩٩ هـ

وصف هذا بالعدل والإستقامة ، وقد انشأ(٥١) أربعة طوابير (ألوية) في الجيش من اليمنيين وأحسن تدريبهم العسكري ، ولكن الحكومة التركية الغت هذه الألوية وعزلت الوالي المذكور بسبب ذلك ، لأن ذلك في اعتقادها يساعد على تقوية جانب اليمنيين ضد الأتراك .

---

(٥٠) زبارة في ائمة اليمن في القرن الرابع عشر من ص ١١ .
(٥١) الواسعي في تأريخه ص (٢٥٩) .

ومن أولى اعماله ، إطلاق السجناء اليمنيين من العلماء الذين اعتقلهم سلفه مصطفى عاصم ومنهم الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين قبل دعوته ، وذلك استجابة لوساطة قاضي الحديدة للأتراك محمد عارف الماريني ، وكان من خيرة العلماء الذين ولوا القضاء في اليمن للأتراك في حكمهم الثاني في اليمن ، كما عمل الوالي المذكور على منع الرشوة والفساد وخالف سلفه الذي انتهج سياسة العنف والقسوة ، واستطاع بذلك ان يعمل على تحقيق الهدوء والإستقرار نوعاً ما في اليمن . وفي أيام ولاية اسماعيل حقي المذكور وبالتحديد في عام (١٢٩٥ هـ) توفي الإمام المتوكل محسن بن احمد الشهاري في مدينة حوث ودُفن بها .

الإمام الهادي شرف الدين أبو نيب

وقام(٥٢) بالدعوة شرف الدين بن محمد بن عبد الرحمن من أولاد الإمام يحيى بن حمزة وتلقب بالهادي ، وكانت دعوته أولاً في ظفير حجة ، ثم انتقل الى هجرة المدان من بلاد الأهنوم ، في شهر صفر من عام (١٢٩٦ هـ) ومنها بثّ رسائله الى مختلف القبائل اليمنية في القسم الأعلى من اليمن ، لتلبية دعوته ومساندته ، وسانده الإمام السابق محمد بن عبد الله الوزير صاحب السر وعلماء صعدة وغيرهم ، وانتقل الى بلاد حاشد وصار يتنقل في مدنها يحشد القبائل حوله لحرب الأتراك ، ثم انتقل الى بلاد صعدة ، وكانت له بعض تحركات عسكرية تارة مع الأتراك وتارة مع القبائل التي تعلن ولاءها للأتراك ، وكان جانب الأتراك أقوى من جانبه بشكل عام .

محمد عزة باشا (١٢٩٩ - ١٣٠٢ هـ) .

وفي(٥٣) عام(١٢٩٩ هـ) خلفت الحكومة التركية الوالي المشير اسماعيل حقي بالوالي محمد عزة باشا ، وقد سعى هذا الى التقريب بين الأتراك

---

(٥٢) زبارة في (أئمة اليمن في القرن الرابع عشر) ص (٤) .
(٥٣) الواسعي في تأريخه ص (٢٥٤ . الطبعة الثانية .

واليمنيين ، وإن لم يضع حداً لنضال اليمنيين ضد الأتراك ، كما أنّ انتشار الرشوة والفساد بين موظفي الأتراك عمق الهوة بين الأتراك واليمنيين وزاد من نفور اليمنيين من الأتراك ، وفي عهده قامت الحرب بين اليمنيين والأتراك في بلاد خولان وبلاد حجة وغيرهما .

أحمد فيضي (١٣٠٢ - ١٣٠٢ هـ)

وفي عام (١٣٠٢ هـ) خلفت الحكومة التركية الوالي محمد عزة باشا بالوالي احمد فيضي نقلاً لهذا من ولايته على عسير ، وكان هذا العام هو من أشد الأعوام في اليمن قحطاً وجدباً ، إلى جانب إهمال الناس للزراعة بسبب الحروب التي قامت بين اليمنيين والأتراك ، وقد ضاعف من سوء الأحوال في اليمن تعيين احمد فيضي الذي قام بمصادرة الحبوب على القبائل في همدان وبلاد البستان وسنحان ، ومصادرة ثرواتهم وإهانة بعض الرؤساء كرئيس ضلاع محمد الشويع ، الأمر الذي حمل الكثير من رؤساء القبائل والأعيان على ارسال برقيات احتجاجاتهم وشكواهم الى السلطان ، وأدى ذلك الى فصله عن اليمن في نفس العام الذي عيّن فيه بعد طلبه إلى الآستانة وتوبيخه من قبل السلطان ، ثم تعيينه قومندان عسكري في مكة . وكان وزراء السلطان وكبار موظفيه في الباب العالي مع ذلك يخفون كثيراً من برقيات الإحتجاج والشكوى بالوالي المذكور وغيره عن السلطان .

عزيز باشا (١٣٠٣ - ١٣٠٥ هـ) .

وقد اسندت الحكومة التركية ولاية اليمن بعد عزل احمد فيضي الى عزيز باشا ، وقد قام هذا الوالي بالعمل على رفع الظلم عن اليمنيين ، ومنع عنهم تحصيل المواد الغذائية للجنود الأتراك ، كما حاول القضاء على الرشوة والفساد اللذين انتشرا في الأجهزة التركية في اليمن ، ووضع حد لإستغلال ولاة الأتراك في مختلف الأعمال لنفوذهم ولكن دون جدوى ، لأن الفساد كان قد استشرى وانتشر بين ولاة الأتراك وموظفيهم .

وزاد الحالة سوءاً في اليمن اثناء الحكم التركي الثاني الذي نحن بصدد

التأريخ له ، انقسام ولاة الأتراك في اليمن بين السلطتين العسكرية والمدنية ، التي أدى اليها نهج السلطان عبد الحميد في فصل السلطة العسكرية عن السلطة المدنية في عموم الولايات التركية في اليمن وغيرها ، منعاً لتحكم الولاة في ولاياتهم ، وأدى ذلك الإنقسام بين المأمورين العسكريين والملوكية (المدنية) الى الشقاق بين الإدارتين ، وإظهار كل من السلطتين لدى السلطان السلطة الأخرى بمظهر الخيانة والعجز ، وكان ذلك يعكس حقد السلطان على الولاة الإداريين فيقصر فترات ولاياتهم .

ولذلك ، فإنّ الوالي عزيز باشا أراد أن يثبت للسلطان إخلاصه وحماسه في حرب الخارجين على الدولة العثمانية في اليمن وعلى رأسهم الإمام القائم في شمال اليمن ، فوجه قوة كبيرة بقيادة حسين خيري لمحاربة الإمام الهادي شرف الدين أبو نيب وقامت معركة كبيرة في بلاد جبال عيال يزيد هزم الأتراك فيها ، واضطروا الى الإنسحاب الى عمران ، وعزا الأتراك أسباب انهزامهم ذلك إلى عدم اخلاص الشيخ عبد الله بن احمد الضلعي الذي كان يعرف بعبد الله باشا ، ويشغل منصب عضو مجلس ادارة في الحكومة التركية في اليمن ، وقد هدف قادة الجيش المنهزم من الإغراء بالضلعي الى إبعاده والتقليل من نفوذه ، وإلى اضعاف مركز الوالي عزيز باشا نفسه لدى اليمنيين ، بعد ان كان قد حاول التقرب منهم والتقريب بينهم وبين الأتراك ، وقام القادة بتحريض خلفه عثمان باشا على الضلعي واستطاعوا ان يوقعوا به كما سنرى .

عثمان باشا (١٣٠٥ ـ ١٣٠٧ هـ) .

وقد انتهج هذا سياسة الإرهاب في اليمن وأشاع أخذ الرشوة وصادر الشيخ عبد الله الضلعي آنف الذكر واعتقله ثم أرسله الى مدينة عكا في فلسطين حيث اعتقل فيها ، بناء على موافقة السلطان استجابة لإقتراحه الذي رفعه الى السلطان عقب وصوله الى اليمن بالتأثير من قادة الجيش التركي الذين انهزموا في حربهم مع الإمام الهادي شرف الدين أبو نيب في بلاد عمران .

ومن(٥٤) أساليب الوالي عثمان باشا في اخذ الرشوة أن أمر كل متصرف في ونواب الألوية والقضوات في ألوية تعز والحديدة وعسير وغيرها بالزام مشايخ هذه المناطق بالوصول اليه الى صنعاء ، وأشاع في نفس الوقت أنّ الوالي يعتزم القبض عليهم وترحيلهم الى تركيا ، ضماناً لإقرار الأمن والإستقرار في اليمن ، الأمر الذي دفع المشايخ الى تسليم مبالغ كبيرة من الريالات الى المتصرفين والنواب لإرسالها للوالي مقابل الكفّ عن طلبهم الى صنعاء ، وتم الأمر كذلك وأرسلت المبالغ الى الوالي ، وكان القاضي يحيى بن احمد المجاهد مفتي تعز من الشخصيات التي لم تنطل عليهم أساليب الوالي المذكور ورفض دفع الرشوة كغيره ، كما رفض الوصول الى الوالي إلى صنعاء ، ولذلك فإنه لم يشعر في بعض الليالي إلا بإحاطة الجنود بمنزله في تعز (دار الناصر أخيراً) والقبض عليه ومصادرة أمواله ، ثم سجنه ، وظل في السجن حتى أفرج عنه السلطان بعد رفع شكواه . كما ألح المجاهد بعد الإفراج عنه بالإنتصاف له من المتصرف ، فطُلب إلى الآستانة وعزل المتصرف ، ولكن الوالي عثمان باشا خشي أن يعرف السلطان أسباب القبض عليه ومصادرته ، فدفع ضباط الجيش التركي بتحرير مضبطة الى السلطان أكدوا فيها كذب المجاهد على المتصرف وإن المصلحة تقضي بإبعاد القاضي يحيى عن تعز .

ولّما وصل القاضي يحيى المجاهد الى تركيا أجرى السلطان له الكفاية اللازمة وأبقاه فيها دون ان يجري معه ومع المتصرف المفصول أي تحقيق حول ما حدث ، وأقام في تركيا حتى توفي فيها بعد ثلاث سنوات . وكان من أخلص اليمنيين للأتراك حتى ذكر انه قال : « لو خدمت الله تعالى خدمتي للأتراك لبلغت بها درجة عيسى بن مريم » .

وهكذا كانت أساليب ولاة الأتراك في اليمن وكذلك كان نهجهم مع اليمنيين والأحرار منهم بالذات ، مما أدى الى عدم استقرار الأوضاع في اليمن أثناء حكمهم الثاني والأخير فيه وإلى انهيار حكمهم ووجودهم وتكاتف اليمنيين

---

(٥٤) الإستاذ عبد الواسع الواسعي من ص ٢٦٢ الطبعة الثانية .

كـل اليمنيين ضـدهم حتى أخرجـوهم من اليمن ، يساعـدهم سقوط المـانيـا وحليفاتها ومنها تركيا في الحرب العالمية الأولى كما سنعلم .

عثمان نوري باشا ١٣٠٧ - ١٣٠٧ هـ

وفي[٥٥] عام ١٣٠٧ هـ خلفت الحكومة التركية الوالي عثمان باشا بالوالي عثمان نوري باشا ، الذي وصف بالعدل والإستقامة والتواضع ، وكان يلقب بالفقيه ، وقد تآمر عليه كبار مسؤولي الحكومة التركية في اليمن بسبب منعه لهم من الرشوة ، ورفعوا به مضبطة الى تركيـا بعدم صـلاحيته ، وأنّ الأحـوال في اليمن ساءت في أيام ولايته بسبب سوء إدارته ، فصدر أمـر السلطان بفصله ، وبالرغم من دفاعه عن نفسه عن طريق قومندان الحديدة الذي أرسله إلى تركيا لنفس المهمة ، فإنّ السلطان أصـرّ على نقله من اليمن وولاه مكـة ، وقد أثنى عليه المصدر استناداً إلى المؤرخ الواسعي ، وذكر بأنه لم يأت اليمن والٍ مثله لحسن ادارته لشؤون البلاد ، وبرغم ما اعتاده ولاة الأتراك في اليمن من الظهور بمظهر الأبهة والعظمة أمام أهل اليمن ، حتى يشعروهم بتمـيزهـم عنهم وعلو مكانتهم ، حيث كان الوالي يركب عربة من بيته الى دار الحكومة يحيط به عدد من الخيالة وحرسه الخاص ، مما يجعل وصول احد من الأهالي اليه متعذراً . أمّا الـوالي عثمان نـوري وقليل جـداً من الولاة الأتـراك فإنهم خـرجوا عـلى هذا التقليد ، وتحلوا بروح التواضع والتقرب من الأهالي ، وكان عثمان نوري يطلع من بيته في بير العزب الى دار الحكومـة ماشيـاً ومعه جـاويش و ياوره الخـاص فقط ، ونادراً يركب بغلة ، وكان يتصدق بجميع مرتبه .

وقال المؤرخ[٥٦] محمد بن محمد زبارة عنه : « وكان هـذا الوالي عـادلاً نـاسكاً متصـوفاً ، متـواضعاً متصـدقاً يمشي الأسـواق ، راجلاً ويتصـدق على الفقراء والمساكين ، ويدور في الليل منفرداً ، ويفحص احوال الناس والعسكر ومأكولاتهم بنفسه ، وكان يخرج للصلاة في أوقاتها ويأمر على المأمورين بالخروج لتأديتها ، فكان يخرج أهل المحاكم معه لتأدية الصلاة في جامع البكيرية ، ومنع

---

(٥٥) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ١٢٦ .

(٥٦) في (أئمة اليمن في القرن الرابع عشر) ص ٩٩ .

مشايخ البلاد عن التعرض للرعية ، ونصب عقالاً في القرى يتحصلون اموال الدولة بدون ظلم أو عسف ، فحصلت الأموال الكثيرة للدولة ، واستوفى أهل المعاشات في أيامه جميع ما لهم من المعاشات المتراكمة ، ودرت الخيرات وَأَمِنَتِ الطرقات » .

وفي شهر صفر من العام المذكور الغى الوالي عثمان خيري (عثمان نوري) المذكور المحاكم الثلاث البداية والجزاء والاستئناف ، وعزل حكامها وأعضاءها جميعاً ، وصاروا عبرة للناظرين وعظة للمستبصرين على حد ما جاء في كتاب (حوليات يمانية)(٥٧) وكان ذلك ضمن اجراءاته لمنع الرشوة .

اسماعيل حقي باشا للمرة الثانية (١٣٠٧ - ١٣٠٨ هـ)

وكان الخلف(٥٨) للوالي عثمان نوري باشا هو اسماعيل حقي باشا للمرة الثانية ، وقد وصل الى اليمن في شهر الحجة من العام المذكور ١٣٠٧ هـ ، وذلك إثر خروج السيد محمد بن يحيى حميد الدين من صنعاء الى صعدة لإعلان دعوته خلفاً للإمام المتوفي الهادي شرف الدين بن محمد أبو نيب الذي توفي في قلعة السنارة بصعدة في شهر شوال من نفس العام ، وقد أرسل الأتراك من صنعاء أربعين من الخيالة في محاولة منهم لإدراك محمد بن يحيى حميد الدين والقبض عليه ، وإعادته الى صنعاء ، فلم يدركوه ، وربما كان ذلك من أسباب عزل الوالي عثمان نوري باشا .

الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين

ودعا(٥٩) محمد بن يحيى حميد الدين من أولاد الحسين بن القاسم بن محمد في شهر القعدة من العام المذكور ١٣٠٧ هـ (١٨٩٠ م) في قلعة السنارة بمدينة صعدة ولقب بالمنصور ، وأخذ كل ما خلفه سلفه الإمام الهادي أبو نيب

---

(٥٧) ص ٣٧١ .

(٥٨) (الحكم العثماني في اليمن) آنف الذكر ص ١٢٧ .

(٥٩) محمد بن محمد زبارة في (أئمة اليمن في القرن الرابع عشر) آنف الذكر ص٩١ .

من أسلحة وعتاد وأموال وغيرها ، وانتقل من السنارة الى بلاد الأهنوم من حاشد ، والتفت القبائل حوله بعد أن أعلن الحرب الشاملة على الأتراك في اليمن ، وكان اليمانيون قد سئموا حكم الأتراك وفسادهم ، كما لم يألفوا الحكم المركزي الذي انتهجه الأتراك في اليمن ، إذ كانت ادارة شؤون اليمن الهامة وتعيين ولاتها من أعلى مسؤول إلى القائم مقام (مدير ـ القضاء) والنائب (مدير الناحية) والقاضي الشرعي ومدراء الماليات يتم تعيينهم من استامبول مباشرة ، ومعظمهم من شخصيات غير يمنية ، وبالأولى المتصرفون في مراكز المحافظات (الألوية) وليس لوالي اليمن إلا إبداء الرأي حول بعض الشخصيات الذين هم أقل أهمية .

لذلك فقد ناصر اليمنيون المنصور وحاربوا الأتراك في أماكن كثيرة من اليمن ، وسقطت معاقل ومدن كثيرة بأيدي اليمنيين ولا سيما[٦٠] بعد وفاة الوالي حافظ اسماعيل حقي في عام (١٣٠٨ هـ) ، وحوصرت[٦١] صنعاء مرتين في عام (١٣٠٩ هـ) وانهار نفوذ الأتراك من كثير من المناطق التي كان لهم نفوذ عليها ، في بلاد الشرف ومسور ولاعة من بلاد حجة ، وفي بلاد حفاش وملحان والطويلة وبلاد كوكبان والحيمتين وبلاد البستان وبلاد الروس وبني بهلول وسنحان وبني الحارث وهمدان وخولان وغيرها من المناطق التابعة ادارياً للواء صنعاء والمناطق القريبة اليها من لواء حجة ، وكان من بين قادة الجيش اليمني الأميران عبد الله ومحمد ابنا الإمام المتوكل محسن بن احمد الشهاري ، كما سقطت مدينتا ذمار ويريم بأيدي اليمنيين وولى الإمام المنصور عليهما ، ووفدت القبائل اليمنية من بلاد اب وتعز إلى الإمام المنصور لإعلان ولائها له ، وحاول المنصور أن يفرض نفوذه في مدن تعز واب وجبلة ، ولكن وطأة نفوذ الأتراك فيها وفي اليمن الأسفل وتهامة بوجه عام كانت شديدة ، لسهولة وصول الإمدادات العسكرية إليها من مينائي الحديدة والمخا ، وقامت

---

(٦٠) الجزء الخاص بتاريخ الإمام المنصور و(الحكم العثماني في اليمن) ص ١٢٨ .

(٦١) زبارة في المصدر المذكورص ٣٢ .وقد توفي في هذا العام (١٣٠٨ هـ) المؤرخ اليمني المعمر محمد بن اسماعيل الكبسي ، من أولاد الإمام حمزة بن أبي هاشم ، وهو صاحب التأريخ اليمني (اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية) أحد مصادر هذا الكتاب .

حروب بين اليمنيين والأتراك في سحول إب وحول مدينة اب ومدينة جبلة وفي القاعدة وقعطبة وغيرها ، ولكنها لم تسجل الإنتصار الحاسم لليمنيين ، لما ذكر من قوة جانب الأتراك وتفوقهم بالأسلحة الصغيرة والكبيرة على اليمنيين .

وقد[٦٢] اضطلع بشؤون الإدارة التركية في اليمن بعد وفاة الوالي حافظ اسماعيل حقي المذكور احد كبار معاونيه ويدعى علي باشا ، يساعده عدد من كبار رجال اليمن ورؤسائها الموالين لتركيا في صنعاء ، ومنهم : الشيخ علي بن محمد البليلي الخولاني ، والشيخ عبد الوهاب راجح أرحب ، والشيخ مقبل بن يحيى أبو فارع حاشد ، والشيخ مقبل دغيش بني الحارث والسيد محمد الشويع ضلاع همدان ، وبالرغم من مساندة هؤلاء وغيرهم للأتراك فإنّ الحصار الذي ضربه اليمنيون على صنعاء ظلّ حتى وصل الى اليمن من تركيا والياً عليه للمرة الثانية .

أحمد فيضي (١٣٠٩ - ١٣١٥ هـ)

واستطاع بالقوة الكبيرة التي وصل بها أن يفك الحصار عن صنعاء ، وقد تحدث الدكتور عثمان[٦٣] فاروق أباظة عن الأحداث التي ساعدت فيضي على فك الحصار عنها مستنداً الى المؤرخ الأستاذ عبد الواسع الواسعي وغيره فقال : « وعقب وفاة الوالي اسماعيل حقي باشا في سنة ١٩١١ م (١٣٠٨ هـ) ثارت القبائل اليمنية ضد الأتراك في معظم ارجاء اليمن ، وبخاصة في بلاد البستان وهي مخلاف كبير يقع غربي مدينة صنعاء ، ويجاور آنس والحيمة وهمدان وسنحان ، وقام اليمنيون هناك بانتزاع أسلاك البرق وأعمدته ، كما نهبوا البريد الوارد من الآستانة (استامبول) الى صنعاء عاصمة الولاية ، وقد سبقت هذه المناوشات عملية محاصرة صنعاء التي تمت بعد انهزام الأتراك ، وتراجعوا أمام هجمات القبائل اليمنية في المواقع المشار اليها .

وقد اتجهت القبائل اليمنية الى محاصرة صنعاء في أوائل ١٨٩٢ م

---

(٦٢) الواسعي في تاريخه ص (٢٧٣) الطبعة الثانية .
(٦٣) في كتابه (الحكم العثماني في اليمن) من ص ١٣٠ .

(١٣٠٩ هـ) ونشب قتال عنيف بين جموع القبائل والأتراك في منطقة عصر الواقعة غربي صنعاء ، وقد تراجع الأتراك مهزومين حتى دخلوا الى باب قاع اليهود في صنعاء ، وأغلقت جميع أبواب صنعاء وسيطر الخوف على أهلها وعلى الأتراك المحاصرين فيها ، وبعد أيام من محاصرة مدينة صنعاء دار قتال عنيف بين القبائل اليمنية والأتراك بالقرب من جبل نقم ، كما حدث قتال آخر بصنعاء في أماكن القبور ، وكانت القبائل اليمنية مسلحة بالبنادق القديمة قريبة المدى ، وإن كان رصاصها قد أصاب منازل المدينة ، وكان الأتراك قد تحصنوا بالقصر حيث مقر الحكومة العثماني، وحول سور صنعاء ، ومن هناك أخذوا يطلقون نيران بنادقهم على القبائل اليمنية المحاصرة للمدينة » وذكر الواسعي في تأريخه ، فقال : « فما تسمع أصوات الرصاص من كثرتها إلا كالرعود العاصفة ، ولوامع البارود في جوف الليل كالبوارق الخاطفة) ، وبهذه المحاصرة لصنعاء عظمت الشدة وغلت الأسعار وفر الضعفاء من أهل صنعاء ، وقد ازداد تجمع القبائل حول صنعاء يوماً بعد آخر ، كما حاصرت القبائل اليمنية جميع مراكز الترك في اليمن كذمار ويريم وعمران وحجة والطويلة وتعز واب وغيرها ، وسيطر الإمام علي معظم المعاقل التركية ، وهكذا اجتاحت ثورة القبائل ارجاء اليمن » .

وقد اشتدت وطأة الحصار حول صنعاء وتعز واستمر محكماً لمدة شهرين ونصف ، وفشلت خلالها القوات التركية المحصورة في التخلص من القبائل المحاصرة ، وبعد حروب قاسية بين الطرفين خفت وطأة الحصار على الرغم من أنّ بعض الحاميات التركية الضعيفة استسلمت لرجال القبائل ، ولا شك أن حصار القبائل اليمنية لمدينة صنعاء عاصمة الولاية العثمانية واحتلال رجال القبائل لكثير من دور الحكومة والقائهم القبض على كثير من المديرين وكبار الموظفين الأتراك وإرسالهم إلى الإمام ليشكل لنا كل هذا صورة واضحة المعالم لحالة الإضطراب والفوضى التي تعرض لها الحكم العثماني في اليمن نتيجة السياسة التي اتبعها العثمانيون هناك ، مما أسقط هيبتهم لدى اليمنيين ، وزلزل دعائم الحكم العثماني في تلك البلاد .

ويستعرض الواسعي أسباب ثورة الشعب اليمني ضد الأتراك

العثمانيين ، وهو يعبر بذلك عن رأي عامة اليمنيين فيقول : (انها كانت ترجع الى شدة الظلم واستحلال المحرمات ، وترك ما أمر الله به من الواجبات ، وارتكاب المعاصي والفجور ، وظهور البغي وشرب الخمور) ، وكانت تصرفات الأتراك هذه مخالفة للقيم الدينية التي اعتادها اليمنيون والتي كان الأئمة الزيديون يستغلونها لإثارة اليمنيين ضد الأتراك ليستعيد الأئمة نفوذهم السليب » .

وأضاف المصدر (الدكتور فاروق عثمان اباظة) قائلاً : « على أنّ هناك اسباباً أخرى ذكرها الواسعي وأهمها سوء الإدارة التركية في اليمن فيقول : «وكان القائمقام أو غيره من المأمورين اذا خرج لأي قضاء أو ناحية لأخذ الأعشار (الزكاة) أخذ ما قدر على تحصيله لنفسه ، ولم يساعد على كتب سند ما أخذ منهم ثم يرجع للحكومة ويقول : لم يدفعوا شيئاً ، ثم تأمر الحكومة بنهبهم وخراب بيوتهم وإحراقها ، واذا وصلت العسكر الأتراك الى قرية تعدت على عرض الحريم » فالواسعي يوضح أسلوب الأتراك في جمع الضرائب بالقوة والضغط ، الى جانب جشع الموظفين الأتراك ومحاولتهم الاستئثار باموال الضرائب لأنفسهم وتحريض الحكومة التركية ضد الأهالي » .

ويؤيد هذا الرأي الكاتب الأوروبي (هاريس) الذي قام بزيارة اليمن سنة (١٨٩٢ م) (١٣٠٩ هـ) بقوله : « إنّ تفكير الموظف التركي ينصب على كيفية الإثراء خلال شهر أو اثنين ، وعلى أسلوب العمل في ادارته الذي يحقق له هذه الغاية قبل اعتزاله ، كما كان منطقه (ماذا ستكون نتيجة سياستي ؟ . . . أنا لا يهمني ، هذا لا يهمني على الإطلاق) ، فالموظفون الترك لم يكن معظمهم يؤمنون بأنهم يقومون بعمل وطني لصالح دولتهم ، بل كانوا يشعرون بأنّ اليمن منفى لهم وإبعاد ، وكان يغذي شعورهم هذا الصعوبات الجمة التي كانوا يواجهونها من الطبيعة اليمنية أو اليمنيين أنفسهم على السواء » .

وأضاف(٦٥) المصدر أيضاً قائلاً : « وعندما اشتدت وطأة المقاومة على

---

(٦٥) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ١٣٦ .

الأتراك في اليمن تدفقت البرقيات على الآستانة من الحديدة لطلب المساعدة والإمدادات العسكرية اللازمة لإخماد الثورة ، وكانت الحديدة وغيرها من مدن الساحل اليمني في مأمن من هجمات القبائل التي سيطرت على معظم اليمن الداخلية » .

و« لهذا صدرت أوامر السلطان العثماني لأحمد فيضي باشا الحاكم السابق لمكة وقائد الكتيبة السابعة عشرة بالتوجه فوراً الى اليمن بعد ان نصبه والياً عليها لإخماد الثورة وإقرار الأمور هنا ك » .

ووصل احمد فيضي الى الحديدة وعلم بتأزم الأمور في الولاية ، فاتخذ فوراً خطوات فعالة للإستيلاء على (مناخة) (الممر الهام الجبلي بين الحديدة وصنعاء) وقد ترك احمد فيضي باشا حامية لحمايتها وللمحافظة على ابقاء طريق المواصلات مفتوحاً الى الساحل ثم أمر قواته بالتوجه الى صنعاء وعلى بعد حوالي (٣٠) ميلاً من مناخة على الطريق الى صنعاء عند منطقة يطلق عليها (حجرات المهدي) حيث كانت الطريق ضيقة ووعرة اتخذت القبائل اليمنية مواقعها هناك ، وحدث بينها وبين الأتراك قتال استمرّ اثني عشر يوماً ، استطاع الأتراك بعدها أن يتقدموا في طريقهم تجاه صنعاء بعد ان تشتت شمل الثوار ، وقد اتجهت القوات التركية نحو صنعاء بعد ان قصفت في طريقها بعض القرى بمدافعها ، وعندما وصل الأتراك سوق الخميس الواقع في غرب صنعاء بمسيرة يوم واحد دار قتال عنيف رجحت في نهايته كفة الأتراك ، وتوالت انتصاراتهم من موقع إلى آخر ، بينما كانت القبائل اليمنية تتراجع أمامهم ، وإثر ظهور القوات التركية أمام أعين رجال القبائل اليمنية المحاصرين لصنعاء المعسكرين في جبل نقم ، تراجعت قوات الإمام الى الجبال الواقعة شرق صنعاء حيث استحال على القوات التركية ملاحقتهم وإدراكهم ، ودخل المدينة منتصراً ، وعمّ الناس (في صنعاء) الفرح والسرور وزال عنهم البؤس والترح على حد قول الواسعي .

وقد بدأ الباشا أحمد فيضي عقب وصوله الى صنعاء في إعادة تنظيم أمور

الولاية بما يحقق لها الأمن والإستقرار ، فأصدر أوامره بالعفو العام عن كل الخارجين حتى يعود الأهالي الى مواقعهم وهم آمنون ، ولينصرفوا جميعاً الى مباشرة أعمالهم ، وقد أعلنت القبائل المحيطة بصنعاء طاعتها للوالي الجديد وللحكم العثماني بوجه عام فيما عدا قريتي جدر في الشمال الغربي من صنعاء بمسيرة ساعتين ، وقد توجهت اليها طائفة من الضباط والجنود الأتراك يرافقهم الشيخ علي البليلي (الخولاني) اليمني الذي منحته الدولة العثمانية رتبة باشا فنهبوا القريتين وأحرقوهما .

كما وجه فيضي باشا قوة تركية بقيادة اسماعيل باشا للاستيلاء على ذمار ويريم وذلك بعد ان اعلن الأحكام العرفية التي كانت تعني تعطيل جميع القوانين في الولاية ، كما أعلن الوالي العثماني جائزة لكل من يحمل اليه رأس احد من الثوار اليمنيين ، وأباح لقواته الإغارة على القرى اليمنية ونهبها اذا ما تمردت وأعلنت الثورة من جديد ، وقد توجه اسماعيل باشا إلى جنوب اليمن فاستولى على ذمار بدون مقاومة ، وترك بها حامية تركية ، كما تمكن من اخضاع اب وجبلة وتعز للحكم العثماني دون ان يلقى مقاومة تذكر .

المرحلة الأولى من المفاوضات بين العثمانيين واليمنيين

وبالرغم من إخماد الأتراك للثورة اليمنية في بداية عهد الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين كما عرفنا إلا أنّ السلطان العثماني عبد الحميد بن عبد المجيد رأى أن يتبع مع اليمنيين أسلوباً دبلوماسياً ، عله يصل الى حل مرضٍ للقضية اليمنية ، أشار الى ذلك الدكتور فاروق اباظة في كتابه (الحكم العثماني في اليمن)[٦٦] تحت العنوان المذكور مستنداً الى المؤرخ الواسعي فذكر أنّ السلطان كتب الى الإمام المنصور يدعوه الى الكف عن إراقة الدماء ، ويرهبه بقوة الجنود الأتراك الذين لا قبل لليمنيين بقتالهم لشدة بأسهم وحداثة أسلحتهم ، ثم يغريه بأنه سيقرر له راتباً شهرياً وسيمنحه مرتبة عظيمة بين رجال الدولة .

---

(٦٦) من ص ١٤٣ .

ويذكر الواسعي أنّ الإمام المنصور أجاب على السلطان عبد الحميد بما معناه (وما خرجنا من صنعاء لطلب الملك والرياسة إلا لنصرة شريعة جدنا ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع ظلم الرعية من المأمورين ، وارتكاب المحرمات وشرب الخمور وظهور الزنا والفجور وترك الحدود التي أمر الله بها من القصاص وقطع يد السارق وحد الزاني والشارب وغير ذلك مما أبطلها القانون المخالف للشريعة المطهرة) .

ويضيف الواسعي الى ذلك بأن الإمام المنصور ذكر في نهاية الرسالة (انه قد تحتم الوجوب على الإمام بالقيام لظهور تلك المنكرات والتنفيذ للشريعة المطهرة وإقامة الحدود وإنصاف المظلوم من الظالم ، ثم أخذ الإمام المنصور يمتدح السلطان العثماني لمحافظته على الإسلام والدفاع عن البلاد الإسلامية ، كما أوضح أساليب الحكم الظالمة التي يتبعها الموظفون الأتراك في اليمن وسوء ادارتهم لشؤون البلاد ، ثم ذكر أفضال الأئمة وما يجب أن يعاملوا به من تكريم ، كما ارفق الإمام المنصور رسالته الى السلطان مضبطة وقع عليها مشايخ أهل صنعاء وأعيانها أوضحوا فيها مظالم الترك وجرائم الفسق والفجور التي كانوا يرتكبونها في اليمن .

ولم يؤد خطاب السلطان العثماني الى الإمام المنصور الى النتيجة التي كان يرجوها السلطان من الإتفاق ، ووضع حد للإضطرابات في اليمن ، ومع ذلك فإنّ عمليات المقاومة من اليمنيين ضد الأتراك اتخذت أسلوباً جديداً يتمثل بحرب العصابات كالتخريب وقطع المؤن والاستيلاء عليها .

ومن جهة اخرى فإنّ الوالي أحمد فيضي لاحظ أنّ معظم حركات المقاومة كانت توجد ضد الأتراك في بلاد حاشد في شمال صنعاء ، فقرر إخضاع هذه البلاد وأخذ يعد العدة لذلك ، وقد توجه الوالي الى مشارف بلاد حاشد حيث حاول استمالة القبائل اليمنية للحكم العثماني ، فأرسل الى مشائخهم ورؤسائهم اموالاً وهدايا لكلٍّ بقدر ما يليق بمكانته في قومه ، غير أنّ قبائل بني عبد تصدت للوالي العثماني ونشب بين الطرفين قتال عنيف ، ولكنه انتهى

بهزيمة بني عبد ونهب الأتراك أموالهم وهدموا ممتلكاتهم وديارهم ، واستمر أحمد فيضي يشق طريقه عنوة محارباً للقبائل حتى وصل الى (قفلة عذر) مقر الإمام المنصور محمد بن يحيى حميد الدين في بلاد حاشد ، وقد حرص المنصور على ان يفوت على الوالي الفرصة ، فقام بتهريب الأموال والأسلحة والذخائر التي كانت لديه ، وصعد مع عدد من أتباعه احد الجبال المرتفعة هناك ، ولم يتمكن الوالي من الوصول الى مراكز الثوار ، فاضطرّ إلى العودة الى صنعاء ، بخفي حنين بعد ان تكبد الأتراك خسائر جسيمة في الأموال والذخائر ، وسقط الكثيرون منهم قتلى بين ممرات الجبال اليمنية الشاهقة .

ثم ذكر المصدر(٦٧) انّ حركات المقاومة ضد الحكم العثماني بعد دعوة الإمام المنصور لم تقتصر على بلاد حاشد ، ولكنها حدثت في بلاد آنس بزعامة الشيخ علي المقداد ، واستمرت عدة أعوام ، وفي معظم مخاليف بلاد آنس ومخلاف جبل الشرق من قضاء آنس ، وأنّ الحكومة التركية هدمت اثناء ثورته نحو ثلاثمائة قرية بعد نهبها في بلاد آنس وإحراقها ، وانه كا ن من ضمن قادة جنود الأتراك في بلاد آنس الشيخ علي البليلي الذي أُصيب فيها برصاصة اثناء القتال بين الجانبين أردته في الحال قتيلاً .

وأضاف المصدر : ان الناس في صنعاء حزنوا لموت البليلي لأنه كان يعمل مع الأتراك ، ولكنه كان يعمل دائماً لصالح أهل صنعاء ومساندتهم لدى الأتراك ، ولأنه كان محباً لأهل العلم والصلاح ، وانه خلفه في رئاسة بلدية صنعاء بعد مقتله اخوه الشيخ محمد أحمد البليل » .

كما(٦٨) ذكر المصدر المذكور أنّ الوالي احمد فيضي قام في عام (١٣١٠ ١٣١١

---

(٦٧) الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ١٤٥ . استنادا إلى الواسعي في تأريخه .

(٦٨) وفي عام ١٣١١ هـ توفي الجد رحمه الله ، قال زبارة في (أئمة اليمن في القرن الرابع عشر) ص ١٤٨ . تحت عنوان : (علي بن ناجي الحداد الشافعي الأبي) : « القاضي العلامة الأديب أبو يحيى (علي بن ناجي بن اسماعيل بن عبد الله بن أحمد الحداد الشافعي اليمني الأبي أخذ عن السيد محمد بن داود حجر القديمي الزبيدي والشيخ عبد الحميد المصنف الجبلي والقاضي محمد =

هـ) باعتقال عدد من أعيان وعلماء صنعاء بلغ عددهم خمسين رجلاً ، متهماً لهم باتصالهم وولائهم للإمام المنصور ، ومن بينهم السيد العلامة يحيى الكبسي ومحمد حسن دلال وسعد الدين الزبيري والد زوجة الإمام المنصور ، وأرسلهم الى معتقل الحديدة ومنها الى جزيرة رودس في البحر الأبيض المتوسط لاعتقالهم فيها .

أمّا(٦٩) السلطان العثماني عبد الحميد بن عبد المجيد فإنه لمّا عرف عدم استقرار الأوضاع بالنسبة لحكمه في اليمن أرسل مبعوثاً له يدعى (نامق بك) الى اليمن للتعرف عن كثب على الأحوال فيه وعن أسباب ثورة اليمنيين ضد الأتراك . وأقام المبعوث في صنعاء أياماً استطاع كثير من اليمنيين أن يتصلوا به وأن يوصلوا اليه شكاواهم من ظلم الوالي والمأمورين الأتراك واستبدادهم ، ثم عاد الى تركيا ، ولم تؤد شكاوي اليمنين اليه إلا الى زيادة ضغط الوالي احمد فيضي على اليمنين عامة .

ومع ذلك فقد أثمر تقرير المبعوث الذي رفعه الى السلطان ارسال اربعة عشر رجلاً في نفس العام من تركيا الى اليمن للتفتيش على الوالي ومأموري الأتراك ، ثم عاد المبعوثون الى تركيا بعد فترة من إقامتهم في اليمن ، ولكنه لم يترتب على ذلك أي اجراء يذكر من قبل الدولة العثمانية في اليمن . » .

ومن(٧٠) العوامل التي اثارت اليمنيين ضد الأتراك محاولة العثمانيين صبغ

= بن علي الحبيشي المفتي الأبي وغيرهم ، مات بمدينة اب يوم الأحد ١٧ رمضان سنة ١٣١١ هـ ورثاه تلميذه القاضي علي بن صالح العنسي ، وذكر بعض المرثاة ثم سرد للجد تخميس لقصيدة السيد الإمام محمد بن داود حجر التي نعى بها على المتصوفة المبتدعين ومطلعها :

قل لمن يدعي السلوك وقد بات ضجيع الفراش أنت كذوب
تدعي مسلكاً وقد بنت عنه أنت لا شك هالك معطوب

ثم قال : « ومن أنبل أحفاد صاحب الترجمة القاضي العلامة محمد بن يحيى بن علي بن ناجي الحداد ، آلى آخره » .

(٦٩) نفس المصدر استناداً الى الوسعي أيضاً ص ١٤٦ .

(٧٠) نفس المصدر أيضاً الدكتور فاروق عثمان أباظة في (الحكم العثماني في اليمن) ص ١٤٧ .

اليمن بالصبغة التركية ، حتى أنّ الوالي احمد فيضي المذكور اصدر أوامره في عام (١٣١٣ هـ) بالزام جميع الموظفين في اليمن بلبس الزي التركي واستبدال العمائم بالطربوش ، بالإضافة الى قيام الوالي باستحصال اموال من أهل صنعاء في نفس العام مقدارها أربعة وعشرون ألف ريال باسم إعانة الدولة لا عن ضرائب ونحوها . وفي العام الثاني مبلغ وقدره سبعون ألف ريال الى غير ذلك من الاجراءات التي قام بها الأتراك في عهد الوالي المذكور فزادت من ثورة ونقمة الناس عليهم ، وقاموا بحركات مقاومة سرية تتمثل باحداث انفجارات في بعض المراكز التركية كمبنى البريد والبرق في صنعاء ومبنى المحكمة الشرعية التركية بصنعاء وغيرهما .

كما حاول الوالي احمد فيضي الوصول إلى إتفاق مع الإمام المنصور ، بأن أرسل في عام (١٣١٠ هـ) إليه مندوباً عنه وهو عبد الله بن علي الحضوري وحمله رسالة طلب منه فيها عقد صلح بين الجانب اليمني والجانب التركي ، ولكنه لم يتم التوصل الى إتفاق بينهما .

وفي عام (١٣١٤ هـ) وصل من الآستانة السيد محمد الرفاعي الحسني ومعه رسالة من السلطان العثماني الى الإمام المنصور يحثه فيها على عقد الصلح ، ولم يذكر[٧١] المصدر نص رسالة السلطان الى الإمام ، ولكنه ذكر فقرات من جواب الإمام على السلطان شكا فيها ظلم مأموري الدولة العثمانية للناس في اليمن ، الى جانب ارتكابهم المحرمات ، وأقنع السلطان بأن الحل هو اخراج الأتراك من اليمن وترك حكم اليمن للأئمة يحكمون فيها بما أنزل الله ، وإنّ الإمام المنصور ختم رسالته التي ردّ بها على السلطان بقوله : « فهلا جعلوا (أي العثمانيون) آل الرسول كالكفار الذين تركوا لهم ممالكهم » .

حسين حلمي (١٣١٥ - ١٣١٨ هـ)

وفي عام[٧٢] (١٣١٥ هـ) عزل الوالي احمد فيضي بالوالي حسين حلمي

---

(٧١) الحكم العثماني في اليمن (ص ١٤٩) استناداً الى الواسعي في تاريخه .
(٧٢) الواسعي في تاريخه ص (٢٩٠ .

باشا ، واستبشر الناس في اليمن بتوليته خيراً ، كما وعدهم هو بإقامة العدل والمحافظة على الأمن ، وأمر بعزل من أساء التصرف من موظفي الأتراك ، وقام بإصلاحات كثيرة ، كما عزل من أساء من موظفي الأتراك من اليمنيين ومنهم المدعو محمد هاشم ياور أحمد فيضي ، واعتقله خارج اليمن .

وعلى[٧٣] وجه العموم فقد وصف الوالي (حسين حلمي) المذكور بالإستقامة وحب العلماء ومحاربة الظلم والرشوة ، وقام بإنشاء دار للمعارف ودار للمعلمين ومكتب للصنائع للصناعة اليدوية الخفيفة ، كما أنشأ لأول مرة المدارس الإعدادية في صنعاء وسنّ التعليم الإجباري ، وكان التعليم قاصراً على علوم الشريعة وعلوم العربية وفي المساجد ، كما كوّن الوالي المذكور له هيئة استشارية من العلماء ورجال السياسية كان لا يقطع أمراً دونها ، ولبس العمة اليمنية وأمر الموظفين بلبسها بدلاً من الطربوش الذي كان الوالي احمد فيضي قد عممه على جميع الموظفين ، وكانت قيادة الجيش التركي في اليمن في عهد الوالي حسين حلمي المذكور الى عبد الله باشا الذي خلفه في الولاية على اليمن كما سيأتي ، وقد اختلف عبد الله باشا مع حسين حلمي في عدد من الأمور الاجرائية ساندت الدولة العثمانية فيها عبد الله باشا .

عبد الله باشا (١٣١٨ - ١٣٢٠ هـ)

ثم عينت[٧٤] عبد الله باشا المذكور والياً على اليمن خلفاً للوالي حسين حلمي باشا .

قال المصدر (العرشي) : « ولمّا عينّ في مكانه المشير عبد الله باشا سنة (١٣١٨ هـ) رجع الظلم الى ما كا ن عليه فكثرت الرشوة واستشرى الفساد ، ووقع الجذْب والقحط حتى خلت قرى كثيرة من سكانها ، وكان الوالي مغرماً بالملاهي والغناء والموسيقى ، وهو مع ذلك في سن الشيخوخة ، وهو الذي

---

(٧٣) الواسعي في تاريخه ص (٢٩٠ .

(٧٤) القاضي حسين بن أحمد العرشي في تأريخه (بلوغ المرام شرح مسك الختام في من تولى ملك اليمن من ملك وإمام) ص ٨٣ . مطبعة (دار احياء التراث العربي - بيروت) .

وضع سلك البرق من صنعاء الى تعز من جهة الجنوب من صنعاء مسافة ستة أيام (للماشي) ».

وفي عهد الوالي عبد الله باشا المذكور تمردت[٧٥] قبيلة الزرانيق على الحكومة التركية في تهامة وعانت الحكومة التركية متاعب كبيرة في سبيل إخضاعها لبسالتها وعدم استقرارها في مساكن عامرة الى جانب قسوة المناخ الحار في تهامة منطقة القبيلة المذكورة (والتي كانت تعرف قديماً بقبيلة المعازبة من قبائل فضا بيت الفقيه من لواءالحديدة) وهو المنا خ الذي لم تألفه القوات التركية القادمة من مناطق الشمال .

وفي شهر صفر من عام (١٣٢٠ هـ) قدم وفد السلطان عبد الحميد[٧٥] الى صنعاء لإعادة بحث موضوع الصلح بين الحكومة العثمانية وبين الإمام المنصور ، وكان الوفد يتألف من السيد خالد بن محمد أبو الهدى الرفاعي والفريق حسن باشا وغيرهما ، وكان من بين بنود الصلح الذي حمله الوفد معه من السلطان هو ان يكون الإمام كأشراف مكة ، ويتخلى الأتراك عن اليمن .

ثم خرج الوفد من صنعاء نحو الإمام للإجتماع به ، فلم يوافق الإمام المنصور على وصول الوفد اليه ، ولكنه بعث وفداً للإجتماع به مكوناً من السيد محمد بن احمد الشامي وسيف الإسلام احمد بن قاسم حميد الدين ، واجتمع الوفدان في قرية ضحيان اطراف بلاد حاشد ، وبدأ بحث موضوع الصلح بينهما ، ثم افترق الوفدان على أساس عودتهما الى الإجتماع في شهر رجب من نفس العام ، ولم يذكر المصدر اجتماع الوفد في الموعد المذكور .

توفيق باشا (١٣٢٠ - ١٣٢٣ هـ)

ولّما امتد نفوذ الإنكليز الى الضالعفي عام[٧٦] (١٣٢٠ هـ) ولم يقم الوالي عبد الله باشا بالدفاع عنها ، أو بأي رد فعل بعد احتلال الإنكليز لها غضب

---

(٧٥) أئمة اليمن في القرن الرابع عشر ص ٣٦٧ .

(٧٦) العرشي في (بلوغ المرام آنف الذكر ص ٨٤ .

السلطان عبد الحميد وعزله بالوالي توفيق باشا .

أمّا الإمام المنصور ازاء عدوان الإنكليز على الضالع فإنه انتهز ذلك لاستغلال عواطف اليمنيين في الشمال ضد الأتراك بحجة تساهلهم مع الانكليز وعدم القيام بأي رد فعل ضدهم ، وذلك بهدف المزيد من اثارة حفائظ اليمنيين ضد الأتراك وتشديد هجماتهم على مراكزهم ، ومما جاء[٧٧] في رسالة الإمام المنصور التي بثها بين اليمنيين قوله : « إن طائفة العجم رماهم الله بسهام النقم وأراح المسلمين من شرهم الذي عمّ وطم ، صارت عندهم رقعة الكفر الوبي ، أهون من ظهور شوكة آل النبي العربي ،الذي افترض الله مودتهم وقرناء الكتاب إلى يوم الحساب (هكذا) ، وإنّ الأجانب قد مدوا أعناقهم إلى أطراف اليمن ، والمأمورون من الأتراك راضون على العرب بأنواع المحن ، فمن كان يظن أنهم يدفعونهم أو يحاربونهم فقد أكذبه الظن ، وطال ما أعذرنا وأنذرنا وبذلنا وجهزنا ، وإنّا الآن نجدد الحجة على الناس ، ونلزمهم تجديد العزائم قبل أن يُتبِعهم الأتراك تبع البهائم ومن اعتبر بالتجارب قاده الإعتبار الى حميد العواقب ، وفي كثرة الجيش وخروج الآلات من عدن كشف لما خفي وكمن ، وأنه لو يخرج ثلاثة رجال من كل قرية من قرى اليمن ويعين كل فرد بشيء من النفقات وإن قلّ ، لكفى الله المسلمين شر الفريقين ، ولا يستحقر أحد عمله وإعانته في سبيل الله ، فقد روي أنّ منصور بن عمار وعظ الناس بالإعانة على الجهاد ، فسمعت امرأة بوعظه فقطعت ذوائب رأسها ورمت بها اليه ، وقالت : « والله ما أملك غيرها ، وإني لأرجو الله أن تكون قيد فرس في سبيل الله ، وعسى أن يرحمني الله بذلك ، فضج الناس وارتجوا بالبكاء » . رواه الزمخشري في ربيع الأبرار ، فاغتنموا وجود الإمام لصلاح دينكم ودنياكم ، وحفظ بلادكم وأموالكم والإعانة مبذولة بالمقادمة والذخيرة وحجة الله على من له كلمة مسموعة عند عشيرته وقومه ، اللهم أشهد ، حرر في ١٢ ربيع الأول سنة (١٣٢٠ هـ) » .

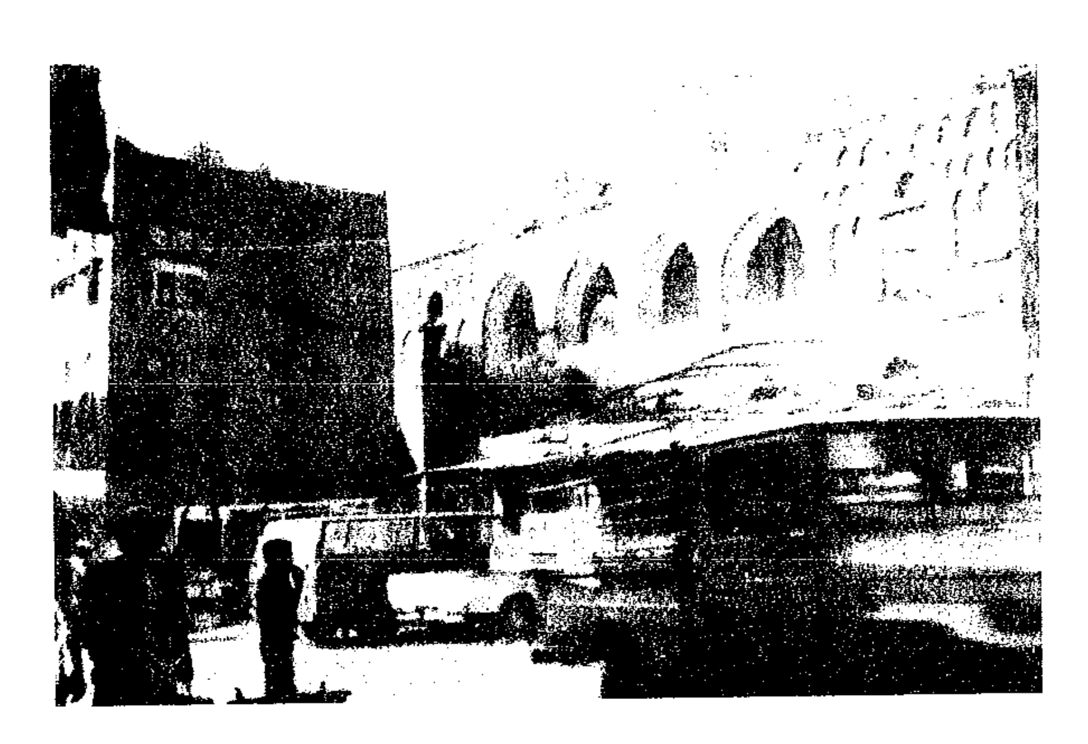
---

(٧٧) أئمة اليمن آنف الذكر ص ٣٦٩ .



٤٤ ـ مدينة إب ومعها بوابة ساقية النشمة التي بناها آل ظاهر لتوصيل ماء الشرب من جبل معدان الى المدينة وقد هدمت عند الاستغناء عنها وامتداد العمران الى مكانها .

44 - The city of Eb with the door of Sakiat Al- Nashmah built by Al-Zaher to connect the potable water from the mountain of Maadan to the city and it was destroyed when it became useless and construction took its place.



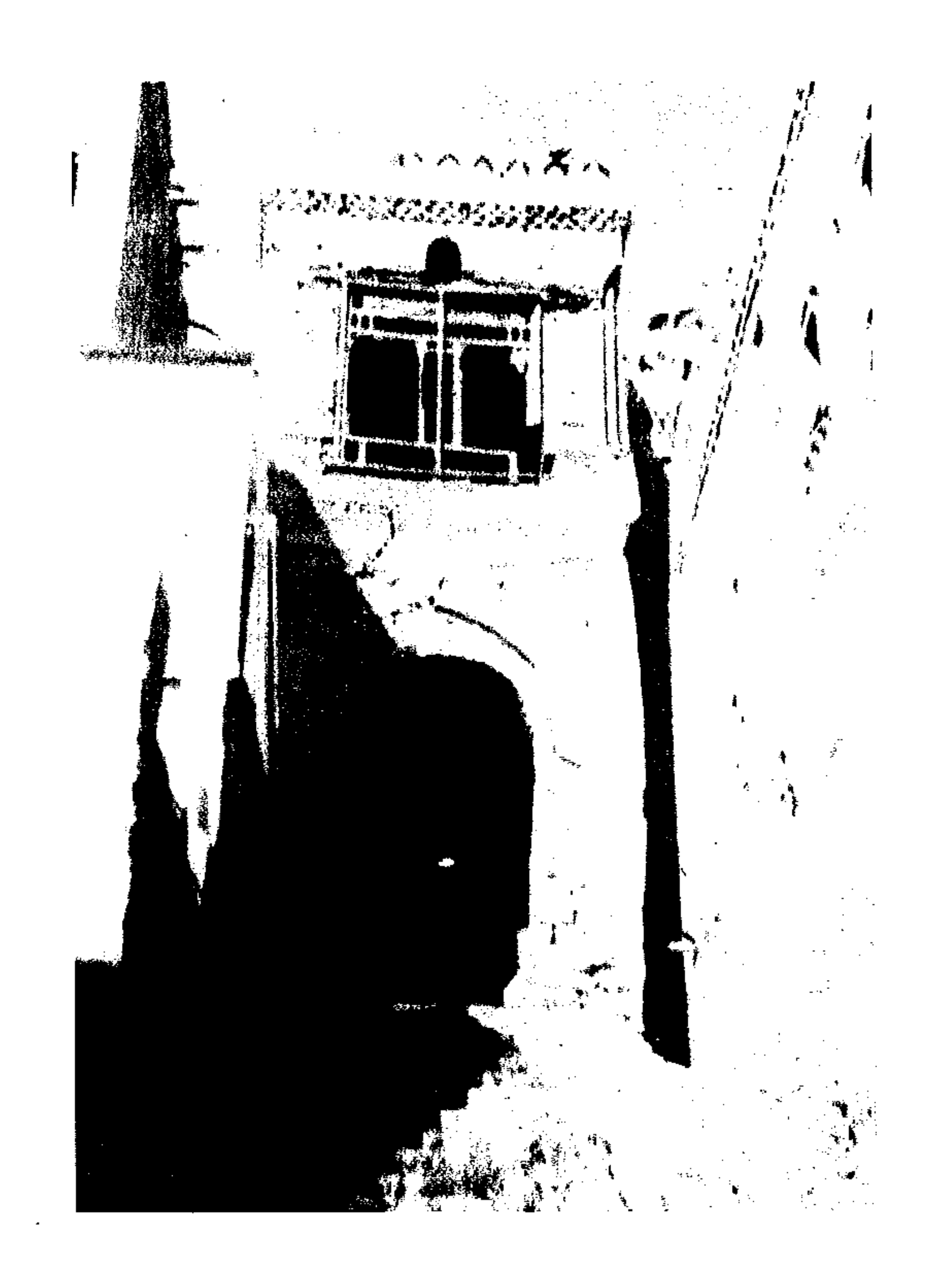
٤٥ - منظر آخر لجامع العامرية في مدينة رداع .

45 Another View of the Al-Aamiriah Mosque in the city of Radaa.



٤٦ - باب مدينة رداع وجزء من المدينة وترى القلعة في اعلاها .

46 The door of the city of Radaa and part of the city and we also see the city fortress on top this photo.



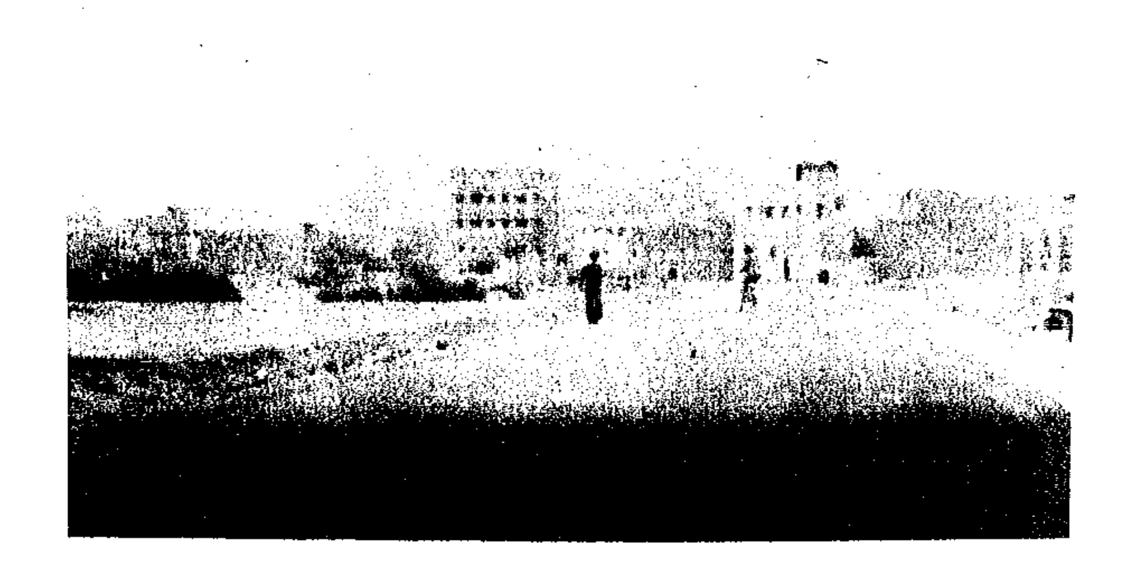
٤٧ - منظر الباب الغربي لجامع العامرية بمدينة رداع وفوقه الغرفة العليا الخاصة بالملك عامر عبد الوهاب آل طاهر

47 A View of the south door of the Al-Aamiriah Mosque in the city of Radaa and above it is situated he upper room of the king Amer Abdel Wahab Aal-Taher.



٤٨ ـ شارع الميدان امام جامع العامرية بمدينة رداع

48 The Al-Midan street in front of the Al-Aamiriah Mosque in the city of Radaa.



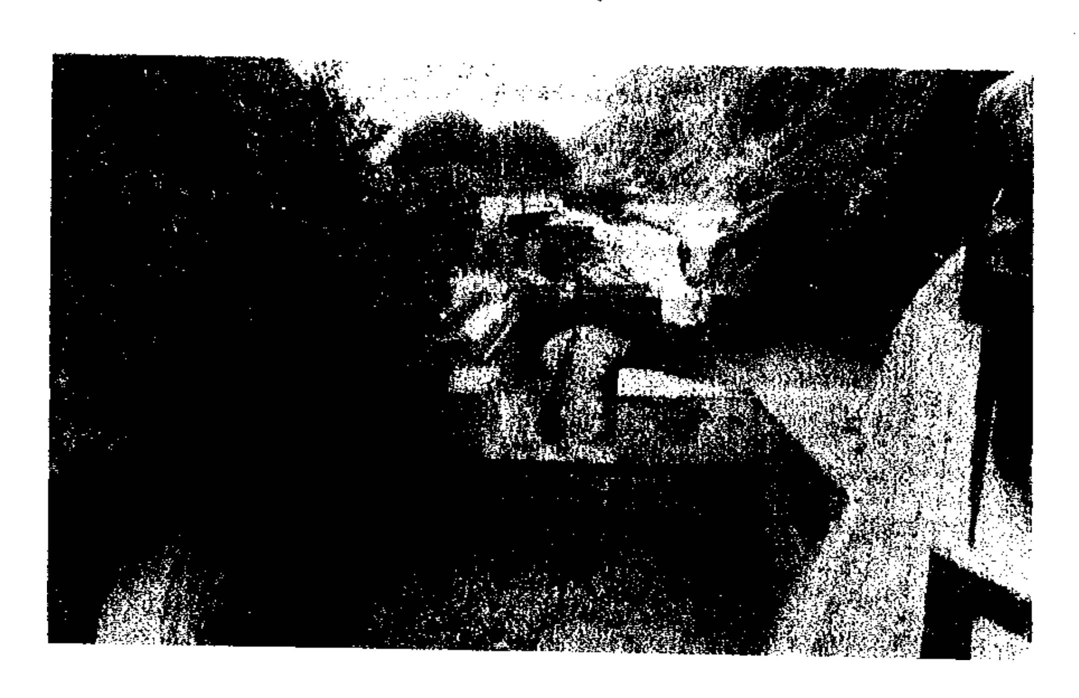
٤٩ ـ منظر عام لمدينة المصلى خارج رداع .

49 - A general view of the city of Al-Mussalla outside Radaa.



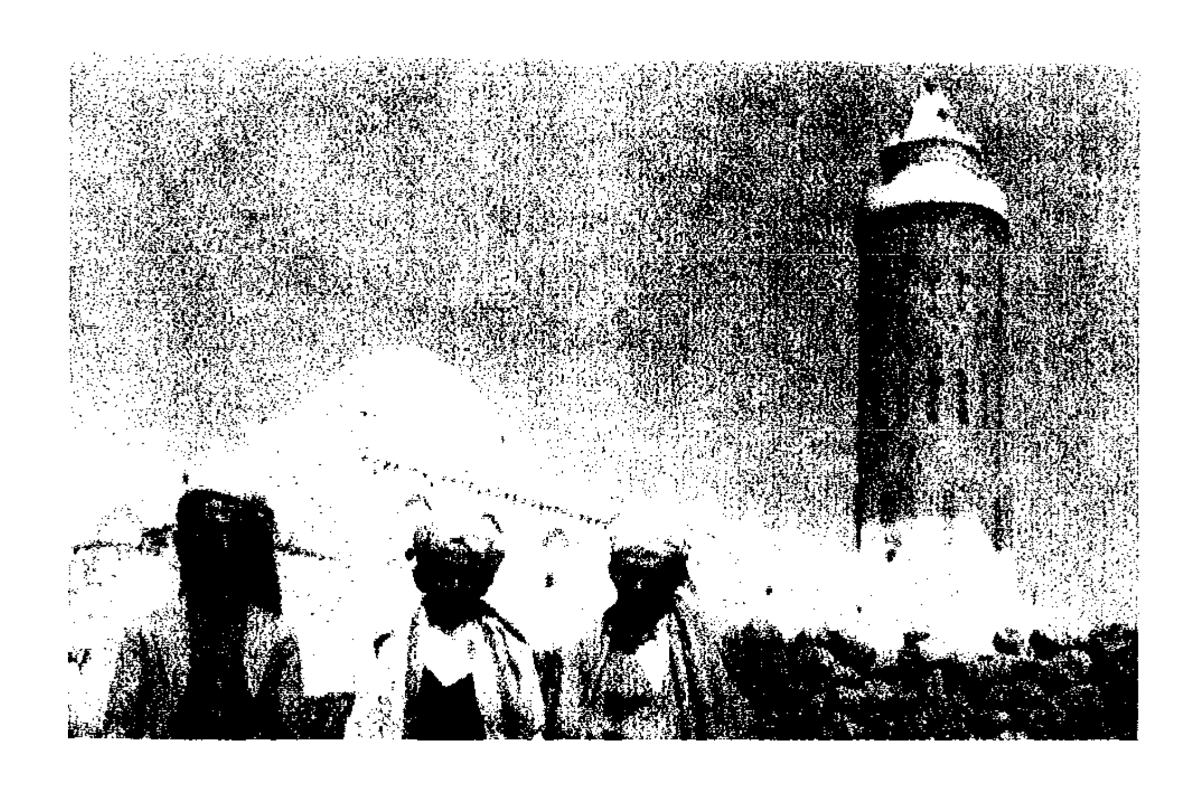
٥٠ ـ منظر عام لمدينة ملاح خارج رداع .

50 - A general view of the city of Malah outside Radaa.



٥١ ـ بعض اجزاء صهاريج عدن .

51 - Some parts of Adan wells.



٥٢ ـ جامع الدلون من عزلة بلاد الروس مخلاف الشوافي ناحية إب ـ بناء الفقيه العلامة سعيد بن صالح بن يسين . ويرى حفيد الفقيه في الوسط .

52- The Al-Dallun Mosque from Azla from the country of the Russians, Mikhlaf Al-shawafi on the side of Eb-built by the Al-Fakih Aal-allama Said bin Saleh bin Yassin and his grand- Child is seen in the middle.

الفهرس

جنوب اليمن من الانفصال حتى الاستقلال

الحكم العثماني الثاني في اليمن ومعاصره من الأئمة